



10.3.2013

رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان



مع مُلاحق بمقتطفاتٍ من آراءٍ نقديةٍ
لمِئتي كاتبةٍ وكاتبٍ



قدّمت لها: غادة السمان

دار الطليعة - بيروت

رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان

مع مُلاحق بمقتطفاتٍ من آراء نقدية
لمِئتي كاتبة وكاتب

قَدِّمْتُ لَهَا:

غادة السمان



دارُ الطليعة للطباعة والنشر
ببيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى: تموز (يوليو) ١٩٩٢

الطبعة الثانية: كانون الثاني (يناير) ١٩٩٣

الطبعة الثالثة: تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٤

الطبعة الرابعة: نيسان (إبريل) ١٩٩٩

الطبعة الخامسة: شباط (فبراير) ٢٠٠٥

صورة الغلاف الأمامي: الشهيد غسان كنفاني وغادة السمان والفنان بهجت

عثمان في تلفريك جونية، لبنان. المصوّر مجهول.

الغلاف الخلفي: تتابع الأسماء بالترتيب الأبجدي

محاولة إهداء:

إلى الذين لم يولدوا بعد

هذه السطور التي أهداني إياها ذات يوم وطني مبدع لم يكن قلبه
مضخة صدئة،

أهديها بدوري إلى الذين قلوبهم ليست مضخات صدئة،
وإلى الذين سيولدون بعد أن يموت أبطال هذه الرسائل.

غادة

محاولة تقديم

وفاء لعهد قطعه

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني... وكان له وجه طفل وجسد عجوز.. عينان من غسل وغمازة جذلة لطفل مشاكس هارب من مدرسة البيغاوات، وجسد نحيل هش كالمركب المنخور عليه أن يعاجله بآبر «الأنسولين» كي لا يتهاوى فجأة تحت ضربات مرض السكري: هدية الطفولة لصبي حرم من وطنه دونما ذنب... لم يكن فيه من الخارج ما يشبه صورة البطل التقليدية: قامة فارعة.. صوت جهوري زجاجي.. لامبالاة بالنساء (إلى آخر عدة النضال) لأنه كان ببساطة بطلاً حقيقياً... والأبطال الحقيقيون يشبهون الرجال العاديين رقّة وحنناً لا نجوم السينما الهوليوودية الملحمية... غير العادي في غسان كان تلك الروح المتحدية.. النار الداخلية المشتعلة المصرة على مقاومة كل شيء، وانتزاع الحياة من بين منقار رخ القدر... نار من شجاعة تتحدى كل شيء حتى الموت..



نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني جسده المهترى بالنقرس لا يرسمه جيداً ولا يعبر عنه.. ولكن حرفه يفعل ذلك باتقان.. وحين أقرأ رسائله بعد عقدين من الزمن استعيده حياً.. ويطلع من حروفه كما يطلع الجنى من القمم حاراً ومرحاً صوته الريح.. يقرع باب ذاكرتي ويدخل بأصابعه المصفرة بالنيكوتين وأوراقه وإبرة (أنسولينه) وصخبه المرح.. ويجرني من يدي لتتسكع معاً تحت المطر.. ونجلس في المقاهي مع الأصدقاء.. وتبادل الموت والحياة والفرح بلا أقنعة، والرسائل أيضاً..



نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني التصق بعيني زمناً كدمعة نقية، وانتصب فوق أفقي كقوس قزح... ووفاء لضوء عرفناه معاً، دعوتكم

مرة لمشاركتي في الاحتفال بعيد ميلاده الذي يتصادف في شهر نيسان في لحظة حريتي» بمجلة الحوادث ولبيتم، وما أنا أدعوكم اليوم إلى مهرجان من الألعاب النارية والنجوم هي رسائله..

والوفاء ليس فقط لعاطفتي الغابرة المتجددة أبدأ نحوه، بل وفاء لرجل مبدع من بلادي اكتمل بالموت لأنه كان أكثر صدقاً من أن يسمح له عدوه بالحياة والكتابة والاكتمال بالعطاء... موت غسان المبكر خسارة عربية على الصعيد الفني لا تعوض، لم يمهلها العدو وقتاً لتأخذ مداها من التأجج والسطوع... والأجل من ذلك كله أنه كان مناضلاً حقيقياً ومات فقيراً... (وتلك ظاهرة في زمننا الموصغ بالخلط بين الثروة والثورة)... إنه رجل لم يتلوث بالمال ولا بالسلطة ولا بالغرور وظل يمثل النقاء الثوري الحقيقي.

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني اشعر دائماً بالرغبة في إطلاقه كرصاصة على ذاكرة النسيان العربية.. والأسباب كثيرة وعديدة، وأهمها بالتأكيد أن غسان كان وطنياً حقيقياً وشهيداً حقيقياً وتكريمه هو في كل لحظة تكريم للرجال الأنقياء الذين يمشون إلى موتهم بلا وجل لتحيا أوطانهم، ولتخرج «القيم» و«المفاهيم» من صناديق اللغة الرثة، إلى عظمة الفعل الحي... لا أستطيع الادعاء - دون أن أكذب - أن غسان كان أحب رجالي إلى قلبي كامرأة كي لا أخون حقيقتي الداخلية مع آخرين سيأتي دور الاعتراف بهم - بعد الموت - وبالنار التي أوقدوها في زمني وحرفي.. ولكنه بالتأكيد كان أحد الأنقياء القلائل بينهم.

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني، ويعز عليّ أن أرى الغبار يتراكم فوق وجهه، والعنكبوت يغزل خيوطه ببطله - ولكن باستمرار - فوق حروف اسمه بالرغم من الجهود المباركة للجنة تكريمه^(١) أخشى أن

(١) نشرت هذا الكلام في حوار مع مجلة الشرق الأوسط (لندن) بتاريخ ١/٩/١٩٩٠، أي قبل صدور «الرسائل» بعامين ونصف، ولم يعترض عليه أحد. وكان عنوان الحوار المنشور على غلاف العدد مع صورتي: «غادة السمان: كَشَفْتُ أمر علاقتي بغسان لثلاث يطويه النسيان».

يغوص في لجة النسيان هو وكل ما كان يمثل.. لا جائزة أدبية باسمه، ولا شارع في مدينة عربية يخلده (أرجو أن أكون مخطئة وقليلة الإطلاع)... ولا مهرجان أدبياً يكرسه... أفرح حين أرى وفيماً ليوسف الخال هو - رياض نجيب الريس - يحمي اسمه من عث النسيان، واتساع: أين «جائزة غسان كنفاني» للرواية مثلاً؟ أم أن عليه أن يقرع جدران الخزان؟.. غسان ليس ملكاً لمنظمة معينة فهو طفل الأمة العربية كلها وأحد الذين جسدوا أنبل ما فيها.. أفكر به، وقلبي على الحبيبة الفلسطينية الأخرى ولكن المكفنة بنسيان شبه شامل: سميرة عزام.. منذ غادرت الكنيسة حيث عزيت بها لم أر أحداً من الذين عرفوا وهج إبداعها يحاول بعث ذلك الضوء في نجمة... لم أسمع بأستاذ جامعي منهم كلف طالبة أو طالباً بإعداد رسالة جامعية عنها توثق لها وتحفظ ذكرها إلا فيما ندر.. والاحتفال بميلاد غسان كنفاني في صفحتي الأسبوعية بالحوادث ذات مرة، وبرسائله اليوم، هذا الاحتفال جزء من الاحتجاج على ذاكرة النسيان العربية... لا أريد أن أرى الثلج يهطل فوق شاهدة قبره وأمثاله ويغطيها ببرود الجحود.. فقد كان وطنياً من نوع فريد.. لم يعرف المساومة ولا الرياء ولا رقصة التانغو السياسية: خطوة إلى الأمام، وخطوتان إلى الوراء...



نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني... والأستاذ جهاد فاضل لم يفتّر عليّ حين تحدث ذات يوم عن رسائل متبادلة بيننا سأقوم بنشرها دون حذف حرف منها... ولم يبيع بسر شخصي حين خط سطره.. على العكس، كنت أريد أن يكتب ما كتب، على أمل أن يتصل بي «الشخص» الذي ما تزال رسائلي بحوزته.. فالذي حدث أن الشهيد غسان قتل والعلاقات الدبلوماسية بيننا على أفضل حال، ولم يحدث ما يستدعي قطع العلاقات وسحب الرسائل والسفراء.. وبعبارة أخرى: رسائله عندي ورسائلي عنده كما هي الحال لدى متبادلي الرسائل كلهم!!..

وانتهز الفرصة لأوجه النداء إلى من رسائل بحوزته (أو بحوزتها).. نداء أشاركم فيه محبة غسان وأرجوهم جعل حلم نشر رسائلنا معاً ممكناً كي لا تصدر رسائل غسان وحدها حاملة أحد وجوه الحقيقة فقط بدلاً من وجهيهما^(١).. وأنا والحق يقال لا أدري أين رسائلي إليه.. كل ما أعرفه هو أن تلك الرسائل العتيقة لم تعد ملكاً لأحد، وإنما تخص القارئ العربي كجزء من واقعه الأدبي والفكري على لسان مجنونٍ حبر، صار أحدهما غباراً مضيئاً منذ عقدين من الزمن، وتستعد الأخرى لمهرجان التراب منذ ولادتها.. إنها رسائل تدخل في باب الوثائق الأدبية أكثر مما تدخل في باب الرسائل الشخصية بعدما انقضى أكثر من ربع قرن على كتابتها، فخرجت من الخاص إلى العام، باستشهاد صاحبها قبل عشرين سنة.

* * *

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنتفاني.. ونشر رسائلنا معاً هو أيضاً إقلاق لراحة الرياء ولنزعة التنصل من الصدق.. وهي نزعة تغذيها المقولات الجاهزة عن «التقاليد الشرقية» المشكوك أصلاً في صحتها... أنا من شعب يشتعل حباً، ويزهو بأوسمة الاقحوان وشقائق النعمان على صدره وحرفه.. ولن أدع أحداً يسلبني حقي في صدقي.. وإذا كانت جدتي المسلمة - مثلي - ولادة بنت المستكفي قد فتحت خزائن قلبها منذ تسعة قرون تقريباً، فلم أخشى أنا ذلك في زمن المشي فوق سطح القمر.. ولماذا يكون من حقها أن تقول في ابن زيدون:

ترقب إذا جن الظلام زيارتي

فإنني رأيت الليل أكتم للسر

وبني منك ما لو كان بالشمس لم تلح

وبالبدرد لم يطلع وبالنجم لم يسر

(١) نشرت هذا النداء للمرة الأولى بتاريخ ٢١/٤/١٩٨٩ في مجلة الحوادث الصادرة في لندن، وتكرر نشره مرات على لسان أدباء ونقاد آخرين قبل إصداري للطبعة الأولى من الرسائل. ولم يستجب أحد للنداء حتى لحظة صدور هذه الطبعة الخامسة.

فلماذا لا أجرؤ على نشر رسائلي ورسائله دونما تبديل أو تعديل -
بغض النظر عما جاء فيها أو لم يجرى -؟..

للحقيقة سطوة ترفض مجاملة الزيف وركوعاً مني لسطوتها
سأنتشر رسائل زمن الحماقات الجميلة دون تعديل أو تحوير، لأن الألم
الذي قد تسببه لآخرين عابرين مثلي هو أقل من الأذى اللاحق بالحقيقة
إذا سمحت لقلمي بمراعاة الخواطر.. والحقيقة وحدها تبقى بعد أعوام
حين أتحوّل وسواي من العابرين إلى تراب كفسان نفسه.. ولذا قدمت
هذا الاعتبار على أي اعتبار آخر ولسان حالي يقول: قد لا أريد أن أتذكر
كي لا أخرج الحاضر، ولكنني لا أستطيع أن أنسى كي لا أخون ذاتي
والحقيقة معاً...

وريثما أحصل على رسائلي إليه فأنشرها (١) ورسائله معاً، أكتفي مؤقتاً
بنشر رسائله المتوافرة، بصفتها أعمالاً أدبية لا رسائل ذاتية أولاً ووفاء
لوعده قطعناه على أنفسنا ذات يوم بنشر هذه الرسائل بعد موت أحدنا،
ولم يدر بخلدي يومئذ أنني سأكون الأمانة على تنفيذ تلك الرغبة
الكنفانية - السمانية المشتركة.



نعم. كان ثمة رجل يدعى غسان كنفاني. وكان يعرف أن حبي
للحقيقة يفوق أحياناً حبي لذاتي، ومن هنا كانت الحرب التي لن
تهدا يوماً بيني وبين المؤسسات المكرسة لرعاية الرياء الاجتماعي
(وتطبيب خاطره).. وإذا كنت قد جاملتها يوماً فبالمقدار الذي يسمح لي
بالبقاء على قيد الحياة لا أكثر، وعلى طريقة (غاليليو) الذي أعلن أن
الأرض تدور حول الشمس وليس العكس - لأنها ببساطة الحقيقة

(١) ليست لدي مسودات عن تلك الرسائل الغابرة، ولا «فوتوكوبي» - استعمال النسخات لم
يكن شائعاً يومذاك -.. الأمل الوحيد في نشر رسائلي هو في أن يتكزّم منْ بحوزتهم الرسائل
بالإفراج عنها.

وبغض النظر عن تزعزع جذور حياته كشفها - ولكنه عاد وسحب مرغماً كلامه وهو يهمس (ولكنها ما تزال تدور...)..

ونشر رسائل غسان كنفاني فعل رفض للخضوع لزمن الغبار الذي يكاد يتكدس في الحناجر، وعصر التراجع صوب أوكار تزوير المشاعر البشرية الجائعة ابداً إلى حرية لا تؤدي وإذا فعلت فعلى طريقة مبضع الجراح لا خنجر قاتل الظلام...

ثمة أدبية عربية نشرت رسائل حبيبها الشاعر خليل حاوي بعدما حذفت اسمها منها (واحتراماً لرغبتها لن أذكره) كما شطبت بنفسها بعض السطور التي وجدتها محرجة في حق سواها على الأرجح.. ولم تنج من اللوم لأنها تجنت على الأمانة الأدبية.. وأنا أعتقد أن العتاب لا يجب أن يوجه إليها، بل إلى القيم التقليدية السائدة التي تجعل سلوكاً كهذا مفهوماً - بل ومدعاة للاحترام -... والهجوم لا يجوز أن يوجه للأدبية التي نفذت تعاليم مجتمعتها، بل لذلك المجتمع المهترئ بالزيف الذي يجد في أكبر حقائق الحياة عيباً يجب التنصل منه في حجرات السر المظلمة.. وليس من حقنا معاقبة تلك الأدبية على مزاجها الشخصي في المقاومة، ولا الطلب من جميع الأدبيات لعب دور العين التي تقاوم المخز.. بل علينا أولاً ضرب اليد التي تمتد بأصابعها السكاكين لتقص أغصان أية شجرة تومض فيها شرارات الحقيقة.. كي لا تضرع نار عشق الصدق في غابات القلوب المتعطشة إلى حرية الضوء، التائهة أمام المعادلة المستحيلة: كيف نضيء دون أن نحترق؟!..



نعم. كان ثمة رجل يدعى غسان كنفاني.. وتسديد طعنة إلى «جمعيات الرياء المتحدة، أمر كان سيضطرب له غسان، (كما كان سيفرح بإحياء ذكر أي شهيد نقي يستحق من ذاكرتنا حيزاً أكبر من الذي رصدناه له). ولعل ذلك أحد الأسباب التي دعتنا يوماً للعهد الذي قطعناه

على أنفسنا بنشر رسائلنا معاً^(١) وهو عهد ربما كنت سأتملص من تنفيذه أو أؤجله لو لم أشعر أن هذه الرسائل خرجت من الخاص إلى العام بمرور الزمن.

ولكن ثمة عوامل أخرى أيضاً تحثني على نشر رسائل كنفاني دونما تردد، منها مثلاً رسم شخصية «الفدائي» من الداخل.. أي مناضل في أي وطن..

ثمة ميل دائم في الأدب العربي بالذات لرسم «المناضل» في صورة «السوبرمان».. ولتحييده أمام السحر الأنثوي وتنجيته من التجربة.. وفي رسائل غسان صورة للمناضل من الداخل قبل أن يدخل في سجن الأسطورة ويتم تحويله من رجل إلى تمثال في الكواليس المسرحية السياسية...

وهي صورة أعتقد أن بوسعها أن تغني أدب الجيل الطالع عامة وأدب المقاومة خاصة وتبعده عن هوة الضوضاء الخطابية المهرجانية السياسية التي يلقي الإبداع فيها مصرعه بعدما حلت الإنشائيات والطرانات المدرسية المزودة بمكبرات الصوت محل دقات القلب. وبهذا المعنى تبدو لي قراءة رسائل غسان كنفاني ضرورة للروائيين الشباب..

(١) كان غسان كنفاني فخوراً بإبداعه في حقل النصوص الشعرية الوجدانية. ولعله - بهذا المعنى - كان يعتبر رسائله لي امتداداً لأعماله الأدبية، وربما لذلك كان يقوم بنشرها في زاويته «أوراق خاصة» في جريدة المحرر بين عامي ١٩٦٦ - ١٩٦٧، وفي ملحق جريدة الأنوار - الصفحة الثانية التي كان يكتبها بين عامي ١٩٦٧ - ١٩٦٨ (ويجد القارئ نموذجاً مصوراً لها في الصفحة ٨٢ من هذا الكتاب). وهذه الرسائل لم تجمع في «الأعمال الكاملة لغسان كنفاني» حتى الآن ولا تزال شبه مجهولة رغم كثرتها كمّاً وأهميتها نوعاً كجزء من نتاجه الأدبي الفني المتنوع. ونجده في رسائله إليّ في هذا الكتاب يستشهد ببعض ما كتبه لي ونشره في المحرر وملحق الأنوار كما في قوله في الصفحة ٤٢: «أقول لك.. ما قلته اليوم لك على صفحات الجريدة»، ويورد بعدها استشهاداً من رسالته المنشورة. والكتاب حافل بتلك الاستشهادات من نصوصه الشعرية الوجدانية تلك، وبوسع القارئ العودة إلى الصفحات ٢٩ و ٣٢ و ٣٦ و ٤٢ و ٦١ من هذا الكتاب مثلاً.

حيث يطلعون على صورة حية لحياة شهيد حقيقي بعيداً عن أقنعة التزوير.. وأعتقد أن «أنسنة» فكرة الشهيد لا تؤذي القضية، بل على العكس من ذلك، تساعد كل إنسان على اكتشاف العملاق الذي يقطنه مهما بدا لنفسه أو للذين حوله مريضاً وضعيفاً - بالمفاهيم التقليدية - وعاشقاً مهزوماً كسره الحب حيناً وملاه بالزهو والاعتداد أحياناً .. سنكتشف في رسائل غسان أن كلاً منا يستطيع أن يكون مهماً لوطنه إذا تبع صوت قلبه بلا وجل حتى النهاية وتخلص من الإزدواجية بين المشاعر والسلوك قدر الإمكان، فإذا أحب وطنه حتى الموت مارس ذلك الحب سلوكاً، لا خطباً طنانة على المنابر فقط.. بهذا المقياس أرى كنفاني شهيداً نموذجياً بالمعنى العالمي والإنساني للكلمة ورسائله تجسد هذا النقاء الثوري البعيد عن «التبذل الاستعراضي» والفساد السري، ولعبة الرصانة الديكورية والأقنعة اللامقنعة..



الوفاء للعهد على نشر هذه الرسائل بعد خروجها من الخاص إلى العام بحيث صارت وثيقة أدبية. التأسيس لنوع أدبي منتشر في الدنيا بكثرة ويكاد يكون معدوماً عندنا هو أدب المراسلات غير الرسمية، مراسلات الاعتراف: اللون الناقص شبه المفقود في لوحة الأدب العربي. عشق الحقيقة. إحياء ذكرى غسان. الإعلان عن عاطفة نبيلة تزويرها يدعو إلى الخجل لا كشفها. تكريم الشهيد... أهذه وحدها تقف خلف رغبتني في نشر رسائل كنفاني؟

ها أنا أستجوب نفسي في لحظة صدق واضبطها وهي تكاد تتستر على عامل نرجسي لا يستهان به: الفخر بحب رجل كهذا أهدي روحه لوطنه وأنشد لي يوماً ما معناه:

«مولاي وروحي في يده إن ضيعها سلمت يده»..

وأعتقد أن كل انثى تزهو (ولو سراً) بعاطفة تدغدغ كبرياءها الانثوي.. وأنا بالتأكيد لا أستطيع تبرئة نفسي من ذلك جزئياً!.. ولكنني في

الوقت ذاته أتساءل: إلى أي مدى تضيف رسائل غسان إلى صورته في الأذهان (أو تنقصها)؟.. وأجد بكل إخلاص أن هذه الرسائل تمنح صورته بعداً إنسانياً جميلاً أخاذاً يذكر بشخصية طالما أحبها غسان هي شخصية «الدكتور جيفاكو» التي أبدعها الأديب الروسي «باسترناك» وكان غسان يحبها كثيراً (قدر كرهى لشخصية حبيبته لارا في الرواية وكانت مستسلمة تركت قدرهما يدمرهما معاً بمعنى ما). ولعل غسان كان يعي ذلك حين طلب مني أن أعاهده على نشر تلك الرسائل ذات يوم بعيد كآنه البارحة. إنها وجهه الحقيقي أو أحد وجوهه الأصلية.



نعم. كان ثمة رجل يدعى غسان كنفاني. وأعترف لذكراه أن فكرة إحراق الرسائل راودتني مراراً، وأنا أنشد مع الجوقة ضد المشي بين القبور هرباً من الثمن الذي يدفعه كل من يجروء على إقلاق راحة الرياء.. في ممالك الأقنعة واللاؤفاء.

ولكن للرسالة سحراً أبيض لا أسود.. يتحول فيها المرء إلى رقعة ملساء نقية اسمها الورقة، وتخط الروح فوقها رموز الصدق.. الرسالة جموح القلب إلى المستحيل، وشهية الأشواق إلى تقمص اللغة حتى البقاء. والمظروف أحد أكفان لحظات الخلود الصغيرة، حين لا يخطر ببال المرء أنه سيتحول من رجل إلى طابع بريدي... ومن عاشق إلى شهيد..

وإلى جانب النرجسية الصغيرة التي لا يخلو منها أحد (بعضنا يعترف وبعضنا يكابر)، ثمة شعور بالجميل أحمله نحو غسان الصديق وسبق لي أن عبرت عنه في حوار مع الدكتور غالي شكري - الذي صدر به كتاباً نقدياً له عني - منذ خمسة عشر عاماً.

وهو شعور بالجميل لا يزيده الزمن إلا تأججاً وسطوعاً.. ذات يوم، كنت وحيدة ومفلسة وطريدة، وحزينة، فشهر بعض (الأصدقاء) سكاكينهم بانتظار سقوط (النعجة) - على عادة الدنيا معنا... يومها وقف

كنفاني إلى جانبي وشهر صداقته.. كنت مكسورة بموت أبي، ومحكومة بالسجن لذنوب أفخر به، ولكن غسان أنجذني بجواز سفر، ريثما صدر أوائل السبعينات عفو عام شملني..

* * *

نعم. كان ثمة رجل يُدعى غسان كنفاني. وما أنذا أترككم مع رسائله، دون أن أنسى التعبير عن أسفي لاحتراق بعضها (بعض رسائل عام ١٩٦٨ - ١٩٦٩)^(١) يوم احترق بيتي في بيروت خلال الحرب مطلع عام ١٩٧٦. ولولم أكن قد احتفظت بهذه الرسائل في لندن - مصادفةً - لذهبت هي أيضاً طعمةً للنيران.. وكل ما أتمناه هو أن أرى رسائلنا كلها منشورة معاً كما حلمنا يوماً.. رسائل ورسائله، حتى تلك التي احترقت!...

ولعلي كُنت حنثت بعهدي لغسان على نشر تلك الرسائل، لو لم أجد فيها وثيقة أدبية وسيرة ذاتية نادرة الصديق لمبدع عربي، مع الوطن المستحيل والحب المستحيل... وثيقة ثرية بأدب الاعتراف الذي تفتقر إليه مكتبتنا العربية. والرسائل بهذا المعنى تسدّ نقصاً سبقتنا الأمم الأخرى إلى العطاء في مجاله، وتؤسس لنوعٍ جميل من الأدب ما زلنا نتهيب أمام بحاره، ومن أجدر من القلب العربي الثري للخوض في لجته.

(١) ربما كان غسان كنفاني يحتفظ بمسودات عن رسائله إليّ. وبذلك يصير نشر بقية الرسائل ممكناً إذا تكرم أحدٌ بهذه البادرة الأدبية النبيلة.

رسالة غير مؤرخة - لا اذكر التاريخ! لعلها اول رسالة سَطَرها لي

غادة..

أعرف أن الكثيرين كتبوا لك، وأعرف أن الكلمات المكتوبة تخفي عادة حقيقة الأشياء خصوصاً إذا كانت تُعاش وتُحسّ وتُنزف على الصورة الكثيفة النادرة التي عشناها في الأسبوعين الماضيين.. ورغم ذلك، فحين أمسكت هذه الورقة لأكتب كنت أعرف أن شيئاً واحداً فقط أستطيع أن أقوله وأنا أثق من صدقه وعمقه وكثافته وربما ملاصقته التي يخيل إلي الآن أنها كانت شيئاً محتوماً، وستظل، كالأقدار التي صنعتنا: إنني أحبك.

الآن أحسها عميقة أكثر من أي وقت مضى، وقبل لحظة واحدة فقط مررت بأقصى ما يمكن لرجل مثلي أن يمر فيه، وبدأت لي تعاساتي كلها مجرد معبر مزيف لهذه التعاسة التي ذقتها في لحظة كبريق النصل في اللحم الكفيف.. الآن أحسها، هذه الكلمة التي وسخوها، كما قلت لي والتي شعرت بأن علي أن أبذل كل ما في طاقة الرجل أن يبذل كي لا أوسخها بدوري.

إنني أحبك: أحسها الآن والألم الذي تكرهينه - ليس أقل ولا أكثر مما أمقته أنا - ينخر كل عظامي ويزحف في مفاصلي مثل دبيب الموت. أحسها الآن والشمس تشرق وراء التلة الجرداء مقابل الستارة التي تقطع أفق شرفتك إلى شرائح متطاولة.. أحسها وأنا أتذكر أنني أيضاً لم أنم ليلة أمس، وأنني فوجئت وأنا أنتظر الشروق على شرفة بيتي أنني - أنا الذي قاومت الدموع ذات يوم وزجرتها حين كنت أجلد -

أبكي بحرقة. بمرارة لم أعرفها حتى أيام الجوع الحقيقي، بملوحة البحار كلها وبغربة كل الموتى الذين لا يستطيعون فعل أي شيء... وتساءلت: أكان نشيجاً هذا الذي أسمعُه أم سلخ السياط وهي تهوي من الداخل؟

لا. أنت تعرفين أنني رجل لا أنسى وأنا أعرف منك بالجحيم الذي يطوق حياتي من كل جانب، وبالجنة التي لا أستطيع أن أكرهها، وبالحريق الذي يشتعل في عروقي، وبالصخرة التي كتب عليّ أن أجرحها وتجبرني إلى حيث لا يدري أحد... وأنا أعرف منك أيضاً بأنها حياتي أنا، وأنها تنسرب من بين أصابعي أنا، وبأن حبك يستحق أن يعيش الإنسان له، وهو جزيرة لا يستطيع المنفى في موج المحيط الشاسع أن يمر بها دون أن... ورغم ذلك فأنا أعرف منك أيضاً بأنني أحبك إلى حد أستطيع أن أغيب فيه، بالصورة التي تشاءين، إذا كنت تعتقدين أن هذا الغياب سيجعلك أكثر سعادة، وبأنه سيغير شيئاً من حقيقة الأشياء.

أهذا ما أردت أن أقوله لك حين أمسكت الورقة؟ لست أدري.. ولكن صدقيني يا غادة أنني تعذبت خلال الأيام الماضية عذاباً أشك في أن أحداً يستطيع احتماله، كنت أجلد من الخارج ومن الداخل دونما رحمة وبدت لي حياتي كلها تافهة، واستعجالاً لا مبرر له، وأن الله إنما وضعني بالمصادفة في المكان الخطأ لأنه فشل في أن يجعل عذابه الطويل الممض وغير العادل لهذا الجسد، الذي أحترق فيه قدرته غير البشرية على الصلابة، ينحني ويموت..

إن قصتنا لا تكتب، وسأحتقر نفسي لو حاولت ذات يوم أن أفعل، لقد كان شهراً كالإعصار الذي لا يفهم، كالمطر، كالنار، كالأرض المحروثة التي أعبدها إلى حد الجنون وكنت فخوراً بك إلى حد لمت نفسي ذات ليلة حين قلت ببني وبين ذاتي أنك درعي في وجه الناس والأشياء وضعفي، وكنت أعرف في أعماقي أنني لا أستحقك ليس لأنني لا أستطيع أن أعطيك حبات عيني ولكن لأنني لن أستطيع الاحتفاظ بك إلى الأبد.

وكان هذا فقط ما يعذبني .. إنني أعرفك إنسانة رائعة، وذات عقل لا يصدق وبوسعك أن تعرفي ما أقصد: لا يا غادة لم تكن الغيرة من الآخرين.. كنت أحسك أكبر منهم بما لا يقاس، ولم أكن أخشى منهم أن يأخذوا منك قلامة ظفرك. لا يا غادة، لم يكن الادعاء والتمثيل والزيف فذلك الشيء الوحيد الذي لا أستطيع أبداً إتقانه ولو أتقنته لما كنت الآن في قاع العالم.. لا يا غادة.. لم يكن إلا ذلك الشعور الكئيب الذي لم يكن ليغادرني، مثل ذبابة أطبق عليها صدري، بأنك لا محالة ستقولين ذات يوم ما قلته هذه الليلة.

إن الشروق يذهلني، رغم الستارة التي تحولته إلى شرائح وتذكرني بألوف الحواجز التي تجعل من المستقبل - أمامي - مجرد شرائح.. وأشعر بصفاء لا مثيل له مثل صفاء النهاية ورغم ذلك فأنا أريد أن أظل معك، لا أريد أن تغيب عني عيناك اللتان أعطتاني ما عجز كل شيء انتزعه في هذا العالم من إعطائي. ببساطة لأنني أحبك. وأحبك كثيراً يا غادة، وسيُدمر الكثير مني إن أفقدك، وأنا أعرف أن غبار الأيام سيترسب على الجرح ولكنني أعرف بنفس المقدار أنه سيكون مثل جروح جسدي: تلتهب كلما هبت عليها الريح.

أنا لا أريد منك شيئاً وحين تتحدثين عن توزيع الانتصارات يتبادر إلى ذهني أن كل انتصارات العالم إنما وزعت من فوق جثث رجال ماتوا في سبيلها.

أنا لا أريد منك شيئاً، ولا أريد - بنفس المقدار - أبداً أبداً أن أفقدك.

إن المسافة التي ستسافرنيها لن تحببك عني، لقد بنينا أشياء كثيرة معاً لا يمكن، بعد، أن تغيبها المسافات ولا أن تهدمها القطيعة لأنها بنيت على أساس من الصدق لا يتطرق إليه التزعزع.

ولا أريد أن أفقد «الناس» الذين لا يستحقون أن يكونوا وقود هذا الصدام المروع مع الحقائق التي نعيشها.

.. ولكن إذا كان هذا ما تريدينه فقل لي أن أغيب أنا. ظلي هنا
أنت فأنا الذي تعودت أن أحمل حقيبتتي الصغيرة وأمضي..
ولكنني هذه المرة سأمضي وأنا أعرف أنني أحبك، وسأظل أنزف
كلما هبت الريح على الأشياء العزيزة التي بنيناها معاً..

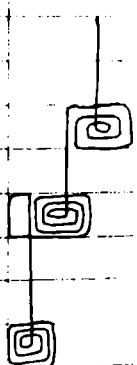
غسان



عارة .

اعرف انه الكبير يكتبوا له ، واعرف انه الكلمات مكتوبة تخفي عادة حقيقة
 الأشياء مضمناً اذا كانت تُعَدّس وتُحَسَّن وتُزَيَّن مع الصورة المشيفة
 بأدلة التي عليها في ارجو عين الحاضرين .. ورغم ذلك فجميعنا كانت
 هذه الورقة لاكتب مظهره . كنت اعرف انه شيئاً واحداً مثلاً يستطيع
 ان يقول لنا انه من صدقه وعفقه وكثافته وربما صلاحته التي
 تليق الى اننا كانت شيئاً محسوساً ، وسلك كالأقدار التي
 صفتها : التي اصبه .

انه املا عتيقة اكثر من اي وقت مضى ، وقبل لحظة
 واحدة فقط مرت بانسى ما يمكن ان يكون شيئاً به يرحبه ، ودوت
 في قفاي كل فرد محب نرفط هذه التناقض التي زقتنا في
 لحظة كبرية الفضل في العلم الكفيف .. انه املا ، هذه الكلمة التي
 منحناها ، كما فعلت في والتي شمت به على انه اجل كل ما في
 طاقة ارضه ان يبذل كي لا اوسعه بدوري .
 التي اصب .. املا انه وازم التي ترحبه - ليس اقل ولا
 اكثر مما امكنه ان .. يتخذ كل عظمه ونزعة في ما عليه من وسيع
 موت ، املا انه والسمعة وشرفه ودار لثة الجود مقبل لثمة
 التي تتلخظ افقه شرفه ارشاح متطاوله املا وان تذكر التي
 ايضا .. انم لية املا والتي فوهيته وان انتظر الشوق على
 شرفة بيتي التي .. ان الذي قاموك المدح في ذم يوم ونهضة حين
 كنت اُجلد .. البني بركة ، بركة م اعرفه هم ايام الجوع الحقيقي ،
 بمبوسة الجار كل ، وبغربة كل الموقف الذي لا يستطيعون فعل اي
 شيء .. وتادلت : اياه لشيء "هذا الذي سمعه ام الخي"



السيط وهي كهوي من الداخل ؟

لست أعرفين التي رهل لانس ، وأنا أعرف من
بالجيم الذي يطوره حياتي من كل جانب ، وبالجنة التي لا يستطيع
أنه الكره ، وبالطريق الذي يتبعه عروقي ، وبالصورة التي
كتب عليّ أن أجعلها وتربني إلى حيث لا يدري أحد .. وأنا أعرف
من الغيا ، بأنني حياتي هي أنا ، وأنا تنرب من بينه أصابعي
أنا ، وبأنه صلب يتقدمه حيث أنا له ، ولهد غير مرة
لا يستطيع المنقذ من موج المحيط الشح أن يمر به دونه
أنه ... ورغم ذلك أنا أعرف من الغيا ، بأنني أصبه إلى حد
السطح أن أغيب فيه ، بالصورة التي تأتي ، إذا كنت
تعتقد أن هذا الغياب يجعله أكثر عادة ، وبأنه سيظل
شيئاً من حقيقة الأثير .

الغدا ما روت أن أقوله له فيه ، لك الورقة ؟ لست
أري - ولكن صدقيني يا عادة التي تقذب فلول الأيام الماضية
عذاباً أشد من أن أقدر أن يتطرح هتمالي ، كنت أجد من
الغدا من من الداخل دوماً رهمة وبوت لي حياتي كلها تافهة ،
والتي لا لا فبر له ، والله أنا وضعتي بالمصادفة في
المكان الخطأ لأنه فشل في أن يجعل عذابه الطويل المحض
وغير العادل لهذا الجسد الذي اهتقر فيه قدرته غير البشرية
على الصلابة ، يخني ويموت ..
أنه قصتنا لا تكتب ، واستقرتني لو صارت

ذات يوم انه افعل ، لقد كانه ستماء كالا عصار الذي لد
بنيهم ، كالطير ، كالنار ، كالارض المحروقة التي ~~تحت~~ اعبد لها
الى حد الجنون وكنت فتورا بل الى حد ملت نفسي ذات ليلة
فيه قلت ببني وببيه زاتي التي درعي في وجه الناس والسيار
وضعتني ، وكنت اعرف في اي قس التي لا استحق له لدني
لا استطيع ان اعطيه هبات عيني ، ولكن لدني له استطيع
الاحتفاظ به الى الابد

وكانه هذا فقط ما يعذبني .. التي اعرض انانة رابعة ،
وذات علق له عيون وجعل ان تعرضي ما اقصد : لا يا عارة
لم كنه الغيرة من الآخرين .. كنت امسك اكبر منهم بما لا يقاس ،
وم اكبه افش منهم ان ياقدوا من قلامة ظفره .. لا يا عارة ،
لم كنه الموعود والتمني والايه فذل بس الوعيد الذي لد
استطيع ابدان اتقانه ولدا تقنته لما كنت امسك في قاع العالم ..
لا يا عارة .. لم كنه الد ذن الشؤ الكيب الذي لم كنه لمياردني ،
من ذبابة ، طبعه عليه صدي ، بانك لا محالة ستقول ذات
يوم ما قلبت هذه اليلة .

ان الشؤ يذهلي ، رغم انارة التي قوله الى
شراخ وتذكرني بالوف الخواجز التي تجعل من مستحق الامامي -
مجد شراخ .. وانصر صغاء - لا مثيل له مثل صغاء النرية
ورغم ذلك غانا اميد ان كل معل . لا اريد ان تخيب عني
عينك اللام اعطاني ما عجز كل شيء انترعته في هذا
العالم من اعطاني . ببالة لدني اهله . داهبه كثيرا يا

عادة ، وسيدم الكثير مني ان افقدك ، وانا اعرف ان
غبار الزمان سيمسح علم الجرح ولكنني اعرف بنفسه المقدار
انه سيكون مثل خروج هبدي : تلتفت كلما هبت عدي
الريح .

انا لا اريد منك شيئا ، وفيه تجد فيه عدم توزيع الانتفاع
يتبادر الى ذهني ان كل انتفاع العالم انما وزعت في فوهة جنة
رحال ماتوا في سبيلها .

انا لا اريد من شيئا ، ولا اريد - بنفسه المقدار -
ابدا ابدا ، ان افقدك .

انما يافق التي ستأخرين له تجبه عني ، لقد
بنينا اشياء كثيرة معا لا يمكن ، بعد ، ان تختبرنا المرات
ولا ان تهدمنا الطبيعة لاننا بنيت على اساس صمد الصمد
لا يتطرق اليه التزعزع .

ولا اريد ان افقد "الناس" الذين لا يستحقون ان يكونوا
وقود هذا الصدام المروع مع الحقائق التي نعيش .

.. ولكنه اذا كان هذا ما تريد منه فقول لي ان
اغيب ~~هنا~~ انا ، ظلي هنا انت ، فان الذي بقود ان اعمل
حققتي الصغيرة واضفي .

ولكنني هذه المرة اضعني وانا اعرف انني اقبل
وانظن ان اترك كلما هبت ~~الريح~~ ~~الرياح~~ ~~الرياح~~ العنيفة التي
بنيناها معا ..

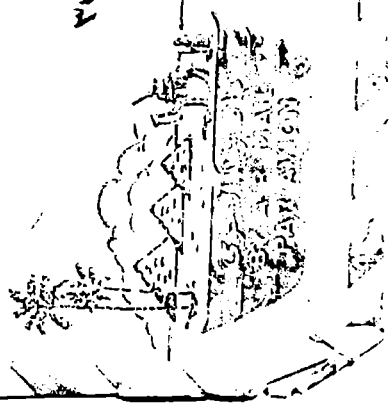


HOTEL SCARABÉE

16 Rue 26 Juillet — Le Caire
Ad. Tel. "Scarabotel - Cairo"
Tel. 73791 — 44298 — 44316
R.C. 103694

المنتحة غارة إسمان

عمارة ملحة - رستم ٣١
قرب اوتوبل كنفرز
الروشنية
بيروت



رسالة غير مؤرخة، ولكن سياق الكلام
فيها يدل على أنها كتبت في القاهرة
اواخر تشرين الثاني (نوفمبر) وقبل
١٩٦٦/١١/٢٩ بيوم او اثنين.

عزيزتي غادة..

مرهق إلى أقصى حد: ولكنك أمامي، هذه الصورة الرائعة التي
تذكرني بأشياء كثيرة عينك وشفثاك وملامح التحفز التي تعمل في بدني
مثلما تعمل ضربة على عظم الساق، حين يبدأ الألم في التراجع. سعادة
الألم التي لا نظير لها. أفتقدك يا جهنم، يا سماء، يا بحر. أفتقدك إلى حد
الجنون. إلى حد أضع صورتك أمام عيني وأنا أحبس نفسي هنا كي أراك.

ما زلت أنفض عن بذلتي رذاذ الصوف الأصفر الداكن. وأمس
رأيت كرات صغيرة منها على كتفي فتركتها هناك. لها طعم نادر كالبهار..
أنها تبتعث الدموع إلى عيني أيتها الشقية. الدموع وأنا أعرف أنني لا
أستحقك: فحين أغلقت الباب وتركتني أمضي عرفت، عرفت كثيراً أية
سعادة أفتقد إذ لا أكون معك. لقد تبتقت كرات صغيرة من الصوف
الأصفر على بذلتي، تتشبث بي مثلما أنا بك، وسافرت بها إلى هنا مثلما
يفعل أي عاشق صغير قادم من الريف لأول مرة.

لن أنسى. كلا. فأنا ببساطة أقول لك: لم أعرف أحداً في حياتي
مثلك، أبداً أبداً. لم أقرب من أحد كما اقتربت منك أبداً أبداً ولذلك لن
أنساك، لا... إنك شيء نادر في حياتي. بدأت معك ويبدو لي أنني سأنتهي
معك.

سأكتب لك أطول وأكثر.. لقد أجلوا المؤتمر إلى ٣٠ ولكنهم
سيسفروننا غداً، الأحد إلى غزة كي نشترك بمآتم التقسيم. يا للهول.

ويبدو أنه لن يكون بوسعي أن أعود للقاهرة قبل الرابع. وسأكون في بيروت يوم ٦ كانون الأول على أبعد تعديل.. إلا إذا قررت من المؤتمر وأنتيك عدواً..

حين قرأ أحمد بهاء الدين حديثك لي خطفه^(١)، بل أجبرني علي التعاقد معه لأكتب له مواضيع مماثلة... قال لي وهو يهز رأسه: أخيراً أيها العفريت وجدت من يُسكت شراستك. سينشر الموضوع في «المصور»^(٢) التي علمت أنها توزع في كل البلاد العربية أعداداً هائلة وتحوز على ثقة الناس واحترامهم.. ولكنني بالطبع لا أعرف متى..

وزعت كتبك^(٣). تحدثت عنك كثيراً. فكرت بك. بك وحدك.. وأنت لا تصدقين.. وأنت (حين أعذب نفسي في المساء) موجودة في الماي فير^(٤) مع الناس والهواتف والضحك..

حاولي أن تكتبي لي: فندق سكارابيه شارع ٢٦ يوليو. القاهرة فسيكون أحلى ما يمكن أن يلقاني حين عودتي رسالة منك لأنني أعرف أنك لن تأتين..

أه.. يا عزيزة!

غسان كنفاني

(١) حوار صحافي.

(٢) مجلة المصور المصرية وكان يرأس تحريرها يومئذ أحمد بهاء الدين.

(٣) نسخ من كتاب ليل الغرباء حملها معه إلى القاهرة وكان الكتاب قد صدر قبلها بأشهر.

(٤) مقهى في بيروت - الروشة يجاور بيتي يومئذ كان يحلو لي الجلوس فيه أحياناً مع الأصدقاء.

عزیزتی عادیہ ..

وہوہ الہ ارضی مد : وکنزہ امامی ، ہنہ الصویرہ الرأیۃ النہ
تکونی باشیاء کثیرۃ عینالہ وشفقتک وعلیہم الخضر الہی تملک علی بدی
مکمل تملک شرفہ علی عظم السنہ ، حبسہ بیدار الہم علی القراہی . سعادیہ
الہم الہی سونظیر لدی . افتقدلہ لاجلہم ، اسماہ ، یاجز : افتقدلہ الہ
ہذا جنونک . الہ مد اضیع لہوہ الہم عینی وانا اہبہ منہی لہا کی
اراک .

مازلتہ انقض عنہ بذلتی مرذانہ الصوفی ارجہفر الدائن . واس
رأیت کرات صغیرۃ صرک علی کتبہ فترکتہ لہا . لدی لہم نادر کالید ..
انہ تبتعث الدروع الہ عینی الہ الشقیۃ . الدروع : وانا اعرف انہی لدی
الشفیقین الخنین اغلقت الباب وترکتہی البغی عرفت ، عرفت کثیرا ایۃ
سعادۃ اعتقدہ انہ لاکونہ مدہ . لہر تبتعث کرات صغیرۃ مہ
الصوفی ارجہفر علی بذلتی ، تبتعث علی کلہا انا جلہ ، وسافرت بہ الہ
ہذا مملکتی ای عا بصرہ صغیر قادمہ منہ الہی رسولہ .

لہ انسی . کلا . نانا بجا لہ اقوالہ : م اعرف اہلہ ہذا ہذا
کلا ، ایہا " ایہا " . لم اقرب منہ ایدہ کما اقربت منہ ایہا " ایہا " ولذیک
لہ انک ، لدی ... انہ فیہ نادر ہذا ہذا : بداتہ لہ ویندوی الہی
ساختہ مدہ .

ساختہ منہ المول راکر .. بقداہلہ الموتر الہ بی . ولکنہ سفرونا
غدا ، لہمد الہ غزۃ کی شہزادہ ہا تم التسمیہ ، راکر لہول . ریدوانہ تم
کیونہ جوسی الہ اخود تسمیہ تین اربع . وسالوہ : ہدیۃ یوم ۶ کاؤ
مول کا اجد بصرہ .. الا اذا شہرت منہ الموتر وابتلہ عتوا ..

حبسہ تراہمد بصرہ ولہ ہمدیہ لہ خطفہ ، ہدیہ الہی علی القاعدہ مدہ
مدکتہ مدہ موافقہ ممانہ ... تمانہ مدہ مدہ بصرہ راکر : افرا " ایہا القفرت وہدیۃ
منہ سکتہ شراکتہ . شہزادہ الموضوۃ الہ المصور " آتی عفتہ الہی خراج
علی کل البود لوسیتہ اعلا لہ کما تہ و تونہ فی شختہ الہی واسفہ الہم .. ولکنہی
الطبع مد اعرف مدی ..

وزعت کتبہ . تحدثت مدہ کثیرا . فزت لہ . لہ وہلہ .. وائتہ لدی
صدقہ .. وائتہ (حبسہ اعذب الخسیر) سوغورۃ فی الہی غیر مد
الناس والہوائن والفقہ ..

عادیہ کتبہ لہ : نندبہ کلا بیہ لہمد الہ ۶۶ جولہ . لہالہ
نیکوہ الہی ما نیکوہ الہ بیاتہ حبسہ عودیۃ . سکتہ مدہ لہ الہی اعرف
انہ لہ تبتعث ..

آہ .. یا عزیزہ !

ملک شہزادہ

فندق الأندلس - غزة
EL - ANDALUS HOTEL
- GAZA

كازينو الأندلس - غزة
ANDALUS CASINO
- GAZA

كازينو هويدي - غزة
HAWAIDI CASINO
- GAZA

فندق قصر البحر - غزة
SEA PALACE HOTEL
- GAZA

Tel 352 ت: ٣٥٢

Tel 653 ت ٦٠٣

غزة في ٢٩/١١/١٩٦٦ Gaza

غادة

كل هذه العناوين المسجلة فوق، على ضخامتها، ليست إلا أربع طاولات على شاطئ البحر الحزين، وأنا، وأنت، في هذه القارورة الباردة من العزلة والضجر. إنه الصباح، وليلة أمس لم أنم فقد كان الصداع يتسلق الوسادة كجيش مهزومة من النمل، وعلى مائدة الفطور تساءلت: هل صحيح أنهم كلهم تافهون أم أن غيابك فقط هو الذي يجعلهم يبدون هكذا؟ ثم جننا جميعاً إلى هنا: أسماء كبيرة وصغيرة، ولكنني تركت مقعدي بينهم وجئت أكتب في ناحية، ومن مكاني أستطيع أن أرى مقعدي الفارغ في مكانه المناسب، موجوداً بينهم أكثر مما كنت أنا.

إنني معروف هنا، وأكاد أقول «محبوب»، أكثر مما كنت أتوقع، أكثر بكثير. وهذا شيء، في العادة، يذلني، لأنني أعرف بأنه لن يتاح لي الوقت لأكون عند حسن ظن الناس، وأنني في كل الحالات سأعجز في أن أكون مثلاً يتوقعون مني. طوال النهار والليل أستقبل الناس، وفي

الدكاكين يكاد البعة يعطونني ما أريد مجاناً وفي كل مكان أذهب إليه أستقبل بحرارة تزيد شعوري ببرودة أطرافي ورأسي وقصر رحلتي إلى هؤلاء الناس وإلى نفسي. إنني أشعر أكثر من أي وقت مضى أن كل قيمة كلماتي كانت في أنها تعويض صفيق وتافه لغياب السلاح وأنها تنحدر الآن أمام شروق الرجال الحقيقيين الذين يموتون كل يوم في سبيل شيء أحترمه، وذلك كله يشعرنني بغربة تشبه الموت وبسعادة المحتضر بعد طول إيمان وعذاب، ولكن أيضاً بذل من طراز صاعق.

ولكنني متأكد من شيء واحد على الأقل، هو قيمتك عندي.. أنا لم أفقد صوابي بك بعد، ولذلك فأنا الذي أعرف كم أنت أذكى وأنبيل وأجمل. لقد كنت في بدني طوال الوقت، في شفتي، في عيني وفي رأسي. كنت عذابي وشوقي والشيء الرائع الذي يتذكره الإنسان كي يعيش ويعود.. إن لي قدرة لم أعرف مثلها في حياتي على تصورك ورؤيتك.. وحين أرى منظراً أو أسمع كلمة وأعلق عليها بيني وبين نفسي أسمع جوابك في أذني، كأنك واقفة إلى جوار يديك في يدي. أحياناً أسمعك تضحكن، وأحياناً أسمعك ترفضين رأيي وأحياناً تسبقينني إلى التعليق، وأنظر إلى عيون الواقفين أمامي لأرى إن كانوا قد لمحوا معي، أتعاون معك على مواجهة كل شيء وأضع معك نصل الصدق الجارح على رقابهم. إنني أحبك أيتها الشقية كما لم أعرف الحب في حياتي، ولست أذكر في حياتي سعادة توازي تلك التي غسلتني من غبار وصدا ثلاثين سنة ليلة تركت بيروت إلى هنا.

أرجوك.. دعيني معك. دعيني أراك. إنك تعنين بالنسبة لي أكثر بكثير مما أعني لك وأنا أعرف ولكن ما العمل؟ إنني أعرف أن العالم ضدنا معاً ولكنني أعرف أنه ضدنا بصورة متساوية، فلماذا لا نقف معاً في وجهه؟ كفي عن تعذبي فلا أنا ولا أنت نستحق أن نسحق على هذه الصورة. أما أنا فقد أذلني الهروب بما فيه الكفاية ولست أريد ولا أقبل الهروب بعد. سأظل، ولو وُضع أطلس الكون على كتفي، وراءك ومعك.

ولن يستطيع شيء في العالم أن يجعلني أفقدك فقد فقدت قبلك، وسأفقد بعدك، كل شيء.

«إنني لا أستطيع أن أكرهك ولذلك فأنا أطلب حبك»^(١).. أعطيك العالم إن أعطيتني منه قبلك بي.. فأنا، أيتها الشقية، أعرف أنني أحبك وأعرف أنني إذا فقدتك فقدت أئمن ما لدي، وإلى الأبد..

سأكتب لك وأنا أعرف أنني قد أصل قبل رسالتي القادمة، فسأغادر القاهرة يوم ٥ كانون وتأكدي: لا شيء يشوقني غيرك.

غسان كنفاني

(١) هذه العبارة هي استشهاد لغسان من إحدى رسائله الوجدانية لي المنشورة في زاوية «أوراق خاصة» في جريدة المحرر، وغير المنشورة بعد في «الأعمال الكاملة لغسان كنفاني». وكان غسان يحمل لي مسودات رسائله إلي التي ينشرها وذلك بعد أن تقوم المطبعة بصفها، وقد احتفظت بتذكارات منها بخطه، لكنني لم أنشرها في هذا الكتاب، إذ من المفروض أن تصدر في مجلد خاص بها في «الأعمال الكاملة لغسان كنفاني» ما دام قد اختار أن ينشرها بنفسه في الصحف خلال حياته.

فندق الاندلس - غزة

EL-ANDALUS HOTEL - GAZA

کازینو هویلی - غزہ

HAWAIDI CASINO - GAZA

Tel • 352

٦٥٢ ت

Gaza غزة في ١٩٦٦ / ١١ / ٢٩

56

[illegible]

وَالْكَتْمَةُ مَا كَتَمْتُمْ لَهُمْ خَيْرَ الْإِنْسَانِ عَلَى الْقَوْمِ. هُوَ مَيْتَمٌ عِنْدِي. أَنَا م. أَسَدٌ صَوَابِي بَدَنِي
بَعْدَ وَوَلَدَكَ فَنَارَ الْفَيْدَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْإِنْسَانِ. أَمَّا كُنْتُ فِي بَدَنِي طَوَالَ لَوَاقِطِ زَمَانِي
فِي عَيْنِهِ وَفِي رَأْسِهِ. كُنْتُ عَذَابِي وَشَوْقِي وَإِسْرَارِي الْإِنْسَانِ تَذَكُّرُ الْإِنْسَانِ فِي عَيْنِهِ وَوَعْدُ الْإِنْسَانِ

في قدرة لم اوصفها : هي ايقاع مع فتورك ورويتك .. وفيه ادى منظرنا اراكم طلة واعلاه
مدي بيتي وبغير نفسي اسبح هولاء : اذني ، كاذبه واقفة الى هولاء وسيله يدي . احيانا اسبح
تفكيري ، واهيانا اسبح ترغيزي رأبي واهيانا نسبحني الى المتعدي ، ونظر الى عمو
الوقضي اعاني بؤري انه كاذبا قد يكون معي ، اخاوه معك مع مواهبه كل شيء واضح
معك فصل الصوره الخارج مع رقابهم . انني اقبل استيقظيه كما لم اعرف اليه هي ايقاع ،
ولست اذكر : هي ايقاع معاده موازي تن التي غلظت من غبار وصدا لولاه سنة
ليلة تركته لبيوت الى صبح

ارسله .. وعيني معك . وعيني اراك . انني تعين بالنسبة لي كثر لي
انني لا . وانا اعرف ولكن ما الامن ؟ انني اعرف انه العالم صندا معا . ولكنني اعرف انه صندا
صورة متاوية ، فلماذا لا نقف معا ؟ كفي عنه تخذي فلانا ولا انت
نقعد انه نحدد مع هذه الصورة . انا انا فقد ازلني الطروب يا فيه الغاية ولست اريد
ولا اقبل الطروب بعد . يا نيل ، ولو وضع اهل الكون على كفتي ، وروك ومعك . ولسه
يستطيع لي : العالم انه يعلني اقله عند فقدت سجله ، ولفقد بعده . كل شيء .
انني لا استطيع انه اكرهه . وذلك نانا اطلبه هبله * .. اعطيه العالم انه اعطيتني
منه قبول لي .. نانا . استيقظيه ، اعرف انني اقبل واعرف انني اذا فقدته فقدت
اثنين ما لدي . والى الابد ..

سأكتبك وانا اعرف انني قد اهل قبل رسالي القاصيه . ما عاودنا هذه يوم ه كاذبه
وتأدي : لشيء يشوقني غيره .

سيف

عزيزتي غادة

صباح الخير..

ماذا تريدان أن أقول لك؟ الآن وصلت إلى المكتب، الساعة الثانية ظهراً، لم أنم أبداً حتى مثل هذه الساعة إلا أمس ودخلت مثلما أدخل كل صباح: استرق النظر إلى أكوام الرسائل والجرائد والطرود على الطاولة كأنني لا أريد أن تلاحظ الأشياء لهفتي وخيبتني. اليوم فقط كنت متيقناً أنني لن أجد رسالة منك، طوال الأيام الـ ١٧ الماضية كنت أنقب في كوم البريد مرة في الصباح ومرة في المساء. اليوم فقط نفضت يدي من الأمر كله، ولكن الأقدار تعرف كيف تواصل مزاحها. لقد كانت رسالتك فوق الكوم كله، وقالت لي: صباح الخير! أقول لك: دمعُ.

منذ سافرت سافرت أني، وإلى الآن ما تزال في دمشق وأنا وحدي سعيد أحياناً، غريب أحياناً وأكتب دائماً كل شيء إلا ما له قيمة.. حين كنت على المطار كنت أعرف أن شيئاً رهيباً سيحدث بعد ساعات: غيابك وتركك للمحرر^(١)، ولكنني لم أقل لك. كنت سعيدة ومستثارة بصورة لا مثيل لها وحين تركتك ذهبت إلى البيت وقلت للمحرر أن كل شيء قد انتهى.

إنني أقول لك كل شيء لأنني أفتقدك. لأنني أكثر من ذلك «تعبت من الوقوف»^(٢) بدونك.. ورغم ذلك فقد كان يخيل إلي ذات يوم إنك

(١) جريدة المحرر البيروتية، حيث كان غسان يعمل.

(٢) استشهاد من زاويته «أوراق خاصة». راجع هامش ص ٢٩ من هذا الكتاب.

ستكونين بعيدة حقاً حين تسافرين.

ولقد المتني رسالتك. ضننتِ عليّ بكلمة حارة واحدة واستطعت أن
تظلي أسبوعاً أو أكثر دون أن أخطر على بالك. يا للخيبة! ورغم ذلك فما أنا
أكتب لك: مع عاطف^(١) شربنا نخبك تلك الليلة في الماي فير^(٢) وتحدثنا
عنك وأكلنا التسقية^(٣) بصمت فيما كان صاحب المطعم ينظر إلينا نظرتة
إلى شخصين أضاعا شيئاً.

متى سترجعين؟ متى ستكتبين لي حقاً؟ متى ستشعرين أنني
استحقك؟ إنني انتظرت، وانتظر، وأظل أقول لك: خذيني تحت عينيك..
غسان

(١) عاطف السمرا: صديق حميم من أصدقائي وغسان.

(٢) مقهى في الروشة.

(٣) فته الحمص وكنا نذهب آخر الليل للعشاء في مطعم شعبي يعدها في (الطريق الجديدة)
قرب المقاصد، حتى صار صاحب المطعم يتوقع حضورنا كل ليلة مع الاصدقاء، ويعاتبنا
إذا غبنا!.

تکړيزې غاړه

صبح اچير ..

هغه چې هلې اړه له اولسو وړخت پخوا اړين کي صباغ : استرحه پلنگر له اعلام ارسالي والجراس
والطرد يا الطاوله کاري لا ايسه به . نقطه موريشه ، لطيفي وظيفتي . ايووم نقطه کنت استرحه
من اهد رساله . اني ، طوکل اريام ال ۱۷ الاخير کنت انقب في لؤوم الموم حرقه به ابعلا و حرقه
استاء . ايووم نقطه نفخت يدي سه الموم له ، وکله المومدر تعرف کيف توامدن حواسي . انت
کانت رسالتي مومر المومر کله ، وثالته بي : صباغ اخير ! اقول ان : رهنه .

منذ سافرت سافرت آتيت ، وک المومر ما تزال به رنهم وانا وصديقي .. حيد امانا

خبر احيانا و آيت وانا کي کي .. هين کنت .. ح اعطاه . کنت ايووم . انما
رهنه سحوت بعد ساعات ، بخيله و ترکي اخير ، وکاني به اخوي . کنت سحيرة و
و ر سحيرة عبيرة لا يکي له . و هين ترکتی فزادته به اديست و کنت المومر به کي .

انني اقول ان عليّ ان اكتبه . انك اكرهه ، وتبغضه ، وتكرهه . ورسولك قد علم
بذلك انك تاتى الى مكة لتهلكها . فليكن لك عذر .

وقد آتيت مسجدا . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر .
ووهبه الله لك . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر .
فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر .
فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر .

فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر .
فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر .
فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر .
فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر . فليكن لك عذر .

١١١

١٩٣٧/١/١٠

غادة.. يا حياتي!

كيف تقولين لي: «لا ألومك، لك الحق... في الدفاع عن توقيتك لرحلة صيد انتهت؟» كيف تفكرين لحظة واحدة بأن هذا التعيس الذي ينتظرك كما ينتظر وطناً ضائعاً يفعل ذلك؟ كيف تعتقدين أن ذلك الرجل الذي سلخت الشوارع قدميه، كالمجنون الطريد، ينسى أو يوقّت أو يدافع عن نفسه أو يهاجم؟ ولكنني أغفر لك، مثلما فعلت وأفعل وسأظل أفعل. أغفر لك لأنك عندي أكثر من أنا وأكثر من أي شيء آخر، لأنني ببساطة «أريدك وأحبك ولا أستطيع تعويضك»^(١)، لأنني أبكي كطفل حين تقولين ذلك، وأحس بدموعي تمطر في أحشائي، وأعرف أنني أخيراً مطوق بك، بالدفع والشوق وأنني بدونك لا أستحق نفسي!.

أنت، بعد، لا تريدين أخذي، تخافين مني أو من نفسك أو من الناس أو من المستقبل لست أدري ولا يعنيني. ما يعنيني أنك لا تريدين أخذي، وأن أصابعك قريبة مني، تحوطني من كل جانب، كأصابع طفل صغير حول نحلة ملونة: تريدها وتخشاها ولا تطلقها ولا تمسكها ولكنها تنبض معها.. أعرف أعرف حتى الجنون قيمتك عندي، أعرفها أكثر وأنت غائبة وأمس رأيت عمارات الروشة، صدقيني، عارية مثل أشجار سلخها الصقيع في البراري، تطن عروقها الرفيعة في وجه السماء كأنها السياط.. بدونك لا شيء. وهذا يحدث معي لأول مرة في عمري التعيس كله.

لماذا أنت معي هكذا؟ إنني أفكر بك ليل نهار، أحياناً أقول أنني سأخلصك مني ويكون قرارني مثل قرار الذي يريد أن يقذف نفسه في الهواء، أحياناً أقول أنني سأتجلد، أنني، كما توحين لي أحياناً، أريد أن

(١) استشهاد من زاويته «أوراق خاصة» في جريدة المحرر. راجع هامش ص ٢٩ من هذا الكتاب.

ادافع واهاجم واغير اسلوبى، أحياناً أراك: ادخل إلى بيتك فوق حطام الباب وأضمك إلى الأبد بين ذراعى حتى تتكونا من جديد، عظماً ولحمًا ودماً، بحجم خاصرتك.. ولكننى فى أعماقى أعرف أن هذا لن يحدث وأننى حين أراك سأتكوم أمامك مثل قط أليف يرتعش من الخوف.. فلماذا أنت معى هكذا؟ أنت تعرفين إننى أتعذب وإننى لا أعرف ماذا أريد. تعرفين إننى أغار، وأحترق وأشتهى وأتعذب. تعرفين إننى حائر وإننى غارق فى ألف شوكة برية.. تعرفين.. ورغم ذلك فأنت، فوق ذلك كله، تحولينى أحياناً إلى مجرد تافه آخر، تصغرين ذلك النبض القاتل الذى يهزنى كالقصبه، معك وبدونك.

أحياناً تأخذينى على محمل أقل ذكاء مما ينبغى. مَنْ الذى رأيتَه، أيتها الغالية، فى الثامنة والنصف من آخر ليلة كنت فيها فى بيروت؟ إنه شيء تافه وصغير ولكن يبدو أننى أحياناً أتوقف لأقتلع من راحة يدي شوكة فى حجم نصف دبوس.. ألا تفهمين أن هذا الذى ينبض داخل قميصى هو رجل شرقى خارج من علبة الظلام؟ حتماً تعرفين. أنت هائلة فى اكتشاف مقتلي لذلك تتهربين منى أحياناً، لذلك «لا تقولين» ولذلك بالذات تقولين!

لنجعل من نفسينا معاً شيئاً أكثر بساطة ويسراً، لنضع ذراعينا معاً ونصنع منهما قوساً بسيطاً فوق التعقيدات التى نعيشها وتستنزفنا.. لنحاول ذلك على الأقل. أنت عندي أروع من غضبك وحزنك وقطيعتك. أنت عندي شيء يستعصى على النسيان، أنت نبية هذا الظلام الذى أغرقتنى أغواره الباردة الموحشة وأنا لا أحبك فقط ولكننى أوْمن بك مثلاً كان الفارس الجاهلي يؤمن بكأس النهاية يشربه وهو ينزف حياته، بل لأضعه لك كما يلي: أوْمن بك كما يؤمن الأصيل بالوطن والتقى بالله والصوفي بالغيب. لا. كما يؤمن الرجل بالمرأة!

كُتبت لك منذ أربعة أيام أو أكثر رسالة، لم أكن أعرف عنوانك قبل ذلك، وكُتبتْها يوم وصلت رسالتك إليّ، بعد خمسة أيام من وصول رسالتك

لعاطف^(١).. وأرسلت لك فيها قصاصات (يقولون هذه الأيام في بيروت، وربما أماكن أخرى، أن علاقتنا هي علاقة من طرف واحد، وانني ساقط في الخيبة. قيل في الهورس شو^(٢)) إنني سأتعب ذات يوم من لعق حذائك البعيد. يقال أنك لا تكثرين بي وانك حاولت أن تتخلصي مني ولكنني كنت ملحاحاً كالعلق. يشفقون علي أمامي ويسخرون مني ورائي، ويقرأون لي كما يقرأون نماذج للشاعر المجنون^(٣)... ولكن ذلك كله يظل تحت ما أشعره حقاً، فأنا أحبك بهذه البساطة والمواصلة التي لا يمكن فهمها في شارع الحمراء، ولا على شفاة التافهين).

أرى عاطف أحياناً: يمر على مكتبي ونتحدث عنك ولكنه يشعر بالبرد فيذهب إلى بيته، أما أنا فالبيت أكثر برداً من أن أذهب إليه.. يسألني عن شخص مسافر إلى لندن، أعتقد أنك طلبت منه أن يرسل شيئاً لك.. إنه في صحة جيدة ويضحك دائماً وموجود في كل مكان، كما تعرفينه، ومنذ أسبوع تقريباً، ذهبنا وشربنا معاً كأساً صامتاً حوالي ساعتين. وأمس ليلاً كان هنا وقال لي انه سيكتب لك، فقلت له: أما أنا فقد فعلت. ضحك وقال: ١٢ صفحة؟

منذ ذهبت سافرت أني لدمشق، وحتى الآن لم تعد فالطريق مغلق بالثلوج والجو بارد ولكن سيارتي تتقد دائماً وعجلاتها لا تكف عن سلخ الإسفلت، دونما هدف. الراديو أخرس ما يزال، والشوفاج فوضى، والزمور لا يصرخ إلا إذا انعطفت للسيار والسائقون الآخرون مستعجلون كما كنا نراهم دائماً لا أفتح لهم الطريق إلا مع شتيمة وليلة أمس غيرت عجلأ تحت المطر قرب المكان الذي غيرت فيه ذات يوم عجلأ صعباً معك، وحين انتهيت خيل إلي أن وجهي كان مفسولاً بالدموع لا بالمطر: فقد فتحت باب السيارة وتوقعت أن يسقط رأسك المتكئ على الباب، كما حدث ذلك

(١) عاطف السمرا.

(٢) أحد مقاهي الأدباء في الستينات في بيروت.

(٣) كان غسان يكتب نصوصاً وجدانية في زاويته الخاصة بجريدة المحرر ولم تُجمع بعد في كتاب.

اليوم.

تعالى، يا أجمل وأذكى وأروع قطرة في هذا العالم كله. ألم تشتاقي
لماكس والقرود المدهوش والحطاب الغاضب والعجانة^(١)؟ ألم تشتاقي
لغسان؟

كنت أسفاً جداً حين كتبت لك عن تلك الألمانية^(٢) التي نسيت
اسمها الآن. خشيت أن تتصورى أنني أمتع نفسي بطريقة أو بأخرى.
لا. لقد كانت كأساً باردة لكحول عمياء أمام طاولة رجل طريد. إن الحرية
لا يمكن أن تكون شيئاً يأتي من الخارج، وأنا الآن طليق إلى أبعد حد،
ولكنني حين التفت أسمع أصوات السلاسل الغليظة تخش وترن في
صدرى..

أريد أن أكتب لك، أن أكتب لك كل لحظة، ليل نهار: في الشمس
التي بدأت تشرق بحياء، تحت سياط الصقيع، في الصباح البارد والمساء
والعتمة، في ضياعي وجنوني وموتي.. (اطمئني: إن صحتي جيدة، وآخر
ثلاثة أيام كنت مريضاً جداً ولكنني لم أنم، واليوم أحسن) لم أكتب
شيئاً في روايتي، أعمل في المحرر كما كان يعمل العبيد العراقيا في
التجديف، لدي فكرة لمسرحية سترينها في الأوراق الخاصة^(٣) لا أعرف
متى سأكتبها.. أعرف فقط أنني أنتظر.

أنتظر. أنتظر. أنتظر. وأفتقد أكثر مما في توق رجل واحد أن
يفتقد امرأة واحدة، وأحبك، ولن أترك أبداً سمائي التي تحدثت عنها
«تفجر الثلج»، إنني فخور بأثار خطواتنا ولا أريد لشيء، حتى السماء،
أن تكتسها.

غسان كنفاني

بيروت (الآن وغداً وإلى الأبد)

ولكن صادف أن كتب في ١٩٦٧/١/٢٤

(١) تماثيل في بيتي كان يطلق غسان عليها الأسماء ويحاورها وعلى رأسها بومة أسماها ماكس!.

(٢) نسي أن يكتب لي عنها ونسي أنه نسي!

(٣) اسم زاوية في جريدة المحرر يومئذ.

عادة - يا هياقي !

كيف تقولين لي : يا اولادك ، يا اولادك ... يا الدجاج عن توقيتي (صلة صيد انكثت ؟ - كيف تنكسر طرفة واحدة يا هذا القبيح الذي ينتظر كما ينتظر وطناً ضائعاً يفعل ذلك ؟ كيف تعتقدين ان ذل الرجل الذي سكت التوراج مقلده قدميه ، لا يحجون الفريد ، ينسى او يوقت او يدافع عنه منه او يراهم ؟ ولكنني اغفر لك ، مثلاً فعدت من قبل وسأظل افعل . اغفر لك ذلك عذري انك معانا وانك مع اي شيء آخر ، لاني ببساطة اريدك واصبك ولا استطيع تقويضك " ، لاني اكفي كطعن حين تقولين ذل ، وامس يدومي تطرأ املي ، واعرف انني افيرا مطلق بله ، بالدف والوثوق ولاني بدون ولا استحقه بنفسي !

انت ، بعد ، لا تدريين اخذي ، تخافين مني او من نفسي او من الناس او من المستحيل لت ادري ولا يعني . ما يعني اني لا تدريين اخذي ، وانما اصابعك قريبة مني ، تقوطين من كل جانب ، كما يصح طعن صغير في حول كحلة مخلوقة : تريها وتشاها ولا تطلقها ولا تتركها ، ولكنك تبصص معدة .. اوف اعرف حق الشون فيقول عذري ، اعوز انك وانت غائبة وامس رأيت عجات الوتة ، صدقيني ، عاريت مثل اشياء كثيرة الصقيع في البراري ، تظن عروقة الرفيعة في وجه يسار كاذب اليك .. بدون لاشي . ولذا كذبت في رسول مرة اخرى القبيح كله .

ماذا انت معي هكذا ؟ انني امزجته ليل من - احياناً اقول انني اخلص مني وكوبه قاري مثل قرار الذي يريد ان يقذف نفسه في الهوار ، احياناً اقول انني لا تجدد ، انني ، كما توهين في احياناً ، اريد ان ارفع واهاجم واغترس اسلوبي ، احياناً اراك : ارض الربيت فوقه طعام ليل ، واصبح في المدينية ذراعي حتى تتكلموا مع هبيد ، عظماء وطناً ودعاً ، بحجم خاصرك .. ولكنني من الميغ في اعرف ان هذا له حيوته وانني حين اراك اكون اجملة مثل قط الدف يرتش مع الخوف .. فلماذا انت معي هكذا ؟ انت تعرفين انني اعذب وانني لا اعرف ماذا اريد . تعرفين انني اعلم ، واعرفه واستهفي واعذب . تعرفين انني طائر رائي عارقه في الف سوكة برية .. تعرفين .. ورغم ذلك مانت ، فومع ذلك كله ، تقوليني احياناً اني مجرد آفة آخر ، تعرفين ذلك النبض القائل الذي يهذي كالقصبة ، وعن ويدونه .

احياناً تأخذيني مع قلمي اقل ذكاري ما ينبغي ، مع الذي رأيت ، اني اعالية ، في النامنة والفضة مع آخر ليلة كنت فيه في بيوت ؟ انه شيء آفة وصغير ولكنه يبدو انني احياناً اتوقف لا متحرج مع راحة يدي سوكة في حجم نصف دبوس .. الاتقيمين ان هذا الذي ينفض رافق قميصي بعدد من شرقي طائر مع عليه الظلام ، صمًا تعرفين . انت هائلة في انكاف مقبلي لذن تتدبرين مني احياناً ، لذن لا تقولين ، ولذل بالذات تقولين !

تخجل من نفسي معاً شيئاً انك باطلة وسيرا ، ليفض ذراعنا معاً ورضخ معاً قوساً بسيطاً فومع التتقيونات التي نعيشها ونستوفد .. نحاول ذلك على المرقع . انت عذري اروع مع غضبي وهزلي وقطعتك . انت عذري شيء يستحق من النسيان ، انت نبيلة هذا الظلام الذي اغرقني في غوره الباردة الموحشة وانما اصابعك فقط ولكنني اومن به مثلاً كانه الفارس الماهلي يؤمن كالحات النكبة يشرب وهو يترقب حياته ، في لانه له كما لي : اومن به كما يؤمن الاصيل بالوطن والذتي بالذات والصوفي بالخب . لا . لا .

يؤمن اربعين  امرأة !

كتبته اليه منذ اربعة ايام او اكثر رسالة . ثم انك اعزته بخلافه قبل ذلك ، وكتبته يوم وطلعت رسالتك
الي ، بعد خمسة ايام منه ووصلت رسالتك لحافظ .. وابتدت به فنيح حصة . مقاصد (يقولون هذه الايام)
وجئت ، وربما انك اكرهني ، ان لا اكتبك في علاقة مع طرف واحد ، وانني سادك او احييت . قبل ان
يخلص شو انني سادك ذات يوم منه بعد هذا العبد . يقول انك لادكرتين في وانك جاديتك
تفنيح في وكنيت كنت طامحا كالمثل . شفقوه في امامي وسجودوه في ورائي ، وقراوه في كما قراوه
فازج لسامرا بخون ... ولكنه ذلك كله على قلت ما اسكره دقا ، فانا اصبر هذه السابعة والمائة
التي لا يكون ضيق او سادك فيكون ، ولدني شفاه التانيين) .

اريد كما لطف احيانا : يرع بكنتي وشدت علك ولكنه يشكر بالجد فيذهب الي بيته ، اما
فالبية اكثر برأ منه ان اذهب اليه .. يادني من شخص سافر الي نفسه ، اعتقد انك طلبت منه ان
يرسل شيئا من .. انه في صحة جيدة وصحتك دائما وهو موجود في كل مكان ، كما ترفينه ، ومنذ اسبوع ترفين
ذهبا وشرب دقا كالتا صاها هوالا ساعتين . واسدلا كما هذا وقال لي انه سلكته الى ، فقلت
له : اما ان فقدت مغلتي . صحتك وقال انما صحتك ؟

منذ ذهبت سافرت الى لاديه ، ومنى بزم لم تعد فانطويه مغلوبا للروح والروح بارد ولكنه
سارني تنقد دائما وتخلتني سادك في سبي الرصعة ، وروا هدف . الاديو افرس مايزال ، والسفر
فدني ، والصوره لا يغير الا اذا انطقت لسيار والسفوف افرس مستجوبه كما كانا زاهم دائما
لا افنيح الى الطريق الذي مع . البنية ولبعض من شئت عجلت في النظر قرب المظلم الذي غيرت
فيه زاح يوم عجلت صعبا معد . وفيه انجيت فيل الي ان واهبي كانه مسؤولا للدفع لا يسطر
نقد تحت باب السيرة وتوالت انه يقط رأس المكنى في الباب ، كما حدث ذلك اليوم .

فاني ، يا اهل ذلك واروح رطبة في هذا العام كله . ام تبت في عاكس والقرد
المدفوع والطاب الحاضيه والعجالة ؟ ام تشتت في زمان ؟

كنت آسفا جدا حين كنت في عنك من زمان برمانع التي نسيه اسمها بزم . حينه ،
تفوي اني اصبح نفسي بطليقة او بارق . لا . لقد كانت كالتا بارقة كالحول حياء اما طامقة
اريد طريد . ان الحرية لا يكون ان تكون شيئا ياتي منه الخارج ، وانما انه طليد الى احد حد
ولكنني حين التفت اسسم اصوات السلاس الغليظة تشن وترن في معدتي ..

اريد ان اكتب لك ، ان اكتب لك كل لحظة ، ليل نهار : في شئ اني برأت تشوق حياء ،
تنت سوط الصنيع ، في الصباح لبارد والمبار والعتمه ، في ضياعي وهنولي وسوي .. (اكتب)
ان صحتي صيدة ، وافر ثلثة ايام كنت وضيا جدا ولكنني لم اتم ، واليوم احضن) لم اكتب شيئا
روايتي ، انني في الحجر كما كان يعمل العبيد الجرايح في التديف ، لدي نارة مصرية ستريها
الارواح الماسية سادك حتى شاكنتي .. اعرف قط انني انتظرك .

انتظرك . انتظرك . انتظرك . انتظرك . انتظرك . انتظرك . انتظرك . انتظرك . انتظرك . انتظرك .
وانك ، واجبه ، وله اسره يا سادتي انني تبت عنك . قفتر النبل ، انني نخور بآه -
ظلمات ولا اريد شيئا ، اني نساء ، انك كنسرك .

البريد

بروت (انك وذا والبريد)
ولكنه ينادي انه كبر في ١٤٤٠ / ١ / ١٦٧

بيروت ٣١/١/١٩٦٧

عزيزتي غادة..

وصلتني رسالتك، فيهما قصاصات من الأوراق الخاصة^(١) بحركة صغيرة، شحطة واحدة فوق نهايات الحروف أعدتِ إلى عالمي المعنى والتوهج وجلدني الشوق لك وأسرنى ذكاؤك الذي أفتقده بمقدار ما أفتقد كفيك وكفتيك..

أيتها الشقية الحلوة الرائعة! ماذا تفعلين بعيداً عني؟ أقول لك همساً ما قلته اليوم لك على صفحات الجريدة^(٢): «سأترك شعري مبتلاً حتى أجففه على شفتيك!» أنني أذوب بالانتظار كقنديل الملح. تعالي!

أحس نحوك هذه الأيام - أعترف - بشهوة لا مثيل لها. إنني اتقد مثل كهف مغلق من الكبريت وأمام عيني تتساقط النساء كأن أعناقهن بترت بحاجبيك. كأنك جعلتِ منهن رزمة من السقط محزومة بجدولتك الغاضبة الطفلة.. لا. ليس ثمة إلا أنت. «إلى أبدي وأبدك وأبدهم جميعاً»... وسأظل أضبط خطواتي ورائك حتى لو كنتِ هواء.. أتسمعين أيتها الشقية الرائعة؟ حتى لو كنتِ هواء! ولكنني أريدك أكثر من الهواء. أريدك أرضاً وعُلماً وليلاً... أريدك أكثر من ذلك. وأنتِ؟

ليس لدينا أخبار كثيرة هنا. أني عادت فجأة. أرى عاطف^(٣) وكمال^(٤)

(١) كان يكتب لي، رسائل وجدانية في زاويته (أوراق خاصة) ويرسلها إلي في لندن (راجع هامش الصفحة ٢٩) فكتبت له مرة رسالة على هامش رسالته.

(٢) استشهاد من زاويته «أوراق خاصة» في جريدة المحرر.

(٣) عاطف السمرا. (٤) كمال طعمة.

غالباً وأمس سهرتُ مع ارتين^(١) ومع فواجهه و«بوزاته».. عاطف جاء أمس ودخل إلى المكتب غاضباً وتشاجر مع كمال لأنه لم يره منذ فترة ثم سألتني: أين كنت يوم السبت؟ عادة أرسلت شخصاً وفشتتُ عليك في المكتب والبيت طوال الليل والنهار! يا عاطف العزيز كنت في البيت وفي المكتب! لا. نعم. وانتهى الأمر هنا. غداً صباحاً سأسافر إلى القاهرة لحضور مؤتمر الصحفيين العرب وسأعود الاثنين أو الأحد.. هل سأجرك هنا؟ سيكون عنواني هناك: (بواسطة مروان كنفاني، جامعة الدول العربية، قسم فلسطين). اكتب لي، فقد يكون المطر غزيراً هناك، أحتاج إلى حروفك لأفرش أمامها راحتي التواقين لك!.

بلى. خبر مهم: أحدهم وزّع خبراً على الصحف يوم الجمعة الماضي: «سيتم في جو عائلي، خلال الأسبوع القادم، زفاف الزميل غسان كنفاني على الأديبة المبدعة غادة السمان..» المحررون في الصحف عرفوا فرموا الخبر. في آخر لحظة اتصل بي زميل من صحيفة ما يريد أن يبارك لي ويعاتبني على عدم إخباره.. ثم أخذ يركض إلى المطبعة فشال السطرين الهائلين عن الطابعة.. مرت العاصفة وأنا غير مكتثر.. لم تكن غلطة الذي دس الخبر ولكن غلطة السنوات الخمس التي مرت، لا شيء.. مزيداً من الذين يقولون: سيتعب ذات يوم من لعق حذائها. مسافر من دمشق جاء ليقول لي أن دمشق تتحدث عنك، حسناً، وعني. قال إن الأوراق الخاصة^(٢) تظهر أنك معذب ومهزوم وتصطدم بالزجاج كأنك ربح صغيرة. ثم نظر إلي وأنا صامت وأبلغني: حرام.

اكتب لي.. لماذا لا تكتبين؟ لماذا؟ لماذا أيتها الشقية الحلوة؟ أتخافين مني أم من نفسك أم من صدق حروفك؟ أكتبني..

غسان

(١) يقصد كمال طعمة، وهو صديق حميم لنا أيضاً وكان يحلو لغسان أن يلقيه مداعباً بارتين الاسمر!.

(٢) أوراق خاصة: عنوان زاوية غسان كنفاني في المحرو.

عزيزتي غادة ..

وصلتني رسالتك ، فيها تفاصيل من الاوراق الخاصة . بركة صغيرة ،
شجرة واحدة مرفوعة على ارجاء الحروف أعدت الى عالمي المحي والتمهي وحلتي بلوه
من وادي ذكوة الذي انتقدته عقداً ما انتقد كفن وكفن ..
انت السحرة الملهة الرائعة ! ماذا تفعلين بعيداً عني ؟ اقول لك
هنا ما فعله اليوم مع صفحات الريح : " سترك شعري مبتلاً حتى اجفنه
لم تفتليه ! " انني اذوب بالانتظار كقنديل الملح . تقالي !

من حول هذه الايام - اعترف - بشيء لا يتقبل له . انني انتقد
مثل كلف مخلوق من الكبريت وامام عيني تتألق النساء كأن اعناقهن
بوت مجابيل . لأن جعلت منهن رزمة من القطن ~~ممزوجة~~ ممزوجة ببدون
الفاضة الطنفة .. لا . ليس ثمة الاثنت . الى ابري وابك وابهم جميعاً .. وسائل
انك ظفاري رائحة حتى لو كنت هواء .. اسحق ابي السحرة الرائعة ؟ حتى
لو كنت هواء ! وكنتي اريد اكثر من الهواء . اريد ارضاً وكلماً وليلاً ... اريد
اكثراً من ذلك . وانت ؟

ليس لدينا اخبار كثيرة هنا . آثفت عادت فحاة . اري عائلتي وكال غالباً
واس سرت مع اثنين ومع نواحيه و" بونا " .. عائلتي صار اس ودخل الى
المكتب عائلاً وتاجر مع كمال لانه لم يره منذ فترة ثم سألني : اين كنت يوم
السبت ؟ غادة اريدت شحماً وفشنته عليلاً في المكاتب والبيت طوال الليل والنهار !
يا عائلتي الذي كنت في البيت وفي كنيته ! لا . نعم . وانتي اراهم هنا . غداً صبحاً
سأرسلهم ليعلموا طعم مؤثر للعيش في الرب وسعود الرثية اوهمد .. كل
سأرسلهم هنا ؟ سيكون عواشي سلال : (جواسطة واه آتني) جامعة لول لوسية ،
شم غداً . الكتيبي . فقد يكون غداً غداً هناك ، انا الى روفه لارشي
امام عائلتي التواقين لي !

لي . نيو صام : اهلهم وزج خبراً مع الحفلة يوم الجمعة باعني : " سبت
يو عائلتي ، فلول المروج القادم - زفاف الزميل غداً كنت لي الموصية بسبعة
غادة بسبب .. " الحروف في الحفلة عرفوا زموا الخبر . في آخر طرفة العيني
زمن من سحرة ما يريد ان يدار في وعائتي مع عدم اخباره .. ثم اهدى لول الى الطنفة
فقال الطنطين الطنطين مع الطنفة .. صرت العاصفة والما غير مكثرت .. صم لم
تكن غلطة الذي دس الخبر ولكنه غلطة السوء الخس التي صرت . لاسي . مزياً
من الذي يقولوه : ليتجه ذات يوم من لول هذا ؟ . سائر من دسعه هاد ليعلم
لي انه دسعه تحت عنقه . صم ، وعني . قال انه هو رافه الخاصة تظهر ان مغرب
وهجوم وقطعهم بالبحر كاني ربح صغيرة . ثم نظرائي والاهلية والمخفي : هرام
الكتيبي .. لماذا لا تكتبين ؟ لماذا انت السحرة الملهة ؟ اتخافين
منني ام من نسل ام من بعده روفن ؟ الكتيبي ..

نيل

هذه العبارة سطرها على مظروف الرسالة
من الخارج! (تاريخها ١٩٦٧/٢/١)^(١)

أدهشني حين وصلت إلى القاهرة أنني لم أجد
رجلاً ينتظرني هناك ويقول هذه رسالة لك يا سيدي
من لندن..

يذهلني أنني حين أرفع سماعة الهاتف في هذه الغرفة
العالية لا أسمع على الطرف صوتك..
أقول لك: يخيفني أن أرفع رأسي الآن، عن هذه الرسالة،
فلا أجدك جالسة في المقعد المقابل..

(١) وحمل لي الرسالة يومئذ من القاهرة المرحوم سليم اللوزي (وكان غسان يكتب في الحوادث أحياناً باسم مستعار هو ربيع مطر). وقد اختار اللوزي اسم ربيع لأنه اسم ابنه الوحيد الذي مات صغيراً. وبعد غسان كتب آخرون بالاسم المستعار نفسه، ولا أظن أن كتاباته هذه تم جمعها. وأحب أن ألفت إليها أنظار طلاب الجامعات عسى أن يهتم أحد بجمعها في أطروحة جامعية كما أحب أن أذكر بكتابات غسان في جريدة المحرر البيروتية في زاوية أوراق خاصة في فترة عمله هناك إلى جانب كتابات كنفاني آخر الستينات في ملحق جريدة الأنوار الذي كان يرأس تحريره وهي كتابات بعضها باسمه وبعضها الآخر باسم مستعار هو فارس فارس.

١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠
 ٢٠١
 ٢٠٢
 ٢٠٣
 ٢٠٤
 ٢٠٥
 ٢٠٦
 ٢٠٧
 ٢٠٨
 ٢٠٩
 ٢١٠
 ٢١١
 ٢١٢
 ٢١٣
 ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٦
 ٢١٧
 ٢١٨
 ٢١٩
 ٢٢٠
 ٢٢١
 ٢٢٢
 ٢٢٣
 ٢٢٤
 ٢٢٥
 ٢٢٦
 ٢٢٧
 ٢٢٨
 ٢٢٩
 ٢٣٠
 ٢٣١
 ٢٣٢
 ٢٣٣
 ٢٣٤
 ٢٣٥
 ٢٣٦
 ٢٣٧
 ٢٣٨
 ٢٣٩
 ٢٤٠
 ٢٤١
 ٢٤٢
 ٢٤٣
 ٢٤٤
 ٢٤٥
 ٢٤٦
 ٢٤٧
 ٢٤٨
 ٢٤٩
 ٢٥٠
 ٢٥١
 ٢٥٢
 ٢٥٣
 ٢٥٤
 ٢٥٥
 ٢٥٦
 ٢٥٧
 ٢٥٨
 ٢٥٩
 ٢٦٠
 ٢٦١
 ٢٦٢
 ٢٦٣
 ٢٦٤
 ٢٦٥
 ٢٦٦
 ٢٦٧
 ٢٦٨
 ٢٦٩
 ٢٧٠
 ٢٧١
 ٢٧٢
 ٢٧٣
 ٢٧٤
 ٢٧٥
 ٢٧٦
 ٢٧٧
 ٢٧٨
 ٢٧٩
 ٢٨٠
 ٢٨١
 ٢٨٢
 ٢٨٣
 ٢٨٤
 ٢٨٥
 ٢٨٦
 ٢٨٧
 ٢٨٨
 ٢٨٩
 ٢٩٠
 ٢٩١
 ٢٩٢
 ٢٩٣
 ٢٩٤
 ٢٩٥
 ٢٩٦
 ٢٩٧
 ٢٩٨
 ٢٩٩
 ٣٠٠
 ٣٠١
 ٣٠٢
 ٣٠٣
 ٣٠٤
 ٣٠٥
 ٣٠٦
 ٣٠٧
 ٣٠٨
 ٣٠٩
 ٣١٠
 ٣١١
 ٣١٢
 ٣١٣
 ٣١٤
 ٣١٥
 ٣١٦
 ٣١٧
 ٣١٨
 ٣١٩
 ٣٢٠
 ٣٢١
 ٣٢٢
 ٣٢٣
 ٣٢٤
 ٣٢٥
 ٣٢٦
 ٣٢٧
 ٣٢٨
 ٣٢٩
 ٣٣٠
 ٣٣١
 ٣٣٢
 ٣٣٣
 ٣٣٤
 ٣٣٥
 ٣٣٦
 ٣٣٧
 ٣٣٨
 ٣٣٩
 ٣٤٠
 ٣٤١
 ٣٤٢
 ٣٤٣
 ٣٤٤
 ٣٤٥
 ٣٤٦
 ٣٤٧
 ٣٤٨
 ٣٤٩
 ٣٥٠
 ٣٥١
 ٣٥٢
 ٣٥٣
 ٣٥٤
 ٣٥٥
 ٣٥٦
 ٣٥٧
 ٣٥٨
 ٣٥٩
 ٣٦٠
 ٣٦١
 ٣٦٢
 ٣٦٣
 ٣٦٤
 ٣٦٥
 ٣٦٦
 ٣٦٧
 ٣٦٨
 ٣٦٩
 ٣٧٠
 ٣٧١
 ٣٧٢
 ٣٧٣
 ٣٧٤
 ٣٧٥
 ٣٧٦
 ٣٧٧
 ٣٧٨
 ٣٧٩
 ٣٨٠
 ٣٨١
 ٣٨٢
 ٣٨٣
 ٣٨٤
 ٣٨٥
 ٣٨٦
 ٣٨٧
 ٣٨٨
 ٣٨٩
 ٣٩٠
 ٣٩١
 ٣٩٢
 ٣٩٣
 ٣٩٤
 ٣٩٥
 ٣٩٦
 ٣٩٧
 ٣٩٨
 ٣٩٩
 ٤٠٠
 ٤٠١
 ٤٠٢
 ٤٠٣
 ٤٠٤
 ٤٠٥
 ٤٠٦
 ٤٠٧
 ٤٠٨
 ٤٠٩
 ٤١٠
 ٤١١
 ٤١٢
 ٤١٣
 ٤١٤
 ٤١٥
 ٤١٦
 ٤١٧
 ٤١٨
 ٤١٩
 ٤٢٠
 ٤٢١
 ٤٢٢
 ٤٢٣
 ٤٢٤
 ٤٢٥
 ٤٢٦
 ٤٢٧
 ٤٢٨
 ٤٢٩
 ٤٣٠
 ٤٣١
 ٤٣٢
 ٤٣٣
 ٤٣٤
 ٤٣٥
 ٤٣٦
 ٤٣٧
 ٤٣٨
 ٤٣٩
 ٤٤٠
 ٤٤١
 ٤٤٢
 ٤٤٣
 ٤٤٤
 ٤٤٥
 ٤٤٦
 ٤٤٧
 ٤٤٨
 ٤٤٩
 ٤٥٠
 ٤٥١
 ٤٥٢
 ٤٥٣
 ٤٥٤
 ٤٥٥
 ٤٥٦
 ٤٥٧
 ٤٥٨
 ٤٥٩
 ٤٦٠
 ٤٦١
 ٤٦٢
 ٤٦٣
 ٤٦٤
 ٤٦٥
 ٤٦٦
 ٤٦٧
 ٤٦٨
 ٤٦٩
 ٤٧٠
 ٤٧١
 ٤٧٢
 ٤٧٣
 ٤٧٤
 ٤٧٥
 ٤٧٦
 ٤٧٧
 ٤٧٨
 ٤٧٩
 ٤٨٠
 ٤٨١
 ٤٨٢
 ٤٨٣
 ٤٨٤
 ٤٨٥
 ٤٨٦
 ٤٨٧
 ٤٨٨
 ٤٨٩
 ٤٩٠
 ٤٩١
 ٤٩٢
 ٤٩٣
 ٤٩٤
 ٤٩٥
 ٤٩٦
 ٤٩٧
 ٤٩٨
 ٤٩٩
 ٥٠٠
 ٥٠١
 ٥٠٢
 ٥٠٣
 ٥٠٤
 ٥٠٥
 ٥٠٦
 ٥٠٧
 ٥٠٨
 ٥٠٩
 ٥١٠
 ٥١١
 ٥١٢
 ٥١٣
 ٥١٤
 ٥١٥
 ٥١٦
 ٥١٧
 ٥١٨
 ٥١٩
 ٥٢٠
 ٥٢١

CLEOPATRA
PALACE HOTEL

فندق
كليوباترا

IN THE HEART OF MODERN CAIRO
TAHREER SQUARE
TEL. 70420 (10 LINES)
TEL. ADDRESS «CLEOTEL»

في قلب القاهرة.. ميدان التحرير
تليفون: ٧٠٤٢٠ (١٠ خطوط)
تلفرافيا: «كليوتيل» القاهرة

ليل ١٩٦٧/٢/١

عزيزتي غادة.. يلعن دينك!

ما الذي حدث؟ تكتبين لكل الناس إلّا لي؟ اليوم في الطائرة قال لي سليم اللوزي أنك كتبت له أو لامية^(١) لم أعد أذكر، وأمس قال لي كمال^(٢) انه تلقى رسالة منك... وآخرين! فما الذي حدث؟ لا تريدني الكتابة لي؟ معلى! ولكن انتبهى جيداً لما تفعلين: ذلك سيزيدني تعلقاً بك!

اليوم صباحاً وصلت إلى القاهرة، وفي الظهر مرضت، ربما لأنني لم أنم أمس إطلاقاً، وربما لأن الطقس تغير فجأة: من البرد الخبيث المتسلل من الجبل إلى بيروت، (إلى قميصي بالذات!) إلى الشمس الصريحة في الدفء الشتوي الرائع هنا.. وهكذا تخلصت من مسؤولياتي في المؤتمر^(٣)، وتشاجرت مع شقيقي وقمت بجولة في المقاهي حيث قابلت الأصدقاء وعدت، لأكتب لك!

(١) أمية اللوزي زوجة سليم وهما صديقان حميمان لنا.

(٢) كمال طعمة، صديق مشترك كان يُشاركنا السهر وعاطف السمرا وسواهما من الأصدقاء.

(٣) المؤتمر السياسي لاتحاد الصحفيين العرب وكان غسان منتدباً من إحدى المنظمات لتمثيل فلسطين.

يكبر غيابك في صدري بصورة تستعصي على العلاج، يدهشني
أنني لم أجد في المطار شخصاً يقول لي: رسالة لك يا سيدي من لندن.
يخفق قلبي كلما دق جرس الهاتف في هذه الغرفة العالية ثم لا أسمع
صوتك ينادي، كالوشوشة: «غيسان! أقول لك أيتها الشقية: أخاف أن
ألتفت هذه اللحظة إلى الكرسي المقابل فلا أراك هناك! ماذا تراك تفعلين
الآن؟ أعوضت غسانك التبعيس؟ هل وفقت في استبدال سذاجته وحدته
وضيق أفقه وسخافات (واستقامته الطفلة) بشيء أكثر جدوى؟ أتعقدين
أنك نجحت في طمري تحت أوراق «سقوطهم إلى القمة»^(١)؟ هل نجحت
قطع الضباب بلندن في تكوين نعش لذكرياتنا؟ هل جف مرج الشوك
الحلو؟ هل ستعودين؟

لو كنت هنا. لو كنت معي في هذه الغرفة البعيدة العالية لكان
العالم. دونك لا يستطيع الجدار أن يخبئ شيئاً. أترك تشعرين كم
يموت عمرنا أمام أعيننا؟ أترك تحسين وأنت في منفاك الاختياري كم
يقتلني خوفك وكم يحز تردك في أوردتي؟ ثم لا تكتبين! إذا كنت تعقدين
إنك حرام على يدي فهل حروفك حرام على عيني؟ ومع ذلك فسأترك بيدار
القش تلتهب في صدري وجسدي حتى يأتي ذات يوم تطفؤها فيه
راحتك. أنت. أيتها المرأة قبل ألف مرة من أن تكوني أديبة وكاتبة. أنت،
الأديبة والكاتبة والذكية التي تجعل منك ألف امرأة!

إنني مريض حقاً. لا أريد أن أشعرك بأي قلق علي (إن كان ذلك
ممكناً)، ولكن الغرفة تدور الآن، وكالعادة أحتاج كما أعتقد إلى نوم
كثير... بطاقتك التي وصلتني إلى بيروت (شو هالبرد)^(٢) كانت رائعة، هل
قلت لك ذلك في الرسالة الماضية؟ أريد أن أجد لدى عودتي صندوقاً من
الرسائل في حجم شحنة ويسكي. أوصيتُ زميلاً أن يحمل لك ٢٠ علبة

(١) رواية كُنتُ أعمل عليها آنذاك، عنوانها: «السقوط إلى القمة».

(٢) كتبت من لندن إلى غسان بطاقة فيها عبارة واحدة: شو هالبرد!...

(سالم)^(١)، سمعت عاطف يقول إنه تلقى منك طلباً بهذا الموضوع، أرجو أن يكونوا قد وصلوا، إذا وصلوا لا تنفخي مع دخانهم اعتزازي بك، وبكل شيء لك ومنك وعنك.

غسان

اليوم الأربعاء.. أعتقد أنني سأعود السبت إلى بيروت، أريد أن أقرأ منك!.

(١) نوع من السجائر.



IN THE HEART OF MODERN CAIRO
TAMRER SQUARE
TEL. 70429 (10 LINES)
TEL. ADDRESS 'CLEOTEL'

في قلب الصاعرة -- هذا هو القصور
 طموح : ٧٠ (٩٠ خطوط)
 تنظر انما : كلب و قمل = الصاعرة

پیش ۱/۲/۳/۴/۵

عزیزتا عادی .. یه سر دینده !

والذي عدت ؟ كتبتهم فكل واحد في اليوم في الساعة قال لي سيدنا المني
انك كتبت له اوريقه في احد اكر ، واسمك كان انه كتبت رجالة جله ... وانه في امانه
عدت ؟ لا تريد ان كتبت في ؟ محض ! والله انتبني بعد ان تفتن : ذلك في حقيقه

[illegible][illegible][illegible]

مصر للفنادق
MISR HOTELS

Concord

ایچا۔ اترامہ! یوحنا مراد... اعتدائی سافوڈیسی کے الیوت

القاهرة ١٩٦٧/٢/٤

عزيزتي الشقية، الضائعة، المسافرة التي لا تتذكر!

غداً ظهراً سأكون من جديد في الفراغ الجديد في بيروت، لقد حدثت أمور هامة هنا منذ وصلت، فقد أبلغتني المنظمة التي انتدبتني لتمثيل فلسطين في المؤتمر السياسي لاتحاد الصحفيين العرب أنها قررت فجأة، ولأسباب تافهة كما يبدو لم يقدر لي أن أعرفها، أن تقاطع المؤتمر، وهكذا وجدتني فجأة بلا عمل، وجعلني هذا الوضع أكثر استعداداً لأن أسقط في المرض الذي كنت أترقبه بجزع، وأمس حدث ما كنت أتوقعه: فقد أمضيت معظم نهاري في الفراش. كنت في الليلة التي سبقت قد حولت صدرتي إلى زجاجة معبأة بالدخان المضغوط، دخلت ٦ علب وأمضيت النهار التالي أسعل وأدخن وأسعل وأدخن من جديد، وأمس ليلاً كان جسدي قد تعب من هذه اللعبة واستسلم أمام عنادي وهكذا قمت فسهرت عند بهاء^(١)، ثم اقتادني الأصدقاء، بعد ذلك، إلى الليل ونمت في الصباح... وغداً الأحد سأعود، إذا لم يطرأ أي جديد.

عبر ذلك كله جئت أنتِ، وكنت معي رغم أنفك ورغم جميع الذين كانوا معك والذين كانوا معي، وفكرت بك بهدوء، كما يجلس الإنسان العاقل ليلعب الشطرنج معتزماً أن يربح الجولة بأي ثمن، وقلت لنفسني: يا ولد، أنت أصغر من أن تكون دونها وأعجز من أن تغلق الباب. كان «الملك»، على رقعة الشطرنج، معذباً وبعيداً عن جواده وقلعته ورغم ذلك

(١) أحمد بهاء الدين.

فقد كان يقاتل بكل دمائه النبيلة، ناجحاً في أن يتجنب التلطيخ بوحل الميدان الشاسع وحمأ الهزائم. كان يعرف أن التراجع موت وأن الفرار قدر الكذابين. إنه فارس اسبارطي حياته ملتصقة على ذؤابة رمحه يعتقد أن الحياة أتفه من أن تعطيه وأنه أكبر من أن يستجدي ولكنه يريد أن يأخذ وأن يعطي بشرف مقاتل الصف الأول. ليس لديه ما يفقده ورغم ذلك فهو يعرف أنه إذا فقد هذا الشيء الوحيد الذي يعتز به فإنه سيفقد نفسه. إنه المقاتل والخصم والميدان والسلاح في وقت واحد طعاً، فكيف يربح وكيف يخسر؟ كيف يكون التقدم وكيف يكون التراجع: هذه هي أيتها الشقية لعبة شطرنج لا تنتهي، يظل اللاعب حاضناً رأسه الثقيلة بين كوعيه يتبادل النظر مع الملك الصامت على الرقعة المزدحمة بخبب السنايك المهزومة، دون أن تستطيع الجياد مغادرة الرقعة المقطعة بأقدار الرجال والخيول والملوك الذين يذلهم أنهم لم يولدوا على صهوات خيلهم كما تولد التوائم السيامية.

إنني أريدك بمقدار ما لا أستطيع أخذك، وأستطيع أن أخذك بمقدار ما ترفضين ذلك، وأنت ترفضين ذلك بمقدار ما تريدان الاحتفاظ بنا معاً، وأنت وأنا نريد أن نظل معاً بمقدار ما يضعنا ذلك في اختصاص دموي مع العالم.. إنها معادلة رهيبة، ورغم ذلك فأنا أعرف بأنني لست أنا الجبان، ولكنني أعرف بأن شجاعتي هي هزيمتي، فأنت تحبين، في، أنني استطعت إلى الآن أن لا أخسر عالمي، وحين أخسره سأخسرك، ومع ذلك فأنا أعرف أنني إذا خسرتك خسرت.

أستطيع أن أكتشف ذلك كله كما يستطيع الجريح في الميدان المتروك أن ينقب في جروحه عن حطام الرصاص، ومع ذلك فهو يخاف أن ينتزع الشظايا كي لا ينبثق النزيف. إنه يعرف أن الشظية تستطيع أن تكون في فوهة العرق المقطوع مثلما تكون سداة الزجاجة ويعرف أن تركها هناك، وحيداً في الميدان، يوازي انتزاعها. فالنهاية قادمة، لا محالة... ولو كان شاعراً فارساً يمتطي صهوة الصحراء الجاهلية لاختر

أن يموت رويداً رويداً: يده على كأسه الأخيرة وعينه على النزيف الشريف.

ليقف الفارس في ذلك الخلاء الأجرد ويصيح في وجه الريح: إنني أحبك! فذلك هو قدره الذي تتوازي فيه الخسارة بالربح. إنك الخصب، أيتها الجميلة الشقية.. وليس ثمة إلا أن أنتظر في غيابك وفي حضورك. في الشمس وفي المطر، تحت تطاير الكلمات من شفاهنا وبين التصاقهما. وثمة حقول من طحلب غير مرئي اسمه الانتظار تنمو على راحتي يدينا حين تمطر فوقهما المصافحة، هناك جسر من الانتظار تشده أهدابنا إلى بعضها حين تتبادل النظر. إن الإنتظار، فيما بيننا، حفرة تكبر كلما عمقت أظافرنا اكتشافها، اننا لا نستطيع أن نردمها بأي شيء فليس في علاقتنا ما نستطيع أن نستغني عنه لنخطو إلى بعضنا فوقه.

اكتبي أيتها الحلوة الذكية. تمسكي بهذا الشيء الذي يستطيع أن يكون إلى الأبد درع أكثر مما يستطيع أي رداء مبتكر (وقصير) أن يفعل. بوسعك أن تقتحمي العالم على منقار صقر فما الذي يعجبك في حصان طروادة؟ إنني واثق من شيء واحد: بالنسبة لك الحياة ملحمة انتصار تبدأ من العنق فما فوق، فلتجعلي همك هناك. لغيرك أن يعتقد أن حياته لها قمة هي الكتفان. بوسعك أن تدخلي إلى التاريخ ورأسك إلى الأمام، كالرمح. أنت جديرة بذلك وليس من هو أكثر منك جدارة. أطرحي مرة وإلى الأبد حيرتك الأنثوية المغيظة بين رأسك وركبتك فتكسبي مرة وإلى الأبد رأسك ورؤوس الآخرين وعظمة أنوثتك وجمالها الأخاذ الصاعق المفعم بالكبرياء. إنني أحبك كما لم أفعل في حياتي، أجروا على القول كما لم يفعل أي إنسان وسأظل. أشعر أن تسعة شهور معك ستظل تمطر فوق حياتي إلى الأبد. أريدك. أنتظر وسأظل أريدك وأنتظر، وإذا بذلك شيء ما في لندن، ونسيت ذات يوم اسمي ولون عيني فسيكون ذلك مواز لفقدان وطن. وكما صار في المرة الأولى سيصير في المرة الثانية: سأظل أناضل لاسترجاعه لأنه حقي وماضي ومستقبلي الوحيد. لأن لي فيه

شجرة وغيمة وظل وشمس تتوقد وغيوم تمطر الخصب وجذور تستعصي
على القلع.

أكتبني لي. هذه اللحظة وقولي: سأظل معك وسنظل معاً.

غسان

کلیو یانزا

IN THE HEART OF MODERN CAIRO
TAMREH SQUARE
TEL. 70400 (10 LINES)
TEL. ADDRESS "OLDOTEL"

في قلب القاهرة .. ميدان التحرير
 طبعه ١٩٩٠ = ٧ (١٠ خطوط)
 شامرا غنيا : كليوتيل = القاهرة

٦٥/٢/٤

عزیزتی شفیقه، الصافیة، باره التي ستذكر !

عند ظهورها من جيبها في البطن في يوم بروت ، لقد عرفت أمه هامة هذا منذ وجدت ،
فقد اجفنت المظلة التي انتبخت ليتم لي في الموت لربا في سوق ولتجنيب لوب اني قررت وفاة ،
ولسبب تأني كايوم بعد وفاة اومر ، ان تقاطع الموت ، وهكذا وصيت في وفاة ابو علي ، وعيني
هذا الوضع اني استعدنا له الحق في المرض الذي كنت اقرب به بجزء ، واسى عدت كانت
احمقها ، فقد اصبحت عظمي عري في افاض ، كنت في ليلة التي سبقت قد عرفت مديري في زجاجة
مخافة بالذمة المفقودة - وضعت في عيب واجبت اني اسبق وادعته واسحق وادعته منه
سديد ، واسى بعد كما هي قد تعبه منه هذه الامة واسحق امام عيادي وهكذا تمت فسرته
عند عيادتي ، ثم افتاد في الموصلة - بعد ذلك في الليل ومات في الصباح ... عند الموت ساجود ، اذا لم
يكن في هذا

عنه ذكركم حبيبتي انتي - وكنت معي رجلي الفلور ورجل جميع ايامك كما كان معك والذبح كما كان معي
وقد كنت له صديق - كما يحب مناه - الما في قلبك السخري معتمدا - ارج الحولة في حمار
وقد كنت في - يا ولدي انت اصغر مناه كونه دونك والجزء مناه تغلب اليك - كاه اليك - في راحة
السخري - حفيدا - وحيثما - وكنت ذلك فتد كاه - ياتي بل راحة النبية - راجي
لواك في قلبك السخري - حفيدا - كاه يرف مناه التراجع موت ولد الفلور قد -
الكلاني - انت ناسي السخري حياة ملققة - بل ذلابة رحمة فينتد انه حياة الله مناه تغلب
وانه كونه مناه - انت سخي - وكنت يريد ان يذبح - انه يطي شرب حقا في الصف الاول - ليس لديه
ما يقدره ورجل في كونه مناه - اذا فقد عذرا في كونه الذي يذبح - فانه سيقدر مناه - انت
تلقى والضم والضم والضم - وقت ما - الذي ربح وكنت خير - كيف يكون ليقدر - وكنت
كونه التراجع - هذا في اية حقيقة ناسي سخي - انت سخي - على الالعب ما كنت - راسه الحقيقة
التي كونه يتبادل في كونه مع على الصلة - الرقة الزمنية - حبيبتي - راسه
الزمنية - دونه - تلعب الجيد - مادرة الرقة الحقيقة - قد - الرجال والحيول والحول
الذي في كونه اسماء اولوا - بل حيلت ضحك - كونه المتعالم - الساسة -

[illegible]

مفتی الفیض

فندق

EL OPATRA
PALACE HOTEL

لكلويانا

IN THE HEART OF MODERN CAIRO
TANREED SQUARE
TEL. 1008 (10 LINES)
TEL. ADDRESS "HOTEL"

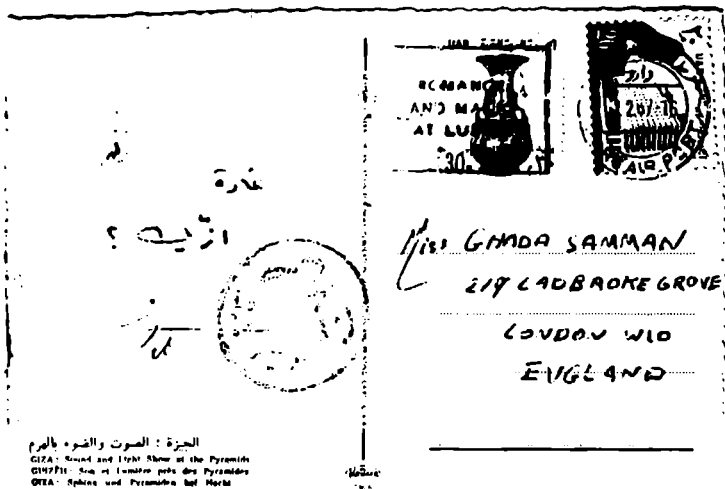
في قلب القاهرة ... في قلب القاهرة
مبنى ١٠٠ (١٠ خطوط)
عنوان: "هوتل"

استطيع له أكتفه ذلك كما يستطيع المخرج في حياته المتوالة انه يتقنه في جروحه حبه
طعام الرصاص . ومع ذلك فهو يخاف انه ينتزع الشكلا ك لا يشبهه الزينة . انه يوف انه
الخطبة تستطيع انه تفعه في فوهة العرفه المقطوع كما تكونه إدارة الزجاجة ويوف انه
تركها هناك . وصدا في حياته . يراعي التزاوج . فالخبة قادمة . لدية ... ولولاك ما عزا
ما راى يتخطى صهوة العجل الماهية لاقفاه . اموت رويدا رويدا : بيده على كاسه الوفيرة
وعينه على الشريف الشريف .
ليفتن العارس في ذمها خلوة الامرد ويحجج في وجه المخرج : انني اصبر اقله هو قدره
الذي يتوازي فيه الشدة بالروح . اني المصعب . ايتهم حبيبة الشقة .. ولست بمكة الا ان
انظره في عياله في حضرة . في يدي وفي المظرة تحت ظلال الكفاح منه لسانه
دبسه المتألم . ومنه عتق منه طبع غير مرفق . امه المتظار تخوي راحتي بدينا
حيثما تفر فقه المصاحفة . هناك جبر منه المتظار . شدة اهذبا الى بعض حبي
تبادل النظر . امه المتظار . فيها بيننا . حفرة كبر كلها حبيقت الظلمة انشأه . اننا
لنستطيع انه نردم . اي شيء فليس . يا علاقتنا ما نستطيع انه نستفي عنه لنخطو
الى حفرة فقه .

الكبي ايتهم خلوة لدمية . تسكي بذا ايتهم الذي يستطيع انه يكونه الى المبد ودمي
اكثر ما يستطيع اي رداو سبكو (وتيسر) انه يفتن . جوسعه انه تعجبي الحام عصبية
في منقار عتق في الذي يجعل في عصاه طرودة ؟ انني واحد منه شيئا واحد : انبنة في الحياة
ملحة انتصار تبادله لصفه ضا فوهة . فلحقني هذه هناك . لغيره انه يحقد انه حياته له تمت
هي الكفان . جوسعه انه تدفق في الى التايخ ورائس الى عوام . كالروح . انت جدوة بدل
وليه منه هدايت منه هداية . اطرح مرة والى المبد حيرته لاثون المنيطة بين راسي
وكبريتي نكبي مرة والى المبد رائس رؤوس الوفرية وعظيمة المؤشك وجهها الخراف
الصاعية المنعم بالكرام . انما ايتهم كالم اعلى في حياته . انبؤ الى بقوله كما في بعض اي اننا
والظن . اننا نعت سبور معه تنظر في فوهة حيا في المبد . اميد .
انظره ورا ظل اميد . وانظره . ورا بدل شيء به في لذه . ونسبة ذات يوم اسمي ولود
عمتي نكبه من ~~في~~ مؤان لفقده وطن . وكما صا . نوبرة المود سيعر في امرأة
التي : اننا لست رجاءه لانه حقي وما حقي . ولست في الوجود . لانه في فيه شجرة
ونجمة ونان وسمه تتقدم ولحوم ~~مستعصمة~~ تتراخي . وهذا . تستفي في القلق .
الكبي في . هذه اللطة رقوت : سأكل هذه ونظف معا .

Handwritten signature

بدون تاريخ



غادة
 ازيك
 غسان

Miss Ghada Samman
 219 Ladbroke Grove
 London W10
 England

بيروت ٣ نيسان ١٩٦٧

يا غادة!

تلقيت رسائلك جميعاً، ولم يؤخرني عن الجواب إلا ذلك الفرق المخيف في أشغال لا نهاية لها توجهها مؤتمر الكتاب الأفروآسيوي الذي عقد هنا خلال الأسبوع الماضي وشغلني من الفجر إلى النجر.. كان اسمك في قائمة الكتاب الذين يمثلون سوريا وكنت أقرؤه كل يوم، وأقول مثلاً قلت في إحدى رسائلك: إن ما يدور مفعج حقاً!

وعبر هذا الازدحام الذي لا مثيل له أنهمك كالمصاب بالصرع في كتابة المسرحية التي تحدثنا عنها في السيارة ذات يوم، ذات ليلة.. إنني أستشعر وأنا أكتبها طعم صوتك وبريق عينيك الإلهيتين في تلك الليلة النادرة التي كناها معاً (أواه كم كان ذلك نادراً ومفاجئاً وقصيراً!) وأحس كفيك على جبيني المحروق تستحثني مثلاً يستحث المهماز خاصرة الأصيل. أسميتها «حكاية الشيء الذي جاء من الفضاء وقابل رجلاً مفلساً» وأمس اقترحت لنفسك عنواناً آخر: «النبى والقبة» على أساس أن القبة تستر رأس الرجل من الخارج والنبى يستتره من الداخل.. وما زلت في حيرة، ولكن المسرحية تمشي على ما يرام. إنني أكتبها لك!

لنعد إلى رسائلك الرائعة ورسائلي «المفجعة».. أجل، أيتها الشقية، أنا غاضب ومهرق ومطعون.. كنت تلك الليلة مريعة. آخر ليلة. كنت مثلاً أردتك دائماً معي وحدي ولكنك لم تكوني معي، وكان هو^(١) وكنت سعيدة

(١) احد اصدقائي، وصل من دمشق فجأة، فسهرت معه عشية سفري ومع غسان الذي تضايق من حضوره.

إلى حد زلزلني صوتك الضاحك وفتح في رثتي جرحاً ما زلت أحس نزيفه
يبلل قميصي: لقد عملتُ في المكتب مثل كلب لاهث، ألغيت، لأول مرة في
حياتي، دعوة كنت وجهتها لصديق مسافر في اليوم التالي وركضت إليك:
لا! إن ذلك لا يحتمل.

وأمس فقط وصلتني رسالتك التي يقول أولها غسان ويأتي توقيعك
في آخرها وبين هذين القلبين السياميين فراغٌ ثقيل يملؤه البياض: أبغض
الألوان إليّ. وفكرت أن أملاً ذلك الفراغ. أن أكتب عنك لنفسي شيئاً. أن
أجيب على هذا السؤال الذي طرحته ورقتك البيضاء في وجهي: ما الذي
أريد أن تقول لي؟ قلت: سأكتب: «أنا لك» ولكن ذلك - حتى ذلك - لم
يكن يكفي. قلت سأكتب: «أحبك وأريد أن...» أريد ماذا؟ وعدتُ فقرأت
رسائلك جميعاً وأنا أرتجف.. أه يا غادة.. أيتها الشقية التي لم ترتطم إلا
بالشقيّ!.

دونك أنا في عبث. اعترف لك مثلما يعترف المحكوم أخيراً بجريمة
لم يرتكبها وهو في طوق المشنقة، كي يبرر لنفسه نهاية لا يريدها.

أنا أعرف أنك لن تعود لي إلى هنا. كنت أعرف ذلك منذ البدء، تماماً
حين كنت، بذكائك الذي يخونك حين تكذبين، تقولين لي كم سيكون
مستقبل علاقتنا مستقراً... وكنتُ أبكي بتلك الدموع المروعة (التي لا
تُرى) مرتين: مرة لأنك ستمضين ومرة لأنك تشكّين براسي!

وكيف حالك الآن؟ كم صار سُمك الغبار الذي راكمته لندن فوق
وجهي؟ أما أنتِ فقد دخلت إلى عروقي وانتهى الأمر، إنه لمن الصعب أن
أشفي منك.

لقد كانت رسائلك رائعة وحادة. حملني عذابك ولؤمك ثقل
المسؤولية والشعور بالذنب ولكن ذلك لم يكن له علاقة بالاقتناع: إنني
أريدك وأحبك وأشتهيك وأحترمك وأقدس حركك.. ونست أقبل تلوين ذلك
بأي طلاء أو وضعه في صيغ التحفظ. لا. لست عاجزاً عن إعطاء أكثر مما
أعطيت ولكك دائماً - أنتِ - التي كنت عاجزة عن الأخذ. كنت تحسبين

نبضي ونبضك على جدول اللغرايتمات، كنت تختارين مني أسوأ ما في وتمزجينه مع ما اخترت من أسوأ تجاربك، وكانت الحصيلة قزماً توقعته منه أن يدخل فرحاً إلى غرفة أنت فيها بملابس النوم مع رجل آخر، عشية غيابك،! لقد قتلت في الرجل لتعبدني وهماً ليس أنا.. ووجدت في اندفاعي فرصتك لتري كيف تستطيعين تعذيبني!

وكان عليك أن تتوقعي ما حدث: لم أصدق قط أنك ضد أخذ العلاقة إلى مداها. أنت امرأة حقيقية حتى كعب حذاءك وقد عرفت ذلك. إذن ما الذي كان يرغبك على بناء جدار الجليد؟ رجل آخر؟ مزيداً من الذل؟ أمور أكثر تعقيداً؟ لماذا لم تعتقدي لحظة أنني قد أخذ من هذه الاتهامات متراًساً أصد به الرماح التي كانت تنال من رجولتي ورغم ذلك: أنظري ما الذي ضيعناه! أنظري! عام كامل من المشي على الزجاج المطحون لماذا؟ من المسؤول؟ كيف تريدني أن أتصرف؟ هاك دواء يصلح للتحنيط، ضعيه في عروقي واجعلي مني شطرين أسند رف كتب تافه في غرفة لك، لا أعرف من فيها!

تريدني أن تقولي أن روعة علاقتنا كانت في أنها لم تكن؟ إنني لا أصدق. ولست أريد أن أصدق. إنني لا أقيس جسدي بصيغ التهرب والخذلان، وأقول لك: اليوم وغداً وإلى الأبد أنك أهنت في ما اعتز به أكثر مما كتبت واکتبت وسأكتب.

يبدو أننا سننتشاجر مرة أخرى.. ولكن أرجوك يا عادة. اجلسي لنفسك قليلاً واستعدي ما فعلته بي عاماً كاملاً، كان الصمت أكثر من الكلام. كان البعد أكثر من القرب. كان الوهم أكثر من الحقيقة. كان الرفض أكثر من القبول. كان التحايل أظف من المواجهة... لقد حرصت مثلاً في الأيام الأخيرة على المطالبة بأسطواناتك بانتظام وبإصرار، ولكنك أبداً لم تفكري بكم احتاج لآلة التصوير ولأسطواناتي.. وسافرت دون أن تكثرني!

إنها تلخص شيئاً أكبر من مجرد هذه الأشياء: لو فكرت قليلاً. لو

عدلت. لو أعدت بينك وبين نفسك تقييم ما كنته لي وما كنته لك... لو عرفت أنني في عام كامل كنت دائماً عندك ولك!

يا حبيبتي الشقية.. ما الذي يبقى؟ ما قيمتي الآن دونك وما نفع هذا الضياع ونفع هذه الغربة؟ لم يكن أمامنا منذ البدء إلا أن نستسلم: للعلاقة أو للبتر، ولكننا اخترنا العلاقة بإصرار إنسانين يعرفان ما يريدانه.. لقد استسلمنا للعلاقة بصورتها الفاجعة والخطوة ومصيرها المعتم والمضيء وتبادلنا خطأ الجبن: أما أنا فقد كنت جباناً في سبيل غيري، لم أكن أريد أن أطوح بالفضاء بطفلين وامرأة لم يسيئوا إليّ قط مثلما طوح بي العالم القاسي قبل عشرين عاماً، أما أنت فقد كان ما يهمك هو نفسك فقط.. كنت خائفة على مصيرك وكنت خائفاً على مصير غيري، وقد أدى الارتطام إلى فجيرة لا هي علاقة ولا هي بتر.. اتعتقدين أننا كنا أكثر عذاباً لو استسلمنا للقطيعة أو لو استسلمنا للعلاقة؟ لا!

أم أنا فأريد العلاقة. ذلك «الاستسلام الشجاع»^(١) لحقيقة الأشياء... تحدثت أنت عن «أكثر الميئات كرامة».. هل تقولين أينها؟ في العلاقة أم البتر؟ قولي شيئاً بحق الشياطين!

سأظل أكتب لك. سأظل. وسأظل أحبك. وستظلين بعيدة.. وستظل قدمي تنتفض باتجاه مكبح السيارة كلما مررت في رأس النبع^(٢) وشهدت سيارتك واقفة هناك على الرصيف.. أنت تسكنين في. أنت. وليس «كلماتك» كما كتبت لي. أنت!

.. لك

غسان كنفاني

(١) تعبير من رسالة كتبها لي ونشرها في ملحق الأنوار على النحو الذي نراه في ص ٨٢ من هذا الكتاب. وهي ككل تصوص غسان كنفاني الوجدانية الشعرية ما تزال تنتظر جمعها في كتاب يضاف إلى أعماله الكاملة.

(٢) حيث بيت الصديق عاطف السمرا سكرتير تحرير مجلة الاسبوع العربي ، يومئذ، والذي استودعته سيارتي حين سافرت.

هام: كان أحمد بهاء الدين عندي اليوم وطلب مني «جاداً ورسمياً» أن أكتب لك رجاءه ورجاء مؤسسته (دار الهلال) بأن تكتبي «للمصور» من لندن رسائل أدبية وفنية وإذا شئت سياسية بأسلوبك. إن المصور مجلة جادة وذات توزيع مرتفع وتدفع أسعاراً جيدة.. إذا رغبتِ بذلك ابعتي له رسالة إلى دار الهلال في القاهرة.. إن ذلك في رأيي فرصة جيدة ومفيدة، وسيكون الاتفاق واضحاً: يحولون لك الفلوس إلى لندن أو يفتحون بها حساباً لك في القاهرة - إنه يهديك تحياته أيضاً..

يا عازرة !

تفقت رسالتك جميعاً - ولم يترددني عند الجواب إلا ذلك الفرق الجليلي - يستعد له
 كناية طارئة مؤثر الكناية - هو الرسول الذي قد هنا فذل الرسول الذي يستعد له
 الخيال البشري - كانه حسن - في قاعة الكنائس الذين يتلون بمرحاً - وكنت اقروا كل يوم ، واقول
 كلما قمت في إحدى رسائله : انه ما يدور جميع هذا !
 وبعد هذا الزحام الذي لا يحصى له انهم كالمصابيح بالصرح في كناية جريئة التي قد تنا
 عذرا في البشارة ذات يوم ، ذات ليلة .. التي استخر وانما اكتسب طعم صوته واولاد عينيه الإيطالية في
 تلك الليلة المأدبة التي كانها مفا (واوه كم لانه لا داراً ومخاضاً وتعباً) (أ) - واسكن كنفه بحبه
 هيمي الخروف تخلفني كلما يسكنه الكهنة - خاصة الاصلية - اسبينا - حكاية لشيء الذي جاء منه
 انفسه وقابل به من نفسه - واسكن اقتضت لنفسه عذراً آخر - التي والعجبة - ثم اساس
 ان الصلوة تستمر رأس اهل هذه التي في واللي بيته - من الاطراف .. وما زالت في حيرة - وكلها جريئة
 تبتلي مع ما يرام - التي اكتسبها

لقد اني رسالتك الالفة رسالتك "الجديدة" .. اهو ، استعد ليستعد ، ان عازرة وهو
 ومعه .. كثر من اللغة جريئة - آفر لطف - كثر من استعد ارتدته وانما معي وهذا لم يوافق
 معي ، وكانه هو وكنت سبعة الى حد زلزلتي صوته الزخاوي وفتح في رثي هرباً ما زالت اجس
 تزيهه بيل قهقي - قد عشت في الكنفه كوكب لاهت - القينة - لاول مرة - هياقي ، دعوة
 كنت وصيته لهدوء سائر (البرم التي في ركنه اليل - لا ! انه لا لا يتيسر .
 راس فقط وصحتي - قد التي يقول اوطا - هناك - يأتي وقصصه في آخرها وبين
 هذه القين السابحين فراغ من يملأه المياض : ابغض اولاده التي - وفكرت انه الجند
 ذم الفراغ : انه كئيب على نفسي شيئاً - انه احيى مع هذا السؤال الذي طرته ورقك
 المصاوي : ومعي : ما الذي اريد ان تقول لي ؟ قلت : سأكتب : انما لا - وكه زن - حتى زن -
 ككلمة كيمي - فنت سأكتب : "اهن واريد ان .." اريد ماذا ؟ وعدت فمرات رسالتك
 صعباً وانما قريب .. آه عازرة .. استعد ليستعد التي لم تتركلم - لا يا لتي !

دولة انما في عيشة - اعدت ان كلما يقف الحكم اقمه - جريئة لم يتركلم - وهذا
 في طوره يستعد - كما يبرر لنفسه كناية لا يريدها

انا اعرف الله في تقوي الى هنا - كنت اعرف ان منذ البدء - تماماً هي كثر في
 لذلك الذي يتناول بين كذابين ، تقولين في كم يكون مستعين بحقوقنا سنرا - وكنت
 اكبر من الدعوى المروعة (التي لا ترمي) مرتين - مرة لوان مستحق ومن لوان شاكين براسي !
 وكنت عاقل قرة ؟ كم صار سنن الفجار الذي راكمه لشدة فؤاده وجله ؟ انما انت
 فقد اذنت الى عروفي وانجني بؤرهم - ان من الصعب ان يستفي من

لقد كانت رسالتك رائعة وعازرة - جدي عذابي - لاول مرة شئ حساً ولطف - والسفر
 بالذهب وكله زن لم كنه به عذوقه بالرفقناج : التي اردت واصلت واستطعت واصلت
 واقدس هرفه .. ولست اصدق تكون زن اي طرد او وضعه في صبيح انظر - لا لست
 عاجزاً عنه اعطاء اكثر مما اعطيت وكنت دائماً - استمر - التي كئيب عازرة من المأخذ - كنت
 تحكيه قسبي نفسي ونفسي في جدول المقلبات - كئيب قناتين مني اسوأ ما هم
 في وترحيبه مع ما افترت منه اسوأ قناتله ، وكأنت الطصوة قناتله توقعته منه
 انه يفل فرحاً في رقة استه فقه بولس الخرم مع رطل آخر - عله عازرة ، ا
 لقد قلت في الرطل لتعدي وبما ليس انما .. وودعني : انما في فرصتك
 لترى كئيب شاعطين تعديني !
 وكأنا عليل ان تنوغي ما هم : لم اصدف قط اني ضد اقد العلاقات

غادة..

لست أعرف ماذا يتعين عليّ أن أكتب لك.. لقد أرسلت لك رسالة مطولة منذ أسبوع، ومع ذلك فرسائلك تقول أنك لم تتسلمي شيئاً، وأنا أشعر بالذنب، وأخشى أن تعتقدي للحظة أنني ألعب دوراً، أو أن نبضي لك قد أخذ يخفق في فراغ، أو أنه صمت، أو أنه اتجه نحو مرفأ آخر: دونك أيتها الغالية لا شيء ولا أحد.. وغيابك - ليكن من يكن الذي سيختاره - لن يعوض.. بعدك مستحيل. دونك لا شيء ولكن غيرك غير ممكن.

أنت في جلدي، وأحسك مثلما أحس فلسطين: ضياعها كارثة بلا أي بديل، وحببي شيء في صلب لحمي ودمي، وغيابها دموع تستحيل معها لعبة الاحتيال.

لقد وقع الأمر، ولا فرار.. العذاب معك له طعم غير طعم العذاب دونك، ولكنه، دائماً، عذاب جارح، صهوة تستعصي على الترويض.

إنني أكره ما يذكرني بك، لأنه ينكأ جراحاً أعرف أن شيئاً لن يرتقها. أنا لا أستطيع أن أجلس فارتق جراحي مثلما يرتق الناس قمصانهم... ويا لكثرة الأشياء التي تذكرني بك: الشعر الأسود حين يلوّج وراء أي منعطف يمزّع جلدي، النظارات السود ما تزال تجرحني.... السيارات، الشوارع، الناس، الأصدقاء الذين تركت على عيونهم بصماتك، المقاعد، الأكل، الكتب، الرسائل، المكتب، البيت، الهاتف، كل ذلك، كله.. هو أنت، وقبله: أذكرك طالما أنا أنا.. وحين أنظر

إلى كَفِّي أحسك تسيلين في أعصابي.. وحين تمطر أذكرك، وحين ترعد
أسأل: من معها؟ وحين أرى كأساً أقول: هي تشرب؟ ثم ماذا؟

لقد صرت عذابي، وكتب عليّ أن ألجأ مرتين إلى المنفى، هارباً أو
مرغماً على الفرار من أقرب الأشياء إلى الرجل وأكثرها تجذراً في صدره:
الوطن والحب.

وإذا كان عليّ أن أناضل من أجل أن أسترده الأرض فقولي لي، أنت
أيتها الجنية التي تحيك، كل ليلة، كوابيسي التي لا تحتمل.. كيف
أستردك؟

أقول لك، دون أن أغمض عينيّ ودون أن أرتجف: إنني أنام إلى
جوارك كل ليلة، وأتحسس لحمك وأسمع لهائك وأسبح في بحر العتمة مع
جسدك وصوتك وروحك ورأسك، وأقول وأنا على عتبة نشيج: يا غادة يا
غادة يا غادة...
وأغمض عينيّ.

وحين أكتب ليس ثمة قارئ غيرك، وحين أقود سيارتي في تعب
الليل وحيداً أحدث إليك ساعات من الجنون، أتشاجر، أضحك، أشتم
السائقين، أسرع، ثم أقف: أحتويك وأقبلك وأنتشي.

إنني على عتبة جنون ولكنني أعرف قبل أي إنسان آخر أن وجودك
معي جنون آخر له طعم اللذة، ولكنه - لأنك أنت، التي لا يمكن أن
تُصلح في قالب أريده أنا - جنون تنتهي حافته إلى الموت!

أمس رن الهاتف في المنزل، ورفعت السماعة.. لم يكن ثمة أحد
يتكلم على الطرف الآخر وهمست، بعد لحظة، بصوت جبان: غادة؟

وهذا كله لا يهكم.. أنت صبية وفاتنة وموهوبة.. وبسهولة
تستطيعين أن تدرجي اسمي في قائمة التافهين، وتدوسي عليه وأنت
تصعدين إلى ما تريد.. ولكنني أقبل.. إنني أقبل حتى هذه النهاية
التعيسة!

ماذا أقول لك؟ إنني أنضح مرارة.. يعصر لساني الغضب مثلما

يعصرون البرتقال على الروشة، لا أستطيع أن أنسى، ولا أستطيع أن أبعد عن وريدي شفرة الخيبة التي بذلتُ جهداً، يشهد الله كم هو كبير، لتجعلينني أجترعها بلا هوادة!

ماذا يهم؟ ها أنتِ تكتبين الآن وأنتِ على بعد ألفي ميل ما كنت تستطيعين أن تقوليهِ حين كنا يدأ في يد... ومع ذلك فهاتي الحب! كيف؟ كيف؟

لا أعرف ماذا أريد. لا أعرف ماذا أكتب. لا أعرف إلى أين سأنتهي. والآن - خصوصاً - أنا مشوش إلى حد العمى: إن النقرس يفتك بي مثل ملايين الإبر الشيطانية. أشفقني عليّ أيتها الشقية... فذلك، على الأقل، شيء يقال.

قلت: نتحدث في الهاتف.. أما أنا فليس لدي قرش أستطيع أن أصرفه، وأن أصرفه خصوصاً على عذاب لا أحتمله. لقد تقوَّض هذا الشيء الذي كنته، وأنا حطام، وأعرف أن ذلك شيء لا يسرك كثيراً، ولكنه حدث: عنوان القصة.

حازم^(١)؟ أجل حازم، من نوع أكثر صميمية: إنني أكثر شجاعة منه في وجه العدو المعبَّد، ولكنني أقل منه شجاعة في وجه الحب.

إنني أعطيك بطل قصة، مخلوق جدير بالتفحص في أنبوب اختبار.. وسأكون سعيداً لو عرفتِ كيف تكتبين عن رجل أحبك حقاً، ولم يخطيء معك، وظل يحترمك، ولم يكثرث بأيما شيء في سبيلك... دون أن تمنحيه بالمقابل شيئاً إلا «أذان الآخرين» والاعتراب والصمت.

لا!

لا تتحدثي معي بالهاتف.. اكتبي لي كثيراً.. أنا أحب رسائلك إلى حد التقديس، وسأحتفظ بها جميعاً وذات يوم سأعطيها لك.. إنها - أيتها الشقية - أجمل ما كتبت وأكثرها صدقاً..

(١) أحد أبطال قصص كتابي ليل الغرياء.

كنتُ قلتُ لك في رسالتي السابقة انهم يريدونك لتكتبي للمصور من
لندن.. حاولي أن تفعلي، واكتبي لأحمد بهاء الدين.
أرجوك: اكتبني لي.

غسان كنفاني

مأثرة ..

كنت اعرف ماذا يقسم علي
 انه اليه كل .. لقد ارسلت له رسالة
 مطولة منذ اسبوع . ومع ذلك فاستلمت
 تقول اني لم تسلمني شيئاً ، وانا بغير
 الذنب . وافشلت انه يعتقدني مخطئة .
 اتيت العبد دوراً ، وانه ينبغي له قد
 اقد قفوه في فراغ ، وانه ضحك ،
 وانه اتجه نحو مرافق آخر : دونك
 ايها العاقلة راشية وراحد .. وعيناه
 - ليكنه منه كين الذي سجناره - لك
 يعوض .. بعدله سقيم . دونك
 راشية ولكنك غيرك غير ممكن .
 انت في حدي ، واحسسه
 مثلي احس نفسي : ضاحكاً كارتة
 بلدي بدي ، وهي شيء في صلب
 طمي ورفي ، وعيناه ربيع تقيين
 معاً لثقة الاحياء .
 لقد وقع الأمر ، ولا فزاد .. العذاب
 بعد له طعم غير طعم العذاب دونك ،
 ولكنه ، زاماً ، عذاب جارح ، صهوة
 تسقي مع الترويض .
 اتني كره ما يدركني به ، لانه
 يتلأ هراها اخوف انه شيئاً له يرتفع .
 ان لا استطع ان احس ما تدع جراحي
 يتلأ يرتفع الناس قرضانم ... ويا لكثرة
 موشاة التي تذكرني بل : السحر الأسود
 فيه يتوقع وراوي متخلف يزعج
 حليدي ، النظارات السود ما تراكب
 كبرهني .. السيارات ، السوارح ، الناس ،
 الاصدقار الذمير تركت مع عيونهم
 صباي ، المعقاة ، الأكل ، المكتبة ،
 رسالي ، المكتبة ، البيت ، الهاتف .
 كل ذلك كله .. هوانت ، ~~وهوانت~~
 وقبله : اذكرك طامعاً انا .. وجهه
 انقر الى كتي احسسه تيلين في
 اعصابي .. وجهه تحظر اذكرك ، وجهه

تؤكد أسأل : منه محرق ؟ ومنه
أرى كالأشجار ، هذ تشرب ؟ ثم
ماذا ؟

لقد صرت عذائي ، ولدت عذيت
أنا في قرنتيه إلى المنفى ، ها أنا
مزعجاً مع لغز من أقرب الأصدقاء
إلى الرهن وأكثرها هي تجزأ في صدره :
الوطن والطب .

وإذا كان علي أنه أنا من معاهل
أنه استمر الرهن فتوفي في ، أنت
أنت الجنينة التي قبله ، كل ليلة ،
كوايس التي لا تحب .. كيف استردك ؟
أقول لك : دونه أنه الحظ عيني
دونه أنه الحظ : أنتي أنا من حورقة
كل ليلة ، طعمه وأقسم شين وأسمع
هائس وأسمع في بحر الدقة فتح
هبة و صوته وروحه وأريه ،
وأقول وأنا على عتبة نسيج : يا عذارة
يا عذارة ...
والحظ عيني

وهي أكتف ليس ثمة قديراً غيرة
وهي أقود سيارتي في تحب الليل
وهي أقود الليل ساعات مع جنون ،
أنا هبة ، أعمل ، أستم السائقين ،
أسمع ، أستم : أستم : أستم : أستم :
وأنتي .

أنتي مع عتبة جنون ، ولدت أرحم
قبل أي أساءه آخر أنه وجوده في
جنون آخر له طعم اللذة ، وأنه
سراة أستر ، التي لا يمكن أنه تصلح في
قلب أريده أنا - جنون تنسني حافظه
إلى الموت !

أنا من الهاتف في المنزل ، وفت
الساعة .. لم يكن ثمة أحد يتكلم على
الطيف أظفر وهمة ، بعد طقة ،
صوت هبة : عذارة ؟

وهذا كله مرسل .. انت صبيحة
وفاقة ، وفوقية .. وبسولة
تطليه به تدريجي اسمي في
قائمة الناعنين ، وتدوسي عليه
وانت تصدين الى ما تريد ..
ولكني اقول .. اني اقول على هذه
الذات البقية !

ماذا اقول لك ؟ اني اخرج
مراة .. يعبر لاني انقلب
كلما يعرفه البريقال على الروشة ،
لا يستطيع ان اس .. ولا يستطيع
ان يعيد منه ويريدى مفرقة
الجنبة التي بولت هربا ، ثم
الله كم هو كبير ، لتجطيني اقبعة
بدهوارة !

ماذا يريد ؟ ها انت مكتسب
قوة وانت على بعد الفين مني ما
كنت تستطيع ان تقوليه فيه
كلما يد .. مع ذلك فها في
الجب ! كيف ؟ كيف ؟

لا اعرف ماذا اريد . لا اعرف
ماذا اكتب . لا اعرف الى اين ما انتي .
وتره - مضمونا - اما مضمونا
الى هذا يعني : ان المقربين يفتقد
في مثل بلايه الابريطانية
استغني على امير الحقيقة ...
فذلك ، مع الحق ، حيا يقال .

قلتر : تخارت به الهات ..
اما انا فليس لدي قرص استطاع ان
اصرفه ، وان اصرفه مضمونا على
عقاب لا اهتمه . لم تقووه هذا
الشيء الذي كنته ، وانا طام ،
واخوف ان زل شي لا سترن كثير ،
ولكنه هت اعنوا لقصته .

هازم ؟ اهل هازم ، من

نوع الترحيبية : التي الترحيبية
سنة ١٠ وهم الصداقة المحبة ، ولكنني
أقول منه شجاعة : وهم طبع .

التي أعطيت على قصة .
فكأنهم صديق بالتحفة : انبوب
أفتنا - .. وساكنه صديق له
عفت كيف تكثرت عند رجل
أمنه حقاً ، ولم يظن محله .
وخلل يترك ، ولم يترك باحدا
شيء : سبيل - .. دونه انه محبة
هو بالحق سبيلاً الا " آذان
الفرق " في الإعتاب والاعتد .

لا تتحدثني معي يا هيف .. ألبتي
في كبر .. أنا أكتب - سألته في
التقدير ، وسألتني في صيا
الفرق وراث يوم سأعطيه له .. أنا
- أكتب بنية - أعمل ما كتب
والفرق صدقاً ..

كنت قد قلت له : سأبني
السابقة أنهم يريدونك لكتبتني
للمصروف من لثمة - هاد في
تفعلني ، وألبتي لأحمدكم لذي .
أقول : ألبتي في .



بطاقة بريدية من السودان
١٧ مارس ١٩٦٨

الأخت غادة السمان

مجلة الحوادث

بيروت

لبنان

رغم كل القيظ الذي هنا أردد دائماً: شو هالبرد^(١)! لا ينقصني إلا
٣ كيلو^(٢) من الوزن أنتظرها كما ينتظر العطشان.. أذكرك، واخترت هذه
البطاقة بدقة لأنني أعرف كم تحبين الموسيقى وكم اغتاط منها... تحياتي
لكم جميعاً..

غسلان

(١) العبارة التي سبق أن كتبتها له في بطاقة بريدية.

(٢) كان يريدني أن أضيف ٣ كيلوغرام إلى وزني خوفاً على صحتي، وحتى اليوم لم أفعل!...



بطاقة بريدية من السودان

اغني كل القطع الذي هنا
اردو طائر : شوي لبرد !
لا يستصني الد ٣٠ كيلو من
النزلة انتظروها لا ينظر الملك ..
أذكر ، واثقة في هذه اللحمة
مفتحة بولني الحزن لم تبيح
الوسعي ولم الفتاة سني ...
تبيان لكم جميعا ..

[Signature]



17

الطائفة غارة السار

جولة الموار

دور

دور

بطاقة من أسوان إلى بيروت(*)

٦٨/٢/١٤

تحيات وأشواق من المؤكد أنها ستدفعني للوصول قبل هذه
البطاقة...

غسان

(١) تعذر عمل صورة (فوتوكوبي) عن البطاقة لأنها مكتوبة بحبر أحمر فاتح اللون جداً.

عزيمتي غادة..

في نفس اليوم الذي تلقيت فيه رسالتك كنت قد أخذت عنوانك من سليم^(١) وعزمت على الكتابة لك مطولاً، ولكن حين قرأت اسم كريس^(٢) في العنوان انتابني شيء غامض، واكتفيت بأن أكتب لك، على عنواني^(٣)

نزلت علي رسالتك كما المطر على أرض أعصرها اليباس. مثلك لا شيء. مكانك لا يملأ، كلماتك وحدها التي لها صوت يغطس إلى أعماقي. أراك دائماً أمامي، أشتاقك، أعذب نفسي بأن أحاول نسيانك فأغرسك أكثر في تربة صارت كالحقول التي يزرعون فيها الحشيش: لا تقبل زرعاً غيره إلا «عباد الشمس»، وأنا لن أنهي حياتي عبادةً للشمس. أقول لك: إنني أشتهيك، ولا أستحي لأنك صرت الشيء الوحيد الذي أخفق له. هل

(١) سليم اللوزي.

(٢) كريستوفر، صديق بريطاني من أصدقائي في لندن، وكنت مشردة تلك الفترة فتكرم ببعارتي عنوانه البريدي.

(٣) هذه الرسالة نشر غسان بعضها في ملحق الأنوار الأسبوعي الذي كان يرأس تحريره، وكتب بعضها الآخر بخط يده على هامش الجزء المنشور كما يرى القارئ في (الفوتوكوبي). وفي تونس، كتب الأستاذ عبد الرحمن مجيد الربيعي في جريدة الصدى بتاريخ ١٩٩٠/٩/٢٣ يقول: «أحب أن أذكر أن المرحوم غسان كنفاني عمل في أواخر الستينات رئيساً لتحرير الملحق الأسبوعي لجريدة الأنوار اللبنانية وكان يكتب صفحة أسبوعية فيها. صفحة لا يحلل الوضع السياسي العربي أو العالمي بل يكتب عن خفق قلبه ونبض وجدانه وكل أصدقائه كانوا يعرفون أن تلك الصفحات كانت لغادة وعنها، فلماذا لا تنشر في كتاب أيضاً سيما وأن هناك لجنة مهتمة بنشر تراثه كاملاً؟ كما كان غسان يكتب زاوية لنقد الكتب الجديدة ويوقعها باسم فارس فارس، هذه الكتابات لم تر النور كذلك ويجب أن يحصل لها ذلك».

سأراك حين تعودين؟ أم تفضلين الكفر بتلك الساعات التي جيلت في
لحمنا حتى القرار؟

مأساتي (ومأساتك) انني أحبك بصورة أكبر من أن أخفيها
وأعمق من أن تطمرها. أترك في نفس المكان؟ إذن يا للمأساة التي لن
تنتهي! أقول لك: تعالي، ودعينا نهدم الجدران جميعاً، إن حياتنا أصغر
من أن نهدها في الشطارة. أعترف!
... وهأنذا متروك هنا، كشيء!

كيف تركتك تذهبين؟

كيف لم تطبق كفاي عليك مثلما يطبق شرع في بحر التيه على حفنة
ريح؟

كيف لم أذوبك في حبري؟ كيف لم أجعل من لهائنا معاً زورقنا
الواحد إلى نبض الحياة الحقيقي؟

كيف ذهبت دون أن أحس بك؟ كيف مرت عينك في عمري دون أن
تتركا على وجهي بصماتهما؟ كيف لم أتمسك بك؟ كيف تركتك - يا هوائي
وخبزي ونهاري الضحوك - تمضين؟

أيتها المرأة الطليقة، يا من قبلك لم أكن وبعدك لست إلا العبث،
من بحر عينيك سقيت ضياعي جرعة الماء التي كانت دائماً سراباً، وفوق
راحتك تعرفت إلى مرساتي ووسادتي وليلي.

يا طليقة! أيتها المرأة التي مثلك لا يرى، أيها الشعر الذي رف
تحت جفني مثل جناحي عصفور ولد في رحم الريح، أيتها العينان اللتان
تمطران خبز القلب وملح السهوب الجديدة، يا طليقة: كيف انخلعت هكذا
عني؟ كيف شلت مرساتك من عشبي وتركت بحري؟ بعدك ليس إلا
الخواء، دونك لست إلا قطرة مطر ضائعة في سيل.

عشت معك حقيقة عمري. ضعت فيك إلى حد لم أصدق أنه قد
تمضين، كان ذلك مثل المستحيل، ولكنك - ذات صباح - غبت، كما لو
أن شروقك في جبيني لم يكن!

ورقة على حافة الفجيرة:

«غادرت لتوك، وما زلت أحسك بين ذراعي. راقبت المصعد يهبط، الضوء ينطفئ، خطواتك تختفي. وغداً سأراك لأودعك، ولكن ذلك سيكون مربعاً، إلا إذا تصرفنا بحذاقة غير إنسانية... هل أقول لك: إلى اللقاء؟ إنها كلمة ليست شخصية بصورة كافية، تبدو وكأن شخصاً ما قد استعملها قبل لحظة وتركها مرمية هناك. الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أقوله...»

أيتها الطليقة...

ذلك كله عبث. الكلمات كلها علكت من قبل أناس آخرين، ولكن وقع يدك على جبيني كان دائماً ولادة لشيء رائع ومتوهج، مثل ومضة لهب، كان دائماً شيئاً خاصاً وشخصياً ولا يعوض.

الكلمات عبث، أيتها السحابة التي أمطرت على جفاني موسماً من الخصب، ولكن في عينيك كانت توجد دائماً الكلمة الجديدة البكر التي لم تصدأ من كثرة ما تناقلتها الشفاه. كانت تولد في قبضة الصمت نبضاً عبقرياً يلتمع بالدهشة.

الكلمات عبث، وأنت كنت دائماً لغتي التي لا يفهمها أحد، وراء التعويضات التي اخترعها أجدادنا وسموها حروفاً وأصواتاً، لقد كان شعرك مطري، وراحتك وسادتي، وذراعك جسري، وعينك بحري، وشفتك كآسي. كان انتظارك عمري، وحضورك ولادتي وغيابك ضياعي.. وما أنت تذهبين مثلما تعبر ريح الصباح شباكاً مهجوراً: تحييه لحظة، ثم تعيده إلى الغيب...

كيف تركتك تذهبين؟ ما الذي سأفعله بعدك؟ أي أرض ستخصب بعدك؟ وأي شباك سيدخل إلى جفاني ويباسي ريح الصباح؟

سألك الندم عمري. ندمك وندمي. لقد نسفنا بأيدينا الشجرة الوحيدة التي صادفناها في رحلة عمرينا، ولم يبق أماننا إلا أن نكمل الشوط في قيظ الوحدة التي لا ترحم. أنت وأنا اعتقدنا أن في العمر متسعاً

لسعادة أخرى، ولكننا مخطئون، المرأة توجد مرة واحدة في عمر الرجل، وكذلك الرجل في عمر المرأة، وعدا ذلك ليس إلا محاولات التعويض، بذل النسيان والندم راقاة فوق راقاة.

إن أسعدنا هو أبرعنا في التزوير، أكثرنا قدرة على الغوص في بحر الألقعة. ننسى؟ ذلك مستحيل، وأنا - أيضاً - لا أريد أن أنسى. ليس بوسعي أن أطمر الزهرة الوحيدة في عمري هكذا، لمجرد أنك ذهبت، وأن أملي في أن ألقاك هو مثل أملي في أن ألقى طفولتي.

فيا أيتها الطليقة التي حملها جناحها إلى أرض لا أعرفها، والتي كان علي منذ البدء أن أعرف بأنها، مثل العصافير، ستضرب في فراغ السماء وجاذبية المدى الذي لا يحده حد، لست أطمع منك بالعودة. لقد رف جناحك في زنزانتي وتركا في هوائها الساكن شيئاً يشبه خفق القلب، زرعا في صمتها خفقة طليقة وتركها تغطس في وحدتها المرة.

لست أطمع منك بالعودة، فالعصافير لا تسكن أعشاشها مرتين، وحين نفضت عن ريشك كسل القرار عرفت أنا أنك لن تعودتي..

ولكن كيف تركتك تذهبين؟ كيف لم أربط نفسي إليك مثلما ربط السندباد نفسه إلى ريش الرخ؟

ليس عندي، أيتها الطليقة، يا خبزي ومائي وهوائي، إلا الندم، وبعيداً في قراره توجد بذرة للشجرة القادمة.

بلى.

سأراك مرة أخرى، ذات يوم. ترانا - يومذاك - سنكسر من حول جلودنا يراقات النسيان التي سنبنيتها فوق اللحظات النادرة في حياتنا، كي لا نظل صرعى الخذلان؟

إن العمر خديعة، يا طليقة، وإلا كيف يمكن أن يكون عمري معك عمراً وعمري دونك عمراً أيضاً، وكيف يمكن - بعد هذين العمرين - أن أراك مرة أخرى وتكونين أنت وأكون أنا؟ لماذا لا؟

ماذا أقول لك؟ إن النسيان هو أحسن دواء اخترعه البشر في

رحلتهم المريرة، ومع ذلك فأنا لن أنساك. أنت تخفقين في رأسي مثل
جناحي عصفور طليق، أمام بصري ينتثر ريش الطائر الذي حط وطار،
مثل ملح البصر...

وها أنذا، متروك هنا كشيء، على رصيف انتظار طويل، يخفق في
بدني توق لأراك، وندم لأنني تركتك تذهبين. أشرع كفي اللتين لم تعرفا،
منذ تركت، غير الظمأ.

وأقول: تعالي..



11/11/11

١٠٠

10

١٠٠

25

19

١٠٠

...

5/1/5

一、二、三、四、五、六、七、八、九、十、十一、十二、十三、十四、十五、十六、十七、十八、十九、二十、二十一、二十二、二十三、二十四、二十五、二十六、二十七、二十八、二十九、三十、三十一、三十二、三十三、三十四、三十五、三十六、三十七、三十八、三十九、四十、四十一、四十二、四十三、四十四、四十五、四十六、四十七、四十八、四十九、五十、五十一、五十二、五十三、五十四、五十五、五十六、五十七、五十八、五十九、六十、六十一、六十二、六十三、六十四、六十五、六十六、六十七、六十八、六十九、七十、七十一、七十二、七十三、七十四、七十五、七十六、七十七、七十八、七十九、八十、八十一、八十二、八十三、八十四、八十五、八十六、八十七、八十八、八十九、九十、九十一、九十二、九十三、九十四、九十五、九十六、九十七、九十八、九十九、一百。

6-5-2

كفائي عليك مثلما يغفل

الملك على أبيه
أميرك على هاني

وَمِنْهَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِلَ

وَمَا نَدَّاءُ مُتْرَكٍ هَذَا كَشَى !

[illegible]

وَيَكْفُرُ بِهِ إلهنا : أَنزَلْنَا بِهِ الْكِتَابَ : وَرَعَيْنَا أَمْرَ الْجَبَرُوتِ : ثُمَّ

۱- من مائة و احدى و عشرين سنة
 ۲- من مائة و احدى و عشرين سنة
 ۳- من مائة و احدى و عشرين سنة
 ۴- من مائة و احدى و عشرين سنة
 ۵- من مائة و احدى و عشرين سنة
 ۶- من مائة و احدى و عشرين سنة
 ۷- من مائة و احدى و عشرين سنة
 ۸- من مائة و احدى و عشرين سنة
 ۹- من مائة و احدى و عشرين سنة
 ۱۰- من مائة و احدى و عشرين سنة

ويفضلها ولا يعوض .
الكليتك عيث ، انبها السحولة الكس

سئل ومضة لب ، كن دائما شيئا فلهما
شخصيا ولا يعوض .

الكلبات عبث ، اينها السحابة الاسي
 بطرت على جفاتي موسما من الضباب ،

أَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ كَلَّتْ تَوْجِدَ دَانِيَا الْقَدَسِ
الْعَبِيدِ الْبَكْرِ الْهَلْ لَمْ تَعْبُدَا مِنْ كَرَمَا

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰

१. अथवा अथवा अथवा

كذلك لم يمنعك في هيري

أَجِبَةُ الْعَقِيصِ؟

॥ श्रीगणेशाय नमः ॥

عَلَى رَأْسِ مَنْ أَنْ أَمْسِي بِهَذَا كَمِ

لمست أجمع ملك بمكة بمعهودة ، بالصلوات

لا تسكن أجمعها مدين ، ومن ثقلت

من ريشك كسل التراب عرفت أنا لك لسن

ولكن كيف تركت تذهنين ؟ كيف لم أربط

نفسك إليك بربطها ربطة السندباد نفسه إلى

ريشي الريح ؟

ليس عذري ، أيها الطليعة ، يا خديجي

وبقي وهو رأيي ، ألا القدم وبيدنا في قواره

توجد بذرة السحجرة القاحلة .

بلبي .

سبارك موه أخرى ، ذات يوم ، نزلنا

— بوجداك — سنكسر من حول جلودنا

رأيتك السيلبان التي سببتها فوق الكهانات

الظلمة في حياتنا ، كي لا نظل مرعسي

الظلال ؟

ان المرير خديعة ، يا طليعة ، ألا كيف

يمكن أن يكون عمري منك عمرا وعمري

نورك عمرا أيضا ، وكيف يمكن — يستعد

هذين المورين — أن أراك موه أخرى

وكتوبين أنت وأكون أنا ؟

هنا أقول لك ؟ أن السيلبان هو أهدن

نوراء أفرجه البشري وقلهم البرية ودمع

لكم فذاك لن أنسلك ، أنت تخفين لي رأسي

مثل جلتي مصور طليق ، أهدن بصري

ينثر ريشي الظلم الذي حط وطر ، مثل

الكلبات ميتة ، وأنت كنت دائما البشري

التي لا تشعها أحد ، ورؤاه العمودات التي

أخبرها أجداننا وسورها جوفيا وأصرانا ،

لقد كان تسمر لك مطرك ، ورأيتك وسائلي

وزدراك هسري ، وعتيك بعري ، وشفتك

كاسي . كان الظنارك عمري ، وعضورك

ولامي وغيتك ضلالي ، وما أكنست

تذهنين بطلنا نمر ربح الصباح شباك

مجهورا : تخليه لاحتة ، لم تعيده إلى

النسيان . . .

كيف تركت تذهنين ؟ يا الذي سلفه

مذك ؟ أي أرض ستخضب بدمك ؟ وأي

شباك سيدخل إلى جلتي ويلبسي رشح

الصباح ؟

سماق القدم عمري . نيك ونبي

لقد سبنا بطلنا السحرة الوحيدة التي

مصلحتها في رجة عمري ، ولم يقل أهدنا

ألا أن تكمل الشوط في قبة الوحدة التي

لا ترحم . أنت وأنا أمضينا أن في الممر

مشمسا لمسافة أخرى ، ولغنا محظون ،

الزوا توجد موه واحدة في ضمير الرجل

ونكلك الرجل في عمر البرية ، وهذا لك

ليس إلا مجهولات المربى ، بلل السيلبان

والقدم رائحة موق رائحة .

الصحوة — تذهنين ؟

أيها البراة الطليعة ، يا من جفك لسم

أكن ريشك لست إلا الميت ، من يستعد

عنيك سميت ضلالي موهة الماء التي كلفت

دائما سرانا ، ودفن رايته نمرت إلى

مرسلي ووسلتي ولبي .

يا طليعة ، أيها البراة التي يرى

أيها النسر الذي لم تحت جسدي بجلالي

مصغور لك في رحم الريح ، أيها السيلبان

الآن تظن أن جدر الكف ولحم الدم هو

الجمية ، يا طليعة : كيف ظلمت هكذا

مهي ؟ كيف لم يمس إلا الجدار ، وتظلمت

بحري ؟ وكيف لم يمس إلا الجدار ، وتظلمت

ألا أنترة بطل قهقهة لي سبل .

فلمت منك حقيقة عمري . فست تله

إلى حد لم أصدق أنه قد تذهنين ، كسل

ذلك مثل المستحل ، ولكه — المصباح

فبت ، كما لو أن شروكه لي جسدي لم يكن ،

ورقة على حافة القمية .

« لعمرك قواه ، وما زلت أفسد بين

لرأسي . رأيت المسمد بيده ، والصدرة

ينفجرة ، خلم ركه تذهني ، وهذا سبارك

أزورك ، ولكن لك سيكون موهبا ، ألا أقول

تعمركا بجاذبه في السجدة . . . هل أقول

ه : إلى القاد ؟ أيا كلمة قست خديعة

بمعدن

الأمور

شبهة

بمعدن

الأمور

شبهة

بمعدن

الأمور

شبهة

بمعدن

الأمور

شبهة

بمعدن

الأمور

شبهة

بمعدن

الأمور

شبهة

بمعدن

الأمور

شبهة

بمعدن

الأمور

شبهة

بمعدن

صباح يوم ١٩٦٦/١٢/٢٨ ايقظني قرع على الباب. كان غسان واقفاً منهكاً وغاضباً، وناولني هذه الرسالة قائلاً: إنها لك. كتبتها لك، ولكنني خاطبت أختي فاييزة فيها لغضبي منك. وتركها بين يدي ومضى.. وكانت رسالة بدأ كتابتها في الليلة السابقة، ليل ١٩٦٦/١٢/٢٧ وختمها برسالة أخرى بعد طلوع فجر ١٩٦٦/١٢/٢٨.

صعقني ما ورد فيها فقد كنت ليلتها بحاجة إلى أن اخلو إلى نفسي بعد سهرة مع بعض الأصدقاء ولم يخطر ببالي أن ذلك سيزلزل غسان إلى هذا المدى.. أم تراه خطر ببالي وتعمدته في اللاوعي؟ أم تراني كنت أريده حقاً أن يقضي سهرته مع أسرته ولذا اقترحت عليه الذهاب مبكراً إلى هناك ووعدته بأن أهتم له لأضمن ذهابه مما أثار شكوكه؟ هل تعمدت إثارة شكه؟ ما زلت حتى اليوم لا أدري، ولكنني أذكر جيداً أنني كنت دائماً حريصة على كيانه العائلي بقدر حرصي على استقلالية كياني.

عزيرتي فائزة..

إنني أغيب عنك سنوات ولكنني أعود، أنبع فجأة، وأنت تقولين لنفسك: ها هو الطفل يعود. كنت فيما سبق تغضبين وتحزنين وتقولين إنك تفتقديني ولكنك استسلمت أخيراً لذلك الطفل الغريب الأطوار دائماً، المغلوب على أمره دائماً، الباحث عن ملجأ دائماً.. تستطيعين الآن، بعد ثلاثين سنة، أن تطمئني لشيء واحد هو أنني سأظل أعود، فقد كتب علي كما يبدو أن أظل مهزوماً في أعماقي، إن الشيء الذي انكسر في حين كنت في العاشرة لن يلتئم، وقد ظللت دائماً أوفى الناس لشيء اسمه التعاسة وسوء الحظ. وهانذا أعود مرة أخرى لك، ربما لأنك بعيدة عني ولأنك الجزيرة التي لم تعد لي ولأنك لا تستطيعين أن تأخذيني معك وفيك ولك..

ما الذي حدث خلال السنين الطويلة الماضية؟ ما الذي حدث، بالضبط، منذ اقتحمت عليك غرفة العمليات؟ هل تذكرين؟ يوم رفعت المشروط في وجه المسكين ولسون، ذلك الاسكتلندي الطيب الذي كان يجد في ما لم أجده أنا نفسي، إنه يضحك بلا شك حين يذكر القصة. كنت أنا على حق رغم كل شيء، وقلت له: ليمت الطفل، ولكن إذا ماتت هي فستموت معها هنا. ورفضت أن أخرج وظللت مثل مجنون فار مثبتاً ظهري إلى الزاوية وأنظر إليك مضرجة بالدم تحت أصابعه الباردة وحين تنفس الصعداء بعد قرن من الرعب أخذت أبكي، وسقط المشروط من يدي... ولم أرك إلا بعد أن صار أسامة في الرابعة من عمره..

لماذا أذكرك الآن بهذا الشيء الذي مضى؟ ربما لأنني أشعر كم كنت على حق.. إن الإنسان ليس إلا مخترع ملاجئ، هكذا كان وهكذا

هو وهكذا سيظل، وكل ما عدا ذلك هراء في هراء، وأقول الآن: كنتُ أحس ملجأً عميقاً داخل تلك الغريزة التي كنت تسمينها، حين كنتُ طفلاً، النبوة، وكنتُ أحس كم كان فقدانه هولاً تساوت فيه إرادة العيش بشفرة المشروط. إنني لا أنسى حدقتي الدكتور ولسون حين كانت تسبح فيهما تلك الكرتان الزرقاوان، كان رجلاً قادراً على الفهم من فرط ما شاهد الناس يموتون ببساطة ويتركون وراءهم العالم بملاجيء أقل، وكان يعرف أنك ملجأ.

وهأنذا أعود يا فائزة مثلما كنت أعود إليك طفلاً شقياً مبللاً بمطر يافا الغزير وتستطيعين بنفس الصوت القديم أن تقولي لي: «كنت تسير تحت المزاريب، أنا أعرف كم تبلغ بك الشقاوة...» تحت المزاريب يا فائزة تحت المزاريب.. إنني أعطيك رأسي بعد أكثر من عشرين سنة لتجفيفه مرة أخرى رغم أنني أحسه مبتلاً من الداخل، أعطيك رأسي، أنا الشقي المسكين، فلم يتبق ثمة شيء إلا يديك.. وبالضبط لأنهما على بعد ألف ميل.

ما الذي حدث منذ ولد أسامة عبر ذلك المخاض الصعب الرهيب؟ بالنسبة لي ما تزال دفقا الباب الأبيض تروحان وتجيئان متقاطعتين منذ خرجت منهما.. هل تغير أيما شيء؟ ما الذي حدث؟ أي جنون يملأ هذا العالم؟ هل رأيت الدكتور ولسون مرة أخرى وتحديثا عن جنوني؟ هل يعرفني أسامة؟ هل يسمع عني بين الفينة والأخرى؟ أما أنا فقد حدث لي ذلك الشيء الذي قلت لي مرة أنه وحده سيحطمني ذات يوم: الحب.

لو كنت هنا، وجلست معنا كما كنت تفعلين منذ زمن، لنظرت إلي في لحظة مستترقة وهززت رأسك موافقة. لقد عشت عمري أنتظر أن أرى من رأسك تلك الحركة. حين جلسنا مع جاكليين في بحمدون قبل سبع سنوات انتهزت أول فرصة ورفعت أمام عيني حاجبيك كأنك تقولين «لا، ليست هي» وراحت جاكليين، وراحت منى، وراحت كوكب^(١) عبر حاجبيك

(١) أتمنى على جاكليين ومنى وكوكب عدم تمزيق رسائل غسان إن كتب لهن ذات يوم لأن تلك

الذين كانا دائماً يقولان «لا».. وجاءت هي. قولي لي إنها هي.

أخيراً هذا هو الشيء الذي كنت تنتظرينه يا فائزة وراء ظهري، دون أن أعرف.. هذا هو الشيء الذي وحده يستطيع أن يحطمني. كم كنت صادقة وكم كنت غيباً.. أتذكرين يوم جئت إليك أقول إن جاكين سافرت؟ قلت لي على مائدة الفطور: إن شراستك كلها إنما هي لإخفاء قلب هش، لا حدود لهشاشته، ذات يوم ستصل أصابع امرأة ما إليه وستطحنه.. وإذ تجيء يومها إليّ سأفهمك وحدي!

هأنذا أجيء فكافئيني بأن تفهميني، ليس بوسعك أن تنصحي أحداً، إنني أتمرق وليس بوسعك أن تجدي، بعد، أدناً واحدة في هذا الجسد الذي كان كله أذان، إننا نجى دائماً متأخرين. متأخرين. متأخرين. أفهمت كل شيء الآن يا فائزة؟ متأخرين.

أقف الآن على هذا المرتفع في حياتي وأنظر إليها قاحلة مليئة بالشوك والتوحد وتمتد في برودة الماضي وبرودة المستقبل دونما نهاية.. ويبدو أنني أحاول أن أستبدل الوطن بالمرأة، أعرفت في عمرك كله ما هو أشبع من هذه الصفة وأكثر منها استحالة؟ ولكن هذا ما يحدث، وأستطيع أن أكتشفه بوضوح الآن كأن كل ما حدث لم يكن إلا اقتياداً أعمى إلى هذه النهاية. لقد حاولت منذ البدء أن أستبدل الوطن بالعمل، ثم بالعائلة، ثم بالكلمة، ثم بالعنف، ثم بالمرأة، وكان دائماً يعوزني الانتساب الحقيقي، ذلك الانتساب الذي يهتف بنا حين نصحو في الصباح: «لك شيء في هذا العالم فقم» أعرفته؟ وكان الاحتيال يتهاوى، فقد كنت أريد أرضاً ثابتة أقف فوقها، ونحن نستطيع أن نخدع كل شيء ما عدا أقدامنا، إننا لا نستطيع أن نقنعها بالوقوف على رقائيق جليد هشة معلقة بالهواء، والآن: كنت أمشي على رقع الجليد تلك، وليس كل ما كتبته وكل ما قلته في حياتي كلها إلا صوت تهشمها تحت الخطوات الطريفة.

مرة أخرى، ما الذي حدث؟ تزوجت فجأة، أنت لا تعرفين لماذا

= السطور لم تعد رسائل شخصية تخص تاريخهن بل تخص تاريخ الأدب.

بالطبع وقد فجأك الخبر مثلما فجأ والدي، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً، لم يكن يستطيع أن يحرمني من ثروته بعد أن حرم منها رغم أنه، ولم يكن يستطيع أن يمنعني من ولوج بيته بعد أن امتنعت من تلقاء نفسي ولم يكن ليستطيع استئزال غضب السماء علي فلدي من غضبها ما يفيض عن حاجة رجل واحد.. ولم يكن هو أيضاً يعرف لماذا وكيف، ولكنني كنت أعرف، كنت أمارس تلك الفضيلة البشرية الوحيدة: كنت اخترع ملجأ.

لقد جاءت أني حين كنت قد شرعت، مختاراً ومرغماً، في الانزلاق على هضبة الوحل المغرية والجذابة، وفي ذات الصباح الذي قررت في مسائه أن أتزوجها كنت على وشك الاتفاق مع امرأة نصف ثرية نصف جميلة ونصف تحبني ونصف شابة على أن نعيش معاً. كانت تلك المرأة نصف الطريق إلى السقوط وأردت أن أجعلها محطتي كي أقبل الرحلة كلها فيما بعد إلى قرار القاع السحيق والمنسي. وجاءت أني ذلك اليوم مثلما تجيء رسالة البشرى من مكان قصي مجهول فجعلتها ملجأ للفرار في واحدة من ومضات النبوة التي تشرق في ضمير كل إنسان على ظهر هذه الأرض. أقول لك الآن: كانت فراراً.

كانت يا فائزة بعيدة عني في كل شيء. واحتجت إلى خمس سنوات كبيرة أظل مشغولاً خلالها في ردم الهوة المفتوحة بيننا، وارتكبت مرة أخرى خطأ الاحتيال: فحين عجزت عن ردمها كما ينبغي ردمتها بطفلين.

ولكنني رغم كل شيء ظللت مخلصاً للقيم التي احترمها والتي أورثني إياها إقطاع جدي المؤمن بالفضائل حين خسر أراضيه ولكنه أصر على كسب أخلاقه، وكنت أعرف في أعماقي أن الشراع المطوي في أعماقي سيمتلئ برياح الغربية من جديد ولكنني ظللت صامداً، وبقسوة السكين تخليت عن حياتي السابقة في سبيلها، كانت وما تزال امرأة رائعة، ربما الشيء الوحيد في هذا الكون الذي أستطيع برضى لا حدود له، أن أقدم لها حياتي إذا ما تعرضت لخطر الغياب.

أقول لك ذلك الآن رغم أنك سألتني ذات يوم وكنا وحدنا: هل أنت سعيد معها؟ فقلت لك حاسماً وصادقاً: لا. إن الحب شيء وعلاقتي بها شيء آخر، وهي تعرف. ثم جاءت غادة.

جاءت؟ لا، إن الكلمة الأصح هي: عادت. لقد كانت موجودة دائماً في أعماقي. أنا لا أتحدث عن الفترة التي كنت أراها فيها عابرة في ممرات الجامعة قبل عشر سنوات، لا. إنني أتحدث عن وجود أكثر تعقيداً من ذلك وأكثر عمقاً. ماذا أقول لك وكيف أشرح لك الأمور؟ دعيني أقول لك كيف: أمس كنت أدوّب شمعة فوق زجاجة، أتلهى بهذه اللعبة التي يكون فيها الإنسان شيئاً فوضوياً وغامضاً من زجاجة وقضيب شمع، وكان ذوب الشمع قد كسى جسد الزجاجة بأكمله تقريباً، وفجأة سقطت نقطة من الشمع الذائب دون إرادة مني وتدرجت بجنون فوق تلال الشمع المتجمد على سطح الزجاجة واستقرت في ثغرة لم أكن قد لاحظتها من قبل وتجمدت هناك فجعلت ثوب الشمع بأكمله يتماسك من تلقائه.

هذا ما حدث، ولست أجد أي وصف آخر له. ومنذ قابلتها أول مرة^(١) عرفت في أعماقي كل الذي سيحدث، على الأقل من جهتي. ورغم ذلك فقد كنت مثل الذي يدخل إلى حقل من الرمال المتحركة لا يعرف فيما إذا كان عليه أن يعود أو أن يقطع الطريق إلى الأمام.

عمري الآن سبعة شهور، ولن تصدقي كم تغيرت. أنا نفسي لم أصدق ولا أصدق، ويبدو أن هناك رجال لا يمكن قتلهم إلا من الداخل. لقد عذبها الكثيرون في حياتها وهي وحيدة ولا تستطيع أن تردم الهوة بينها وبين العالم إلا بالرجال، (في الواقع لا أؤمن بهذا. وقد قاله لي هاتف مجهول قبل أسبوع) ألم أردمها أنا بطفلين!

(١) التقينا للمرة الأولى في جامعة دمشق أمام باب قاعة الامتحان الشفهي ولم أكن قد سمعت به ادبياً يومئذ. بعد أيام الجامعة لم نلتق فترة أربعة أعوام حتى التقينا مصادفة في جريدة المحرر ببيروت، وكان غسان مصراً على إلغاء تلك الأعوام من حياتي وحياته.

لنحاول كرة أخرى: إنها تحبني وتخشى إذا ما اندفعت نحوي أن أتركها مثلما يحدث في جميع العلاقات السخيفة بين الناس، وتخشى إذا ما ذهبت في علاقتنا إلى مداها الطبيعي أن نخسر بعضنا. ولكن يا فائزة هذا كلام كتب وأطباء ومدرسي حساب وليس عواطف امرأة أمام رجل يحبها وتحبه..

لنحاول مرة ثالثة: إنها تحبني إلى حد لا تريد فيه أن تفوّض حياتي. ولكن من الذي قال لها أن هروبها لن يفعل؟

يا فائزة. إنني أثق بذكائها، ربما أكثر مما ينبغي. وأفسر كلامها مثلما يفعل الباحث في المختبر. يخيل لي أحياناً أنها أمام الناس تحاول إذلالي. إن ذلك لا يغضبني (نعم فقد وصلت إلى هذا الحد!) ولكن لماذا؟ ما الذي يدفع إنساناً ما إلى تمزيق إنسان آخر يحميه بهذه القوة؟ أمس قالت لي أمام صديق: إن أي رجل في هذا العالم لن يدخل بيتي إلا هو، لأنه أخ (وكانت تتحدث عن صديقي) لماذا؟ ما هو ذلك الشيء الرهيب الذي يدفع امرأة بأن تقول هذا الكلام للرجل الذي تحبه أمام صديقه؟

لست أدري يا فائزة. ولكنني ليل نهار، لحظة وراء الأخرى، أفكر في ذلك كله وأعيش وأتعذب فيه ومن أجله.. أحياناً أنظر إلى عينيها وأقول لنفسي: ينبغي أن تكره هذه المرأة التي يروق لها إذلالك على هذه الصورة، ولكنني لا أستطيع. كنت فيما سبق أستطيع أن أصل إلى قرار في لحظة حين أقول هذا الكلام لنفسي.. أما الآن فأنت لن تدركين تعاستي!

إن الدنيا عجيبة، وكذلك الأقدار. إن يداً وحشية قد خلطت الأشياء في السماء خطأ رهيباً فجعلت نهايات الأمور بداياتها والبدايات نهايات.. ولكن قولي لي: ماذا يستحق أن نخسره في هذه الحياة العابرة؟ تدركين ما أعني. إننا في نهاية المطاف سنموت.

وأنا لم أكتب لك ذلك كله لأطلب نصيحة، أستطيع الآن أن ألقى محاضرة حول هذا الموضوع.. ولست أدعي أنني أعرف كيف ستنتهي الأمور، ولكنني ذات يوم سأكون قادراً على أن أقول لنفسي وأنا أودعها

امام باب بيتها دون أن تتيح لي لحظة الاقتراب منها: «لقد ماتت». وعندها سأبكي، وقد ارتكبت حماقة، وقد أنكسر لشهر أو شهرين، وسيظل قلبي يقرع كلما أقرأ عنها أو أراها أو أسمع أخبارها مثلما يقرع قلب المرء حين يصادف شبحاً، وأقول لك ما هو أبشع: قد أنزلق وأتحطم ولكنني أبدأ أبدأ لن أقبل أن أكون صديقاً لها، أرى بعيني المكسورتين رجلاً يثبت أنه يحبها وتحبه. فلن أتحمل هذا الهراء. إنني.. كما قلت لك مرة - أفضل الموت عن الأسر. إن أحداً لا يستطيع أن يحبها كما فعلت، وعلى الأقل من أجل الحقيقة فسأرفض دائماً أن أقبل الزيف.

... الأيام تدور أيتها العزيزة، تدور وتدور مثلما تدور رأسي الآن، وتحت غبارها التافه يأمل الإنسان أن ينسى. أذكركم يوم روى لنا والدي المسكين كيف حشا جرح صديقه بغبار العنكبوت جمعه من ثقوب سور عكا؟ قال لنا يوماً ان الغبار أوقف النزيف.. يا لله كم كان يقرأ الغيب! ربما تسمعين ذات يوم أنني كفت عن حبها، أقول لك الآن: لا تصدقي. إنني أحبها بطريقة لا يمكن أن تذوي، كتبت لها ما لم أكتبه في حياتي ومعها ومن أجلها تحدّيت العالم والناس ونفسي وتفوقت عليهم جميعاً. إن حباً من هذا المستوى لا تقبله المرأة ولكنه مع الأسف يستطيع رجل ما أن يحمله وهو يعرف هذه الحقيقة. لا فرار ولا ملجأ هذه المرة فلنأمل بمفعول الغبار.

أنت تسألين: ما الذي تريده إذن؟ وأنا لا أعرف. أعرف فقط أنني أريدها. أنا لا أستطيع أن أفهم كيف ترفض المرأة رجلاً تحبه. إن علاقتهم، إلى أبعد مدى، تضحي حاجة، وإذا كنت أنا قادراً على اتخاذ قرار رهيب من النوع الذي اتخذته منذ شهرين فكيف تريدين أن أفسر الأمور؟ صحيح أن الجنس ليس أولاً ولكنه موجود.. أوه يا عزيزتي! ليس من السهل بالنسبة لي أن أبني معها علاقة جنسية حتى لو أتيحت لي الفرصة لذلك، أذكر

(١) هذا السطر المشطوب الغاه غسان بنفسه، وكانت الرسالة هكذا عندما استلمتها، =

إذن ماذا أريد؟ لا أعرف أيتها العزيزة لا أعرف .. إن الحياة معقدة أكثر مما ينبغي لأناس سيعيشون أربعين سنة على الأكثر، والذي أشعره الآن أننا نضيع حياتنا هباء... إن رجولتي لم تذلل في حياتها مثلما تذلل في كل ليلة أقول لها فيها: نوماً هائلاً... ثم أدير ظهري وأمضي كأنني قطعة خشب لا يسكنها عصب، وينزف جرح تلك الرجولة المهدورة حين أسمع وراء ظهري اصطفاق الباب: إن الأمر لا يعنينا.

ماذا أفعل؟ حاولي أن تقولي لي رغم أنني لن أطيع، ولكن عسى ذلك يساعد في الوصول إلى شيء.. إننا تافهون حين يضحي القرار متعلقاً بنا. أحياناً أفكر في الالتحاق بالفدائيين عسى أن أموت شريفاً على الأقل، أحياناً أفكر بالسفر إلى مكان مجهول: أبدل إسمي وأعمل وأعيش إلى أن أموت بهدوء مجهول.. أحياناً أفكر في اقتحام بيتها والبقاء فيه.. ولكن ذلك كله - أسألك - ماذا يجدي؟ أتحسبن أنني أفتش عن فرار من نفسي؟ لا. منها؟ لا. إذن ماذا أريد؟ إنني أريدها. ولكن كيف؟ كيف؟ أين هي البلاطة السحرية في هذا الكون التي نستطيع أن نضع أقدامنا فوقها معاً؟

إن الشيء الوحيد الذي أردته في حياتي لا أستطيع الحصول عليه. لقد تبين لي أن حياتي جميعها كانت سلسلة من الرفض ولذلك استطعت أن أعيش. لقد رفضت المدرسة، ورفضت العائلة. ورفضت الثروة، ورفضت الخضوع، ورفضت القبول بالأشياء، ولكنني أبداً لم أرد شيئاً محدداً، وحين أريدها تفر من أصابعي (وأصابع القدر والأشياء والعالم، أنا أفهم ذلك) مثلما يفر الماء من الغربال!

إنني أفكر بالنسبة لها كما يلي: معركتنا خاسرة، إذن فلنعمل على ربحها إلى أن تجيء اللحظة. الزمن ضدنا فلنستعمله طالما هو معنا. اللقاء مستحيل فلنتلاق حين يكون ذلك ممكناً. سنخسر كل شيء فلنربح الزمن كي لا نندم. البكاء قادم.

= وحاولت كثيراً قراءته وفشلت!.

أنا أعرف أنها تحبني، لا ليس كما أحبها، ولكنها تحبني. إنها تردد دائماً أنها ضدي إذا شياؤها ولكنها لا تكف عن تشيبي دون وعي منها. إنها تهرب مني في وقت لا أكف فيه عن الاندفاع نحوها. إنها - رغم كل ما تقوله - تفضل التفاهة والمشاعر التي تمر على السطح، وأنا أعرف أن الحياة قد خدشتها بما فيه الكفاية لتفرض مزيداً من الأخداش ولكن لماذا يتعين علي أنا أن أدفع الثمن؟ إنها امرأة جميلة - وتستطيعين رؤية ذلك في صورها - ولكنها أجمل في الواقع من صورها، وقد يكون دورها في إتعاسي وهزيمتي أنها مشتهاة بطريقة لا يمكن صدها وهو أمر لا حيلة لها به ولكنني أيضاً لا حيلة لي به، وهي ذكية وحساسة وتفهمني وهذا يشدني إليها بقدر ما يبعدها عني، فهي تعي أكثر مني ربما طبيعة الرمال المتحركة التي غرقنا فيها دون وعي منا. أقول لك باختصار أنها جبانة، تريد أن تكون نصف الأشياء، لا تريدني ولا تريد غيابي، وفي اللحظة التي وصلت فيها أنا إلى انتساب كامل لها كنت أبحث عنه كل حياتي تقف هي في منتصف الميدان.

إنني أدفع معها ثمن تفاهة الآخرين.. أمس صعقتني، مثلاً، حين قلت لها انني أرغب في رؤيتها فصاحت: أتحسبني بنت شارع؟ كانت ترد على غيري، وكنت أعرف ذلك ولكن ما هو ذنبي أنا؟

إنني أتمزق مثلما لم يحدث لي في حياتي أبداً، لا شيء كان قادراً على هزي بلا هوادة أكثر من هذه المرأة، إنني أحبها، واشتهيها.. وفي سبيل ذلك ارتكبت حماقة أخرى لا يد لي بها: يا فائزة، ليس لدي أية علاقة جنسية مع أي كان.. هل تفهمين؟ إنني رجل مأساتي هي في ذلك التوافق غير البشري بين جسدي وعقلي، هكذا قال لي الدكتور ولسون يوماً: ولذلك أنت مريض بالسكرو يا صغيري!

ولكن حذار أن تحسبي أن هذه هي المشكلة. لا. إنني لست صغيراً إلى هذا الحد ولم يعد الجنس بالنسبة لي نهاية الكون. ما هي مشكلتي إذن؟ لا أعرف، ولكنني أريدها. هذا شيء مستحيل كما قد

تقولين، وأنا أعرف ولكن هذه هي القصة.

دعينا نحاول اكتشاف الأمور ببساطة: لنقل أنها امرأة يلذ لها تعذيب فلنسعد الآن، الفراق لا بد منه فلنتلاق بانتظار أن يأتي.
أو فلنبتر كل شيء الآن. هذه اللحظة، في جرح نظيف ونبيل ونهائي.

ولكن في الوسط؟ في الوسط يا فائزة التي تعرفين أنني لا أستطيعه، يا لتعاسة أخيك المغلوب على أمره.. إن سيزيف نسي قضيته ضحية العادة. أما أنا فثمة صخرة واحدة، أحملها مرة واحدة، وأعود بها مرة واحدة!

وكيف حال أسامة؟ علميه أن الزيف هو جواز المرور الأكثر حسماً، وأن الدنيا هراء يكسب فيها من ينزلق على سطحها، لا تروي له أبداً أبداً قصة خاله الذي أراد ذات يوم أن يصنع الحياة بمشروط جارج.. إن الحياة أقل تعقيداً وينبغي أن تكون أكثر بساطة. إن الحياة مثل هضبة الجليد لا يستطيع أن يسير عليها من أراد أن يغرس نفسه فيها. الإنزلاق هو الحل وهو الاحتيال الأمثل.. علميه أن لا ينتظر ثلاثين سنة ليرتكب أخطاء خاله التبعس، وأن لا يتوقع شيئاً.

لا تكتبي لي جواباً. لا تكثرني، لا تقولي لي شيئاً. إنني أعود إليك مثلما يعود اليتيم إلى ملجأه الوحيد، وسأظل أعود: أعطيك رأسي المبتل لتجففيه بعد أن اختار الشقي أن يسير تحت المزاريب!

١٩٦٦/١٢/٢٨

الشمس ستشرق بعد قليل، ولتوي تلقيت هاتفاً منها.. كنت أنتظرها طوال الليل وكنت أعرف أنني لو أردت أن أجدها لوجدتها ولكنني كأنما دون إرادة مني كنت أريد أن أرى مدى اهتمامها هي. لا خبر، لا إشارة. لا شيء. قالت لي في الصباح أنها ستأوي إلى فراشها في العاشرة ولذلك «أذهب لبيتك باكراً اليوم».. ولكن حتى منتصف الليل لم

تكن هناك، ولا في الواحدة، ولا في الثانية، ولا في الثالثة... ثم هتفت لها فأبلغتني أنها كانت تشرب نبيذاً، وأنها كانت تسهر مع صديق... وسألتني: لماذا تأخرت؟

كانت تحسب أنني أحدثها من البيت ولكنني لم أكن هناك. كنت على بعد صرخة واحدة منها. كنت سألت في البيت عما إذا كان أحد قد هتف فقليل لي أن جرس الهاتف دق مرة أو مرتين دون جواب فهتفت لها، وهذا - يا فائزة - ما كانت تريد أن تقوله! هل تتصورين؟ كانت تجهد لتقال أذني كي تصب فيهما اللعنة.. ترى ما الذي يذكر هذه الإنسانية بي، إلا الذل؟

ما الذي حدث هذه الليلة؟ إنني مجنون. هذا شيء حقيقي: حين كتبت لك الصفحات السابقة كنت، أيضاً، على بعد خطوات منها، في المقهى المجاور وسيارتي إلى جانب سيارتها، ومثلما حدث وتوقعت لم تكترث، وذهبت، وكنت أشرب كأساً مع كل صفحة حتى صار الليل وفتك الكحول بكفتي فلم يعد بوسعي أن أحرك ذراعي وقدت السيارة في المطر والغيش والذهول بهدوء لم يكن عندي في حياتي، وقررت أن لا أرى أحداً... لم أفكر بالموت، فكرت بالتعاسة فقط وعرفت أنني سأكون تعيساً إلى أمد طويل. إنني أحبها وهذا شيء لا أستطيع أن أنكره ولا أن أنساه ولا حتى أن أغفره لنفسي، وحين لمست أصابعي جسدها ذات ليلة راودني شعور مخيف، أخافني حقاً، بأنني لم المس امرأة من قبل.

وهأنذا مكسور ومطعون وبعيد عن كل شيء، غداً لن يكون يوماً آخر.. وأنا أعرف أنني أحتاج أن أكون وحيداً تماماً ربما ثلاثة شهور، أظل أكتب في هذه الأوراق لك، يوماً بعد الآخر، لترى بعينيك قصة رجل ينتهي، أو يبدأ، أو ينزلق، أو يغترب، أو يموت بالصدفة بعد ذلك كله.

وما الذي بقي لأفعله أيتها العزيزة؟ ما الذي بقي؟ بعد قليل سأشرب قهوة أخرى، وأحتاج لكأس حليب كي يظل صدري قادراً على التنفس.. وسأمشي، ولكنني لن أرى أحداً... وسأضع نفسي في مكان أبعد

وأناى من أن أسمع فيه صوتها وأكثر انخفاضاً من أن يتيح لي رؤيتها أو التحدث إليها.

أجلس الآن في الشمس وأكتب. مررت من أمام بيتها عشر مرات ورأيت سيارتها ووقفت على حاجز الروشة أتفرج على الناس والأطفال والموج وأنا أكاد أغفو على الحاجز. لأول مرة منذ سنوات نسيت الإبرة اللعينة ونسيت الطعام.. تراها سألت عني؟ ذلك لن يكون إلا إذا كانت تريد أن تراني معذباً، أو تريد أن تنصحنى تلك النصيحة التافهة: إذهب إلى بيتك باكراً.. أو تقول لي: لماذا تغار؟ بعيدة عن الحقيقة بعيدة بعيدة.. ستجد ألف عذر لترضي هذا الطفل القنوع الغبي، وكالعادة لن يكون بوسعي أن أقول لها: لا، وامس ليلاً ماذا حدث؟ ماذا يمكن أن يكون قد حدث غير أنها كانت فخورة بأنها قادرة على الخروج مع شاب آخر، أو مع نفسها، وأنا أنتظر؟

وما الذي أريده.. ما الذي أريده من كل شيء يا فائزة؟ ما الذي يريده هذا الطفل المدلل الضائع الغبي الذي تحول إلى كرة متشابكة من الأعصاب والجروح.

بيوت ٢٧ / ١٠ / ١٩٦٦

عنز بن فائز ..

التي اغيب عنك سنوات ، وكنتي اعود ، اذبح فجأة ، وانت تقفين
منفرد : هاهنا الطفل يعود . كنت فيما سبقه تعقبه وتكزبه وتقلل من شأنه
مكثله استمته اخيراً هذه تلك الطل الغريب الطول دائماً ، المغلوب على امره دائماً ، لباقت
عه علياً دائماً .. تظلمه قواه ، بعد ثلاثيه سنة ، انه تطلعتي شراً واحد هو اني
سائل اعود ، فقد كتبت علي كما يبدو انه اظن منزواً في الحامي ، انه شيء الذي انكر
نمي حيه كنت يدبره به جنتي ، وقد ظلت دائماً اوفي الناس شيء اسمه العاصه
وسود اظن . وهاتنا اعود مرة اخرى لك ، ربما لانه جوده عني ولون الجزيرة التي
م تدي ولان لا تليح ان تأخذني معك وفيه ولك ..

ما الذي حدث فلان اني الطولية الحافيه ؟ ما الذي حدث ، بانفك ، منذ اقتحت
علي غرفة العلاء ؟ بعد تدرسي ؟ يوم رفعت المشط في وجه امكين وسوءه ، ذلك
م كنت في الطيبه الذي كان يجدي في ما لم اعد انفس ، انه يفتنني حيه يذرك
العهه . كنت اذبح هو رخي كشيء ، وقتته : ليحتم الطل ، ولكنه اذا ما تهي منقوت
ملاها . ورفعت انه انزل ، وللتة حتى جنوه فاه منبته ظهروا الاوية وانظر اليه مفرجه
بدم كتها صا به الباردة وفيه تنفس الصعدا بعد ثمره من ربي اخذني الي ، وسقط
المشط من يدي ... ولم ازل ان بعد ان صاء الساعة في الرابعة من ظهره ..

ما ذا انزل آله هذا الشيء الذي مضى ؟ ربما لاني اشعر كما كنت مع عود .. انه لسانه
ليس الا مخزوع موصي ، هاتنا كاه وعلنا وعلنا سطان ، وكلي ما عد ذلك هو انهم ، واقول لهم :
كنت اصبر علي تحمي رافن تلك الغرزة التي كنت تسميها ، حيه كنت طفلاً ، النبوة ، وكنت
امس كم كاه ففدانه هوذا سادت فيه ادارة العيش بشرة المشط . اني لادرسه حققي
الذكور وسوءه في حيه كانت شبح فيها من الكرامة انزوا وان ، كاه رجلاً قادراً على
العلم به فوط ما شاهد الناس بيوته بباطة ويكنونه وراوهم العالم على عين اقل ، وكاه يحرف
ان علي .

وهاتنا اعود يا فائز . ملاكته اعود اليه طفلاً حقيقياً وللاً بمحرفان بفزير

وتطمين جنم لصوت بغيره ان تقول في "كنت تسمي تحت المزايا في ، ان اعرف لم
يبلغ به السعادة " تحت المزايا يا فائزة تحت المزايا .. التي اعطيتك راسي ^{منها} ^{منها}
بعد انك من عشرين سنة لتجففيه مرة اخرى رغم انني اصب مبتلا من الداخل ، اعطيت
راسي ، ان ابقى اكين ، علم يتجه ثمة شيء الى يديه .. وبالضبط للمساخ مع بعد
النهج .

ما الذي حدث منذ ولد السامة عبر زلزال الخاضع الصعب ارحيب ؟ بالسبعة
في مائتات دفن الباب الأبيض سرجاه وحيثما متطاعتين منذ فرحت منها .. هل تغير
اي شيء ؟ ما الذي حدث ؟ اي جنون يملأ هذا العالم ؟ هل ريت الدكتور وسوء رة اخرى
وقد تمنا عن جنوني ؟ هل يعرفني السامة ؟ هل يسبح عني بين الفينة والاخرى ؟
ان فقدت في ذلتي الشيء الذي قدت في مرة انه وجهه ^{الشيء} ^{الشيء} في يوم : الحب .
لو كنت هنا ، ومحبته معا كما كنت ^{تفكر} ^{تفكر} في ذلك ، لتفكر الى ان طفلة
سارقة وهزنت رأسه مؤقته . لقد عشت حربي انظر ان اري من رأسك
اولية . هيبه مع جاكولين في حبه قلبه سبع سنوات انقضت اول فرصة ورفعت
امام حيني حبيبك لاني تعطيني " لا ، ليت هي " وراحت جاكولين ، وراحت هي ، وراحت
كذلك مع حبيبك اللذي كان دائما يقول " لا " .. وراحت هي . قول في اركهي .
انفرا هذا هو الذي كنت تتفكره يا فائزة وراحت ظهري ، دمه ان اعرف ..
هذا هو الشيء الذي وعدت به يطعن . لم كنت صادقة ولم كنت خبيثة .. انك
يوم حبتي اليه اقول ان جاكولين سافرت ؟ قدت في بلا مائدة بعظوم : ان سراسه
كل انماهي سلفاء قلبه عش ، لا تعود هات شنة . ذات يوم ستصل اصباح اولية .
اليه وستطحنه .. وان تجر يرد الى سأنهول ومدني !

كانت اجري كالمجنون به تفهميني ، ليس بسعد ان تفهمي هذا ، انني اتفهم
وليس بسعد ان تفهمي بعد ، اننا واحدة في هذا الحب الذي كاه كله آذانه ، اننا
شيء دائما متأخرين . متأخرين . متأخرين . ^{هذه} ^{هذه} انتمت كل شيء الى يا فائزة ؟ متأخرين !
انتمتم به هذا المرتفع ، يا فائزة وانظر الى مائدة مليئة بالشوك والتعود وتمت في
برودة الحاضرين وبرودة يستقبل دونما سكرية .. ويبدو انني احاول ان استبدل الوطء بالمرأة ، انعرفت

في عمله كله ما هو اشبع من هذه الصنعة وأكثر منها استقامة ؟ ولكنه هذا ما يحدث ، واستطيع
انه اكشفه بوجهه لانه كل ما حدث لم يكن الا اختيارا " الخي الى هذه الدرجة . لقد حاولت منذ
البدء ان استبدل الوطير بالحق ، ثم بالمالحة ، ثم بالكلية ، ثم بالصف ، ثم بالبراءة . وكما دائما
يجوز في الترتيب الحقيقي . ذلك هو الترتيب الذي يهتف به هيرش : " اني حري
في هذا العالم غم " اعرفه ؟ واطمئني اني اري . فقد كنت اريد ان اكتب كتابا اكتب فيه
وقد استطعت ان اكتب كل شيء ما عدا اقلها ، انما استطعت ان اكتبه بالوقوف على رجليه
منه بقلعة اطوار ، والآن كنت اني على رجليه الجدير به ، وليس كل ما كتبه ، وكل ما
تكتبه في حياتي الآن ، انما هو تحت الخلد الطرية .

مرة اخرى ، ما الذي حدث ؟ تزوجت نينا ، انما تزوجت لانها . ولطبع وقد فنان
الخير منها في والدي ، ولكنه لم استطع ان يفهم شيئا ، لم يكن ليطلع ان يحكي من ثروته جدا
صدم من انني لم اكن ابي لم يكن ليطلع ان يحكي من ثروته جدا . استطعت ان اكتبه في نفسي ومع
ليكن ليطلع انني لم اكن ابي لم يكن ليطلع ان يحكي من ثروته جدا . استطعت ان اكتبه في نفسي ومع
دم كيه صراخا يصرخ دائما وكيف ، ولكنني كنت اعرف ، كنت ان اكتب في نفسي
الذهبية : كنت اقترح حقا .

منذ حدثت آفي فيه كنت قد اشركت ، تحتلني وحدي ، ان الانوار في ذهنية
الوصول المفزية والخطابة ، وان ما ان انا الذي تترت رسالته ان تزوجته كنت في وشدة
ارتفاعه مع امرأة . انني لم اكن ابي لم يكن ليطلع ان يحكي من ثروته جدا . استطعت ان اكتبه في نفسي ومع
الإنسان في الطبيعة الى انفسه وادركت انني لم اكن ابي لم يكن ليطلع ان يحكي من ثروته جدا . استطعت ان اكتبه في نفسي ومع
التيح السيور والدي . وحدثت آفي ذلك اليوم مثلما تجي رسالة البشرى من ملكة في قصي
مجدول في قصي في كل شيء في ذلك اليوم . وحدثت انني لم اكن ابي لم يكن ليطلع ان يحكي من ثروته جدا . استطعت ان اكتبه في نفسي ومع
مع ظهريه الدهش . اعتدلت آفي : كانت غرا .

كانت انما انما جيدة عني في كل شيء . وحدثت انني لم اكن ابي لم يكن ليطلع ان يحكي من ثروته جدا . استطعت ان اكتبه في نفسي ومع
سعدوا فيها في ردم القوة المفضحة بيننا ، وان كنت مرة اخرى في هذا المصير :
فيه عجز عن ردمها كما ينبغي ردمها بطريق .

وأيضا رغبت في أن تكون تلك المخلصة التي أتيتني والتي أوتيتني إياها ، تطاع هدي المؤنس
وأن يكون فيه ضرا من ضرا ، ولكنه أمر مع نفسه ، فلو أنه ، وكنت أعرف أني أحياتي له الشراخ
المطوي في الحامي سميتي ~~بجهد~~ برزاج الغربة منه هبيل وكنتي هبيلت صابرا ، وبسوة
الكلين تخليت عنه حياتي ، فباعتني في سبيليه ، كانت وما تزال ، أراهم في راحة ، وما
شيء الوهيد ، وهذا الموه الذي استطاع برضى له عدد له ، أنه أقدم دلا حياتي ، إذا ما تعرضت
لخطر الغيب

أقول لك الآن أرمه ، رغبت في أن تكون تلك التي ذات يوم وكنا وهما : هي أنت سعيد
معها ؟ فقلت له حاسنا ، وهما معا : قد . أنه الحب شيء ، وبجوتني به شيئا آخر ، وهي
تعرف .
ثم ماوت عذارة .

صارت : قد . أنه ، فقلت لرمحي في : عذرت . فقد كانت سعيدة ، وأما في الحامي .
أنا لا أجدت عنه الفقرة التي كنت أراها فيها عذرة ، في محرات في سعة ، قبل عثر حواء
له . التي أجدت عنه وهو أكثر تحيرا منه ذلك ، وألم عذرا . ما زال ، وأوله لا ، وكنت أشرح لك
الأعد ؟ وعيني أقوله لك كيف : ، من كنت الذوب شبعة فزعه الزجاجة ، التي تعدد للعبة
التي كوتة في الدالة شيئا موصوفا ، وعاشقا منه الزجاجة ، وقصيت شرح ، وكان ذوب
الشرح قد ~~كان~~ كسى جيد الزجاجة ، كونه تنويرا ، وفيه سقطة نقطة منه
الشرح ، الذات دونه إرادة ، وتدهرت تنويره ، فزاد زوال الشرح ~~الشرح~~ المتجدد من
سبل الزجاجة ، واستمرت في غيرة لم أنه قد لاحظته منه تنوير ، وتجهت هذا فنجحت
توب الشرح ، كذا ، بما صله منه تنوير .

دورا ما فعل . وست أجدني وصف آخره . وسند ما جئت أدلة مرة عرفت في
الحامي كل الذي سميت ، مع برقي عنه جهلي . ورغبت في أن تكون تلك التي الذي يدور في حق
من الرجال المتحركة ، لا يعرف فيما إذا كان عليه أنه يعود ، إذا به يتطوع الفرحة في الإمام
عمرى أرمه سبعة مشوار ، وفيه شرا في كل زواجر . أنا نسين لم أصدقه ولا
أصدور ، وه ، ويبدو أنه لكذلك ، رجايل لا يمكنه تخليهم إلى ما أرادوا .

لقد عجزت الكثيره في حياتي وهي رهيدة ولا تستطيع ان تدوم الطوق بيني وبينه
العلم انه بالاصل ، (الواقع لا اومن بهذا) قد قاله في هاتف مجهول قبل اسبوع
ان اذهبت الى الجليل !

لكنك لمره اخرى : انك تبتني وتشتي اذا ما اندفعت نحوى ان اتركها
فلما جيت في جميع العلاقات الخيفه بيني والى ، وتشتي اذا ما ذهبت في علاقاتنا
الى هذا الطريق ان تخر رجلا . والله يا غاربه هذا كلام كذب واجباء وعديسي
صاحب دسيس عذائف ارادة انهم رجل يكمل وتحمه .
لكنك مره اخرى : انك تبتني الى حد لا تريد فيه ان تقتوص حياتي . والله
صه الذي قاله : ان هروبك له يفعل ؟

يا غاربه : انني الخدينه كاذب : ربما كنت ما ينبغي . وامر كلود مثل يفعل
ادبائتي المختار . كنزك احيانا : انهم الناس تحاولوا الاولي . انهم لا يغفلني ،
(نعم فقد وصلت الى هذا الحد) ولكنه ماذا ؟ ما الذي يدفع انسانا ان يتركها
آخر كبح هذه القوة ؟ امس قادت في ام صديقه : ان هفت اي رجل في هذا العالم له
يدخل بيتي الالهو ، لانه ان (وكانت تحدث عنه صديقي) لماذا ؟ ما هو من شي الالهيه
الذي يدفع ارادة استقل هذا الكلام لرجل الذي تبه ام صديقه ؟

لت ادري يا غاربه . ولكنني ليل نكره ، لحظة وراء اخرى ، انهم من كل واحد
واحد فيهم ومنه . احيانا انظر الى عينيه واسول نفسي : ينبغي ان تتركه هذه
امرأة التي يوفه بها الرسل مع هذه الصورة ، ولكنني لا استطيع . كنت فيما سمع استطيع
ان اصل الى قرار في لحظة فيه اتول هذا الكلام لنفسي . انما امره فانت له تدركيه
تجاسني !

ان الذي تجيبه ، وكذلك الإقرار . اني ابدأ وحشة قد خلقت امرئ
في الساء فليطأ رهيباً فنجعت شرايات الامور بدايتي والبدائات شرايات . والله قولي
في : ماذا ليجه ان تخره : هذه الحياة العابرة ؟ تدركيه يا اخي . انما اني
المطاف سكوت .

~~.....~~

.....
أعرف .. انه الحياة حقيقة أكثر مما ينبغي للناس يعيشونه اربعين سنة في المتوسط ،
ولذي اشرون ثمره اننا نضيّع حياتنا هباء ... انه رجولي لم تذلل في حياته مثلاً
تذلل في كل ليلة اقول للآخر : يوماً هائلاً ... ثم ادري ظمري وامضي كائني
تقلعة فشب لا يكتفينا عصبه ، وينزف جرح تلال (جولة) تهدده فيها سمع ولاء
ظمري اصطفاه الباب ابن الأمر لا يخبرك .

هاذا افعل ! فادري انه تقوي في رغي اني له الميج ، ولكنه عسى ذلك
يساعد في الوصول الى شيء .. اننا كانهو فيه يضيي السرا متعلقاً بنا . احياناً افكر
في الامانة بالبنائين عموماً انه موت شريف على الاقل ، احياناً افكر بالسرا في
فجور : ابله يسمي والحق واعين الى انه موت تقدر ، فقول .. احياناً افكر في حقهم
بيترى والبقا ، فيه .. ولكنه ذلك كله - اسأل - ما تجدني ؟ انجيبين اني انشد
عنه خرافة منه بنسب ؟ لا . صلاً ؟ لا . انه ماذا اريد ؟ انني اريدك . ولكنه
كيف ؟ كيف ؟ اني لم ابلوطة السحرية في هذا الكون ~~فقط~~ التي تضيح ان تضع اقدامنا
خفية معاً ؟

انه بشي الوعيد الذي اردته في حياقي لا استطيع انصوبه عليه . لقد تبين لي انه
حياقي صبيح لانه سلسلة من الرفض وذلك استلقت به اعين . لقد رفضت المدرس .
ورفضت العاكلة . ورفضت الثورة . ورفضت المصروع ، ورفضت القول بالوشتاء ، ولكنني
ابداً لم ارد شيئاً محذوراً ، وحيه اريدها تنزع من اصابعي (واصابعي لقد والوشتاء
والعالم . انما انهم ذلك) فلا يفر الحمار من الغزال !

انني افكر بالنسبة للحاكمي : محركنا فاسرة ، انه ~~فقط~~ ضلغي على رجلك
الانه تجي الملاحظة . الرزمة ضدياً فليست ضد طامه هدمنا . اللقاء سقين فقتلوه
حيه كونه زين طمناً . سخر كل شيء فلهذا الزمن لم لا نندم . البلاط قادم

أنا أعرف أنك تحبني ، لا ، ليس كما أحب ، ولكنك تحبني . أنت ما تردد دائما أنت
صدي إذا ~~كنت~~ شئت أنت ولكنك لا كنت عند تسميتي دونه وعلى هذا . أنت
تربطني ، وقت لا أنت فيه مع المنداح حولها . أنت - رغم كل ما تفعل - تظن بقاها
والمتاع الذي تمر على لطف ، وأنا أعرف أن الحياة قد هدمتها بما فيه الكفاية لرفض
مزيجاً من المفاضل ولكنك ما يتبين على أن أنت أرفع أذنك ؟ أنت أراءه حيلة - تنظيم
ه رواج ذلك وصورها - ولكنك أهل أن يواتع مع صبرها ، وقد يكون دورها في انقاص
وصريحتي أنت مشقة بطريقة لا يمكن صبرها ، وهذا امر لا حيلة له . ولكنك أيضاً
لا حيلة لي به ، وهي ذليلة ، حسنة وتفتني ، وهذا سيدني أنت بعد ما يعدها
علي ، فهي تعني أني ربما طبيعة أرمالاً بحركة التي عرقنا فيه دونه وعلى هذا . أقول
به باصفاً أنت هبات ، تريد أن تكون عطف الأشياء ، وترغب في ولا تريد
غياق ، روي المظلة التي وجدت فيها ، أنت استأجرنا لا كنت أبحث عنه كل
حياتي تنقذ هي في نفسك المبدأ .

أنتي أرفع حذرك عن مشاهدة المرفق . أنتي تهتمني ، شدة ، جميع قوت
لأن أنتي أرفع يدك مضاوت : أنتي كنت ما ؟ كانت ترد على عيري ، وكنت
أعرف ذلك وأنت ما هذا شيء أنا ؟

أنتي أقرنه معاً في حديثك في عيني الجاني ، لا شيء كان قادراً على هزلي
بعد هواة أنت من هذه المرأة . أنتي أصغر . واسترسي . وفي حين ذلك ارتببت
صاحبة أوى لا يد لي بها : يا عازمة ، ليس لدي أنت علاقة جسيمة مع أي كان .
هل تتألمين ؟ أنتي رجل مأساة هي في ذلك ابتواؤه نحو البشر بيوم جدي . عفتي ،
هكذا قال لي الدكتور ولده يرمأ : ولذلك أنت مريض بالكرويا صغيري !
ولكنه هذا أنت تحبني ه أنته هي منقطة . لا . أنتي لست صغيراً
أو هذا قد دم بعد الجسد بالنسبة في علاج وألمه . ما هي مشكلة أنته ؟ لا أعرف ،
ولكنني أريدك . هذا شيئاً تحبني كما تفتونين ، وأنا أعرف ذلك أنته هي بقوة
وعلى كأول أكثاف المودع ببساطة : أنتي لست أراءه يذللني تعديني

فمنعوا عنه . القواعد لا بد منه فليكن له انتظار . يا
او ~~فمنع~~ فليكن كل شيء . له الحق . في جرح تخفيف
وعلى ولائي .

ولكن في الوسط ؟ في الوسط يا غائبة التي ترحم الخبي لا يستطيع ؟
في بقية الخيال المخلوب مع ارضه -- انه حريف نبي قضيتته ضحية العادة ،
اما انما شمت صخرة والده ، احمر رة والده ، واعور سيرة والده !

وَمِنْ هَذِهِ سَاعَةٍ : عَلَيْهِمُ أَنْ يَنْتَهِوا عَنْ الْمُرُورِ إِلَى هَذَا
وَأَنَّ الدُّنْيَا هَذِهِ كَيْفَ فِيهَا مِنْ بَرِّهَا وَمِنْ بَلَدِهَا . وَأَتْرَى لَهُ أَيْ قِصَّةَ
حَالِهِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَنْتَهِى . . . يَصْنَعُ الْحَيَاةَ بِحَسْرَةٍ عَارِضَةٍ . . . أَنَّ الْحَيَاةَ أَتَى بِقَيْدِهَا
وَيَسْخِي أَنْ يَكُونَ أَلْبَسَ لَهُ . . . أَنَّ الْحَيَاةَ مِثْلَ هَذِهِ الْجَلِيدِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسِيرَ عَلَيْهِ
وَهُوَ أَرَادَ أَنْ يَخْرُسَ نَفْسَ فِيهِ . . . الْأَنْزِلَاقَ هُوَ الْخُلُوعُ وَهُوَ الْمَوْقِفُ الْإِسْطِثْلُ . . . عَلَيْهِ
أَنْ لَا يَنْتَظِرَ ثَلَاثِينَ سَنَةً لِيَرْكَبَ الْخَطَاةَ حَالَهُ الْبَقِيَّةَ ، وَأَنْ لَا يَتَوَقَّعَ خَيْرًا .
وَكَيْفِيَّةَ فِي جَوَابِ . . . لَأَكْتَفِي . . . لَا تَقُولُ فِي خَيْرًا . . . أَنْتُمْ أَعْدَاءُ الْبَلَدِ
عَلَى حُجُودِ الْبَيْتِ الْوَاحِدِ . . . عَلَى حُجُودِ الْوَحِيدِ ، وَأَنْظُرُوا أَعْدَاءَ رَأْسِي الْمَبْتَلِ
بِحَقِيْقَتِهِ حَذَاهُ . . . أَفْهَامُ الْخَيْرِ . . . يَسِيرُ تَحْتَ الْمَزَارِبِ !

4/15/12

انتم ستعرفون بعد قليل ، ولدي تقيته هاتفاً - كنت استظلمها
طويلاً وكنت اعرف انني لو اردت ان اذهب لوجدتها ولكني لانا دونه اذاعة حتى كنت اريد
ان اري مدى اهتمامها بي . لاحقاً ، بلاشارة ، لروني . قالت لي : يا الصباغ انك ستاوي الى
فراشة بلاشارة ولديك " اذهب بيتي باك " اليوم " .. ولكن حتى متفحصاً لم يكن هناك ،
وحتى الواحدة ، ولا الثانية ، ولا الثالثة .. ثم هفتني لي ، فاجفتني انك كانت تشبه

بيدًا ، والله كنت تسر مع صديقه ... وأنتي : ماذا تأوت ؟

لأتحب بنتي أهدنا من البيت وكنتي لم أكنه هناك . كنت مع بعد معرفة واحدة
منه . كنت سألتني البيت في ذلك . انه قد هتفت فقلت لي : ان جسامتك دمه
رة او رسته دونه جواب كفتته لنا ، وهذا - يا فائزة - ما كنت تريد ان تعلمه او هل تعلمين
لانت تبهر لثقال اذني كي تعجب فيها الاصله .. ترى ما الذي يذكر هذه ~~المحظوظة~~
المناسبة لي ، الا ان ذلك ؟

ما الذي حدث هذه الليلة ؟ انني لمجد . هذا شيا حقيقي : حبيبته كتبت لي رسالة
السابقة كنت ، اني ، مع بعد خطوات مني ، في بعض الجوار وسيرتي او جابت
سيرة ، ومثله من ~~كفر~~ وترقعت لم تكتم ، وذهبت ، وكنت اشرى كاس
مع كل صفحة حتى صا . اني ومن الابدول لم تكتم فم بعد يوسعي انه اول ذراع
وقدت السيارة في الخطر والغيب والذهول كهدوء في عذبي في حياتي ، وقررت ان
لا اري اهدا ... لم ، ثم املت ، فركت بالقياسه فقلت : وعرفت انني سأكون سعيدة
او امد طوي . انني احببه وهذا شيا لا اطلع ان امره ولانه اناء ولانني انه
اعفوه بعني ، وحبيبته اهدا بها ذاك ليلة راودني سحره خفيف ، انا فاني
حقا ، بانني لم اكن اواة منه قبل .

وهناك المكور ومطخونه وبعيد عنه كل شيا ، وغداً له لمحبه يومه آخر ... والاعرف
انني اهدا به انوه وهذا تماماً رها ثلاثة سطور ، اظن انني في هذه الاعراف ، ربما بعد
توقف ، لاني بعينه قصته رجل ينتمي ، او بيداً ، او يزلله ، او يخرّب ، او يموت بالهزيمة
بعد ذلك كله .

وما انني بقي لا فطحة ابي الغزيرة ؟ ما رها بنو ؟ بعد قليل ما رها
تمهرة اوى ، واصحاب لكاس صليب في غل صدي قادراً مع استغنى .. وأنتي ، وكنتي لم اكن
اهدأ ... واضمحلت في مكانه اجد ورائي من انه اسع فيه صوته في واكتر انما
سره ينجي لي روايتك او التحدث ابي .

امسح بوجهه بجلالته والقبلة . ومرت منه الامم ببيتته عنه رأت رؤيته سائرته وحقته
مع حافز اودته انذار مع الناس والمطاف والمور والناكار اعقد مع الى حبر . هو
رقة منذ صلات نيت الورة العتمة ونيت الهطام .. تراها سالت عنى ؟ ذللا له كيوه
الاذا كانت تريد انه تراني بعدا . او تريد انه يهتف بقلبي قل يا فتية النازة : اذهب
الى بيتك ذكرا . - او تقول لي اماذا تقار ؟ جيدة عنه الحقيقة جيدة جيدة ..
ستجد ان هذا لترفيع هذا الطلق المتدفع الخبي ، والعادة له كيوه بوسعي انه اقول
لا : لا ، واما بعدا ما احدث ؟ ما امكنه انه كيوه قد عدت غير انه كانت
فخورة ذللا عارفة مع الزور مع شاب آخر ، او مع نسل ، وانا انتظر ؟
وما الذي اريه .. ما الذي اريه منه كشيء يا فائزة ؟ ما الذي يريه هذا
الطلق الدلال الهاليع الخبي الذي تحول الى كرة مشاكجة مع الامم والزوج ؟

ملحق:

مقتطفات من آراء نقدية في الكتاب (*)

جراً عادة السّمان وشجاعتها في إبداء آرائها الصريحة دون لف أو دوران أو نفاق ما زالت كما عهدناها. فقد أصدرت أخيراً عن دار الطليعة كتاباً بعنوان «رسائل غسان كنفاني إلى عادة السّمان».

وقد أثار الكتاب، بطبيعة الحال، ضجة كبيرة ترددت أصدائها في كل مكان، وانتشرت في كافة الصحف والمجلات العربية، بين مؤيدين ومستنكرين ومتفرجين. فالمستكرون رأوا في نشر عادة لرسائل الكنفاني جريمة لا تغتفر، إذ لا يصح ربط اسم غسان، المناضل والثائر الفلسطيني المعروف، بقضايا الحب والغرام، وخاصة أن تلك الرسائل، كما تبدو، طافحة بالهوى والعذاب والشكوى وبعمرارة الهزيمة. وكأنهم بذلك يقولون إن المناضل والثائر لا يمكن أن يعرف الحب وإنه إن جربه، فإنه بذلك يسيء إلى سمعته ومكانته.

وفي رأيي، إن عادة السّمان (لا غيرها) الصادقة دائماً مع نفسها وفي كتاباتها ومواقفها، اختارت نشر تلك الرسائل لأنها مقتنعة بأنها بذلك تحفر بُعداً آخر من أبعاد شخصية الكنفاني، الشاعر والكاتب والصحفي والثائر والمناضل. ولو كان كاتب تلك الرسائل شخصاً غير الكنفاني، لما كانت للرسائل أهمية ما. ولو كانت المعشوقة إنسانة أخرى غير عادة السّمان، التي تمتلك شجاعة تؤهلها للقفز فوق الموانع، لما فكرت يوماً في الكشف عنها. ولكنها عادة التي تمتلك حساً أصيلاً، يمنحها باستمرار ثقة متجددة بالنفس. أما الذين يحاولون الإساءة إليها أو التشكيك بمواقفها بعد سنين طويلة من الإبداع والعطاء، فإنهم يثيرون زوبعة دخان، سرعان ما تتلاشى مخلّقة وراءها إضافة من نوع جديد إلى المكتبة العربية.

ابتسام عبد الله

جريدة «الجمهورية» العراقية، ١٩٩٢/١١/٢٤

(*) تتابع الأسماء في هذا الملحق بالترتيب الأبجدي، وهو يتضمن مقتطفات من المقالات النقدية التي استطعنا الحصول عليها، شاكرين من يزودنا بالمزيد منها مما لم يرد ذكره في هذا الملحق لنشرها في الطبعة القادمة، على أن تُرسل الكتابات إلى العنوان التالي:
عادة السّمان - ص. ب ١٨١٣ - ١١، بيروت - لبنان.

... من أين كانت تأتيه هذه الطاقة العجيبة، التي جعلته يناضل ويكتب المقالة السياسية والرواية والقصة والشعر ويرسم ويعقد المؤتمرات الصحافية، ويحدث انشغافات لا تنتهي في التنظيمات التي ينضم إليها، ثم يجلس بعد الظهر ليضحك ساخراً من كل شيء، ويختلي إلى نفسه عند العشية ليدون واحدة من رسائل الحب الرائعة، التي نشرت الأدبية عادة السَّان بعض ما وجهه إليها منها، فكشفت - مشكورة - عن وجه آخر، وجه إنساني عميق وصادق لفسان كنفاني، الذي طالما اختفى خلف قناع المناضل وسمات الشهيد...

إبراهيم العريس

جريدة «الحياة»، لندن، ١٩٩٣/٧/٨

... وجدت أن الكتاب - عندما اطلعت عليه - مثير ويكشف عن جوانب كثيرة تصلح مادة لكاتب سيرة «غسان كنفاني» وفيه تحليلات نفسية دقيقة وخاصة في الرسالة الأخيرة التي وجهها «غسان» معنونة إلى أخته وهو في الحقيقة يقصد «غادة».

لكن لي رأياً في نشر رسائل «غسان» دون رسائل «غادة» إليه. فهذا الكتاب كان يجب أن يضم كل رسالة وجوابها، لذلك فهو في شكله الحالي يمثل نصف الحقيقة والذي يكون أحياناً أشد تضليلاً من الكذب.

هنا مقياس صغير بحجم بوصة البحار. هل رسائل «غادة» موجودة بين ما خلفه «غسان» من تراث؟ إن كان «غسان» نفسه قد أعدمها فمعنى ذلك أنه كان يريد لتلك المرحلة في حياته أن تظل مجهولة وهذا يعني أن «غادة» حين نشرت رسائله إليها لم تحترم رغبته. أما إن كانت الرسائل باقية فقد كان من الطبيعي تأجيل النشر حتى يظهر الجزء الذي لا يزال محجوباً من تلك المراسلات. كذلك أرى أن المبادرة إلى نشر رسائل «غسان» قد أسيء توقيتها. فحين يحدد الناس أبصارهم في ذكراه إلى نقاط القوة في شخصيته فقد تصبح المفارقة واسعة جداً حين نريدهم أن يحولوا أبصارهم إلى نقطة ضعف لديه. أنا لست ممن يحيطون المناضل أو الشهيد بهالة من القداسة لاعتقادي أن كل إنسان فينا لديه «عقب أخيل»: «نقطة ضعف». صحيح أن البطل يندو رمزاً كبيراً ولكن علينا دائماً أن نتذكر أن بطولته يجب أن تزداد عظمة في نفوسنا لأنه كان إنساناً مثلنا غير مبرأ من كل ما يحتاجه الإنسان على المستوى الجسدي والنفسي. إنما الذي أنكره أن نعتمد جر الناس من الاهتمام بالشيء العام الكبير إلى تفحص الخاص الصغير. إذ إن هذا التعمد في تحويل الاهتمام من مجال كلي إلى مجال جزئي يسيء كثيراً إلى الرمز...

وتشهد لغادة هذه الرسائل بأنها كانت حريصة على ألا تحطم البيت العائلي على رأس «غسان» كما أنها كانت حريصة على أن تظل العلاقة علاقة حب نقي مزيد بصلابة المرأة المتمتعة...

د. إحسان عباس

مجلة «المصدا»، قبرص، ١٩٩٢/١٠/٩

الذين قرأوا كتاب «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السَّان» بهدف الوقوف على جوانب جديدة

من حياة الأديب والمناضل والشهيد الفلسطيني المعروف، تمكنوا بالفعل من إثراء معلوماتهم ومشاعرهم. أما الذين ذهبوا إلى الكتاب لمعرفة طبيعة العلاقة التي جمعت غسان وغادة، ووصلت إلى ذروات مشبوبة العاطفة (مع غسان على الأقل)، فقد عادوا كما ذهبوا... بخفي حنين يقودهم إحباط شديد ممزوج بإحساس أن غادة خدعتهم!

لا يختلف اثنان في أن قرار غادة نشر رسائل غسان الخاصة إليها، وفيها ذلك الاحتقان العاطفي الشديد، كان خطوة جريئة بكل المقاييس الأدبية والثقافية والاجتماعية في عالمنا العربي... لكن الخطوة الجريئة التي أرادت غادة بواسطتها نشر رسائل غسان «بصفتها أعمالاً أدبية لا رسائل ذاتية» لم تكتمل. إنها سيرة أحادية الجانب: رسائل غسان تخفق في فراغ من العواطف، من دون أن ترافقها ردود تعيد رسم صورة علاقة الحب كاملة. وإذا كانت غادة عجزت عن الحصول على رسائلها لأي سبب من الأسباب، فإن ذلك لم يكن ليمنعها من أن تضمن مقدمتها تفاصيل عن طبيعة العلاقة بينهما.

أحمد أصفهاني

جريدة «الحياة»، لندن، ١٣/١٢/١٩٩٢

... السؤال الذي لا بد من طرحه قبل أي شيء آخر هو: هل كانت هذه الرسائل «وثائق أدبية لا رسائل شخصية»، كما أشارت غادة السمان في مقدمتها؟...

في الرسائل ما يمكن أن يقبل ككلام خاص فيه شيء من المساومة مع العشيق، على الزوجة، لكن لا يمكن القبول به ككلام للنشر، ولا يمكن أن يكون الأديب الراحل، بالتالي، قد أذن بنشره... المهم أن النصوص والمقدمة تتكاملان في إجلال الهدف الذي تطمح إليه غادة السمان، من خلال نشرها لهذه الرسائل، ولن نبتعد كثيراً في قذف التهم الارتجالية التي أوصلها البعض إلى حد التأمر مع البيت الأبيض والمنظمة الصهيونية العالمية، على مناضل فلسطيني لاقى ما لاقاه من تكريم واحترام، وشكل رمزاً من رموز الأدب الفلسطيني المقاوم. وإنما نتأكد مما تقدم، أن المشروع يدخل في استعادة ذاكرة الصبا لدى الأديبة الكريمة...

أحمد بزون

جريدة «السفير» البيروتية، ٢٠/٨/١٩٩٢

... قد تكون بعض رسائل غسان إلى غادة، أو كلها، صحيحة وقد تكون ملفقة، بيد أن الصحيح أن غسان كان مثلنا، بني البشر...
... فلنعد للشهداء إنسانيتهم وبهذا فقط نفي شهادتهم حقها.

أحمد سعيد نجم

مجلة «الهدف»، ٣٠/٨/١٩٩٢

... إن الغرض السياسي يعبر عن نفسه أو يطل برأسه من بين سطور مقدمة الرسائل ذاتها. إنني لا أعفي عملية النشر من توقيت الإساءة إلى القضية الفلسطينية السامية والتهميد إلى كل

«الدراما» التي بلغت ذروتها في اتفاق غزة - أريحا. إنني لست من السذاجة لكي أصدق سلامة نية عادة السّمان في نشر هذه الرسائل. لقد كان الهدف من النشر هو إفراغ كبرياء الرموز الفلسطينية التي دفعت دمها ثمناً لما تؤمن به. إفراغها من محتواها العقائدي والإبداعي. لقد كشفت الرسائل ليس عن ضعف في مواجهة العاطفة الذاتية بل عن هزال ملحوظ في التصدي لاندفاعات هذه الذات في حالات خلوتها ووحدانيتها.

... ولا أرى ضرورة ملحة تدفع أدبية لامعة كغادة السّمان إلى التضحية بكرامتها من أجلها. فهل لها في نشر الرسائل مآرب أخرى؟...

أحمد عبد المجيد

جريدة «القادسية» المراقية، ١١/١١/١٩٩٣

... وتبقى الرسائل تحمل نبض القلب، صوت الإنسان في أعماقه ومشاعره، وتظل القادرة أكثر فأكثر، على التعبير عما يعتلج في الحنايا، وعن كل ما يبهج الفؤاد أو يلون بالسواد سريدها القلب...

أديب عزت

مجلة «فنون» السورية، ٢١/٩/١٩٩٢

غادة استمرت وواصلت مسيرتها بصبر ألف أيوب. ولو كانت التهم والتجريحات ومحاولات النيل منها قد أفلحت معها، كما حصل مع أخريات، لتوقفت منذ البداية... لكنها كانت تعرف ما تريد، وآخر ما واجهته في نشرها لرسائل غسان كنفاني الملتاعة لها. لقد وصل عدد طبعات مجموعتها الأولى إلى إحدى عشرة طبعة، وهو رقم لا أظن أن هناك مجموعة قصصية قد وصلته لأي كاتب من كتاب القصة القصيرة العربية.

أحمد صاف

في سنة ١٩٧١، أصدر أنيس منصور كتابه «يسقط الحائط الرابع»، وكان أول ناقد يكتب عن غادة السّمان وقد قال عنها: «إنها مثل كرة القطن المشتعل تنطلق في كل مكان؛ إنها تبحث عن ماء يخمدها. فإذا وجدت الماء رفضت وقاومت وصرخت... ما الذي تريده؟ تريد أن تظل مشتعلة وأن تحلم بالماء...» وحين كتب عن أعمالها «ليل الغرياء» و«عينك قذري» و«لا بحر في بيروت»، وصفها بأنها أدبية غير متمية...

المهم أنها اعترفت بعلاقة حب بينها وبين غسان كنفاني. هذا الاعتراف قلب الدنيا... وهز الوسط الأدبي كله رجلاً ونساء... ماذا لو فعلها باقي الكتاب؟ آه، لو استهوت اللعبة الأدب النسائي! ولهذا قالت لها سناء البيسي: اعترف أنك ملكة الرواية بعد روايتك «ليلة المليار»، وكان هذا يكفي. لماذا الآن وله زوجة وأولاد؟

أشرف توفيق

مجلة «العربي» الكويتية، شباط/فبراير ١٩٩٥

... من غزة والقاهرة والخرطوم وسواها يكتب غسان على سجيته وتفيض عواطفه بصدق ومحبة ويفصح عن الإنسان الكامن فيه: ذلك الذي صار شهيداً وكاتباً ومناضلاً لا يُنسى.

مجلة «الأقلام» العراقية، كانون الأول، ١٩٩٢

الكتابة عادة السَّمان هل ستكون جريئة في حياتها كما في كتاباتها؟ هذا السؤال يطراً على ذهن كل من قرأ ما قاله جهاد فاضل، الناقد اللبناني نقلاً عن عادة السَّمان، ومفاده أن عادة سنشر رسائل حب متبادلة بينها وبين الكاتب الفلسطيني الشهيد غسان كنفاني، كاشفة بذلك عن تفاصيل قصة حب ظلت مخفية عن البعض. وقالت عادة إنها سنشر الرسائل كاملة بمناسبة مرور عشرين سنة على استشهاد كنفاني ضاربة بذلك عرض الحائط التقاليد التي تفرض على المرأة كتمان أسرار علاقاتها الشخصية، ومما قالت أيضاً، إن الرسائل هي ملك الجميع وليس ملك شخص معين طالما أنها جزء من تاريخ الأدب العربي... كتاب عادة السَّمان المنتظر هل سيكون فاتحة عهد جديدة في كشف أوراق وأسرار الأدباء العرب الذين رحلوا قبل حبيبائهم؟ وهل ستكون هناك نساء أخريات بجرأة عادة السَّمان؟ الجواب ربما سيكون بالإيجاب، خاصةً وأن كتباً من هذا النوع مقروءة ومطلوبة بكثرة لما تمثله من أسرار شخصية لكاتب معروفين.

ونأمل أن يكون كتاب عادة السَّمان عن كنفاني لا يشبه الكتاب الذي أصدرته حبيبة «مجهولة» لخليل حاوي عن خليل حاوي نفسه!

جريدة «ألف باء» العراقية، ١٩٨٨/٩/٧

سامح الله من قال، إن المرأة لا تكتم سرّاً.

بعد ستين سنة (١٩٣٧ - ١٩٩٧) فتحت الأدبية الكبيرة إدفك جريديني شيبوب الملف السري جداً المتعلق برسائل حيممة جداً أيضاً، بعث بها إليها مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي، الزعيم أنطون سعادة.

وفي العادة والعرف، إن الدول التي تحترم نفسها لا تعرض ملفاتها السرية للباحثين إلا بعد مضي عشرين سنة، وقد تكون قد شجعتها على ذلك الأدبية الثورية عادة السَّمان التي كانت سبّاقة إلى نشر الرسائل الشخصية «لأنها خرجت من الخاص إلى العام باستشهاد صاحبها قبل عشرين سنة» (رسائل غسان كنفاني إلى عادة السَّمان ص ٨).

أنطوان خليل

مجلة «الحوادث»، لندن، ١٩٩٧/٨/٢٩

كتاب الأدبية عادة السَّمان ورسائل غسان كنفاني إليها أثاراً ضجة بين معارض ومؤيد.

أرى أن قطاعات كبيرة من القراء المحترفين والعاديين يجهلون عوالم الكُتّاب الداخلية ويجهلون أزمتهم وأمزجتهم وتركيباتهم النفسية، ولذلك فإنهم يحاسبونهم كما يحاسبون أي إنسان عادي وفق نفس المعايير ويصدرون أحكاماً جائرة في حقهم.

إن بصمة المبدع هي جودة في نتاجه كما هي في حياته، لكن ما يظهر للناس هو ما يقدمه لهم، وبالتالي تُرسم صور مثالية كثيرة... نحن بحاجة إلى فهم أوسع لطبيعة المبدع...

أنور الخطيب

جريدة «الاتحاد»، أبو ظبي، ١٣/١٠/١٩٩٤

أليس مفارقة أن يخفي كلام الحب، من نثر العرب المعاصرين؟

المرأة هي الأرض أو هي الوطن، المرأة رمز حتى في حالات العشق القصوى، والحب في أدب الرجال والنساء، خاضع لنمذجة مسبقة. وفي الحالات النادرة حيث يعلو صوت الحب في حياة شخصيات الروايات والقصص، فإنه يخفي في القضايا الكبرى. ولعل أدب كنفاني نفسه، هو النموذج الصارخ لهذه الإشكالية.

ففي الوقت الذي كان يبعث فيه برسائل حبه، كان يكتب مسرحية «القبعة والنبي»، أي كان يعيش انقساماً بين وجودية عقلانية تعبر عنها المسرحية، وبين وجودية حياتية تعبر عنها الرسائل... مع رسائل كنفاني، نحن أمام حالة فريدة في الأدب العربي. لكنها للأسف حالة ناقصة. تستطيع عادة السنان أن تقول إن جزءاً من الرسائل احترق، ونحن لا نملك سوى أن نصدها أو أن ندعي تصديقها... ولكنها حين تنشر الرسائل هكذا ودون مقدمة حقيقية (كتب للكتاب مقدمتين محشورتين برطانة البلاغة التقليدية)، فإننا نتساءل هل المعشوق خارج الدائرة، أم أنه يفضل أن يبقى خارجها كي يحتفظ بالضوء مسلطاً على سلطته!

رسائل كنفاني تكشف سلطة العشق، لكنها لا تكشف كل الحقيقة. فالحقيقة ناقصة. عادة السنان تقول إن رسائلها الجوابية لكنفاني ليست في حوزتها، ونحن لا نملك سوى تصديقها، لكنها لا تستطيع أن تدعي أن ذاكرتها ليست بحوزتها أيضاً، فالإشارات التوضيحية التي كتبتها في أسفل الرسائل تدل على أنها ما تزال تذكر أدق التفاصيل.

لماذا لم تكتب مقدمة عن الحكاية، وعن ما تذكره من رسائلها؟ هل لأنها أرادت أن تحتفظ بصورة المنسلط المطلق... وما قيمة السلطة أمام سلطة الزمن الذي سيأخذنا جميعاً إلى ذاكرة النسيان؟...

الياس خوري

ملحق جريدة «النهار» البيروتية، ٢٥/٧/١٩٩٢

... ولماذا انتظرت السيدة عادة كل هذه المدة لكشف ما يمكن وصفه بالعورات؟...

نحن الذي عايشنا غسان كنفاني في الفترة ذاتها «فترة الغراميات» والأشواق الملهبة أو الملتهبة، لا ندعي أن الرجل كان قديماً ولا حتى أفلاطونياً أو بشيئاً... أو حتى عنيئاً...

... أقول الآن، إنه كان ربما، يعشق كوب الشاي الأخضر في أغلب الأحيان أكثر من أية امرأة...

... أمسك بعلامة استفهام ضخمة حول الموضوع برمته، لا أسوق نهمة التزوير أو التحريف

أو التأليف، أولاً لأنني لا أملك مصاريف الدعاوى والمتابعات الإجرائية القانونية، وثانياً لأنني لا أملك الجهد اللازم لمتابعة المحاكمة والمناكفة...

... وما دمنا في مجال التطرق إلى النظام العالمي الجديد، لا أستطيع إلا أن أخمن ولادة كتاب السيدة السمّان من حماته...

... في هذا العصر مات غسان كنفاني فعلياً... قبله كان ما زال حياً بصورة ما، غامضة وفاعلة، لم يكن خلالها بالإمكان رشق وجهه باللطخ السود، ولا جسده بالحرايب المسمومة.

أما الآن... في عصر الردة الجلية هذا، فهذا ليس ممكناً فقط، بل هو واجب ربما...
... أليس هو التوقيت المناسب لنشر ما نشر.

أيها الفلسطينيون، إن رمزكم الأدبي كان يتمنى تقبيل قدمي سيدة ما... اركعوا إذن. لن تنفع كل هذه الحجارة... وكل هذه الدماء الفتية.

كله هباء، كله هراء، ألا ترون؟... إنه كتاب، وموثق، تريدون خبراء خطوط؟ أم خبراء نوايا؟ أم خبراء استثمار؟ في كل الحالات هو الغناء في الطاحون. إنه سيل العدم يتاسل...

إلياس المطروني

جريدة «السير» البيروتية، ١/٨/١٩٩٢

... لكنك عظيم. تسأل لماذا؟

ليس لأنك كنت مناضلاً شجاعاً... ليس لأنك حملت فلسطينك على ظهرك وتجولت في الدنيا... وليس لأنك تفتتت ذات صباح لتصبح شهيداً... ليس لأنك كنت كل هذا فقط. بل لأنك كنت إلى جانبه إنساناً.

آمال مختار

جريدة «الصباح» التونسية، ٢٧/١/١٩٩٢

... وأتساءل لو مات غسان ميتة غير التي ماتها... أكانت تفتخر غادة بحبه.

وها نحن يا غادة ننتظر، لنرى على من يقع دور الاعتراف الآن...

أميمة الناصر

جريدة «الرأي» الأردنية، ١٨/١٢/١٩٩٢

منذ أفرجت الأدبية غادة السمّان عن رسائل الحب التي بعثها إليها غسان كنفاني، ونشرتها... والثورة على غادة قائمة في مضارب العرب من المحيط إلى الخليج.

... ولماذا لا يكون الناصر عاشقاً؟ وعاشقاً خائباً مثلي ومثلك ومثل الملايين في هذا العالم؟

وهل يستحيل على القلب الكبير أن يجمع بين حب بلاد وحب امرأة؟

... إن «الرجال لا يكونون» هي عبارة لا وجود لها إلا في قواميس الجلادين والتماشيح.

وغسان كان أديباً مرهفاً، يعيش بالحب وللحب. لهذا اجتمع حوله عشرات الأصدقاء الذين ما زالوا

أوفياء لذكراهم حتى هذه اللحظة... أهم ما في الرسائل أنها كشفت جانباً حقيقياً من الأدب الذي قرأناه بحب، والمناضل الذي بكينا رحيله قبل الأوان. أما الذين يساءلون عن رسائل غادة الجوابية، فهم لا يريدون اكتشاف غسان بقدر ما يبحثون عن الإثارة... إن رسائله إليها مكتملة بحد ذاتها، بل بدون الهوامش القليلة والمقدمة التي قدمتها بها. هذا إذا قرأناها بعين الباحث المنشوق لحرف لم ينشر لغسان، لا بعين الجاسوس الذي يتشمم الفضيحة.

كل جريمة غادة أنها امرأة عربية خرجت عن المألوف فنشرت رسائل أدب هام بها، مع كل ما في الهيام من خيلاء... ومن لحظات ضعف. ومن كان منا بلا ضعف فليرم غادة بحجر!

إنعام كجه جي

مجلة «الدولية»، باريس، ١٩٩٢/١٢/٢

انقسم النقد في هذا الشأن (رسائل غسان) إلى قسمين. فالذين قالوا: لم لا، هم غالباً ممن يؤمنون بحرية الفنان المطلقة في التصرف بمقتنياته الخاصة. وطالما أن هذه الرسائل كتبت لغادة، فيحق لغادة وحدها التصرف بها ونشرها في الوقت الذي تراه ملائماً لذلك. وحينئذ في ذلك أن حب غسان لغادة لم يكن خافياً على أحد. فالذين عايشوه في أواخر الستينيات كانوا يقرأون عن هذا الحب في زاويته الخاصة. ويا ليت نساء عربيات أخريات يتجرأن على إخراج رسائل أدبائنا الكبار لهن المخبأة في صناديق الخوف والعته...

أما الذين اعترضوا، فإنما فعلوا ذلك لسببين: الأول لاقتناعهم بأن الأدب كتاج كامل وشامل شيء، والمراسلات الأدبية شيء آخر. ويعني ذلك أن الرسائل قد تكون أدبية ومكملة للتاج الأدبي وقد لا تكون. وهل كل ما يكتبه الفنان تحت وطأة الانفعالات العاطفية يشكل دوماً مادة أدبية هامة؟ وإن توقفنا عند رسائل غسان إلى غادة التي لا تزيد عن الإثني عشرة رسالة، نتساءل: هل تضيف إلى أدبه مضيئاً؟

إيفانا مرشليان

مجلة «الدولية»، باريس، ١٩٩٣/٢/٢٤

... ليس في العربية مثل هذا التقليد. إذ لا مكان في ثقافة القضايا والكيلات أن تطابق صورة الكاتب صورة الإنسان فيه. فالعيش في ثقافتنا مردول أو مصنف في مرتبة دنيا، تماماً كما يُصنف الشر. والقضايا توضع في صفة الشعر ومرتبته.

... وسواء اقتنع القارئ بالمبشرات التي أوردتها في تقديمها للكتاب أم لم يقتنع، فإن ما أقدمت عليه غادة السنان عبر نشرها الرسائل لا يخلو من الجراءة، مهما كانت الدوافع إليه. هذا فضلاً عن الجانب الآخر الذي ربما لم نغتنن له غادة السنان وهو إسهامها في نشر أول نص غرامي باللغة العربية، دون تدخل أو حذف أو مراعاة أو تورية...

بسام حجار

مجلة «الناقد»، كانون الأول، ١٩٩٢

... وسواء كنا مع غادة السمان أو ضدها، إلا أنها برعت في تقديم الكتاب بصراحتها من ناحية وبأسلوبها في الكتابة من ناحية أخرى.

... وندخل من صراحة غادة إلى صدق غسان فنكتشف أننا في عالم من الشعر، من اللغة الناضجة المذهلة. غسان يرتفع في العشق إلى حيث تختلط الحبيبة بالثورة، بالقضية، بالأرض، بالأهل.

... غادة قتلت غسان من الداخل كما قال، وهي نقطة عليها. ولكن نشر رسائلها بما تضمنت من عمق إبداعي مساهمة في إحيائه مهما قيل، وهذه نقطة لها.

بدري عبد الملك

مجلة «الحمام» اللبنانية، ٢٥/١٠/١٩٩٢

غادة لم تقل لنا هل كانت ترد على رسائل الحب من غسان برسائل حب مماثلة؟ وإذا كانت لم تفعل، فهل كان غسان يمارس الحب من طرف واحد؟ وهذا الحب من طرف واحد كيف ينسجم مع العلاقات العشر أو العشرين التي كانت لفسان في الوقت نفسه؟

بلال الحسن

جريدة «السفير» البيروتية، ١١/٧/١٩٩٧

من يقرأ بوح غسان بالعشق، لا يمكنه إلا أن يتذكر قيس وليلى، وكل قصص العشق التي دونها التاريخ. العشق في قلبه شرقي إلى أقصى الحدود، يوصله إلى حد الجنون أحياناً، وإلى حدود الألم في كثير من الأحيان.

مجلة «بلقيس» اللبنانية، حزيران/يونيو ١٩٩٨

... التطلع للدفاع عن غسان بالأوهام مخافة الفتن والإساءة إليه فهذه هي الإساءة عينها... إن قلباً من التروي يظهر أن فعل غادة يستحق كل تنويه لأنها استطاعت أن تكشف عن جانب غالباً ما طاله الطمس وكان الإنسان عقل دون قلب. وبفعلها تكون قد قربته لنا أكثر...

بوشخار حمو

مجلة «الناقد»، تشرين الأول، ١٩٩٣

... غادة السمان في نشرها رسائل كنفاني لها، تثبت جرأتها في تناول المحرمات (إذا اعتبرنا الرسائل الخاصة جزءاً منها)، والمعروف عنها أنها جريئة إلى حد المغامرة، وأنها تملك طاقة على انتهاك المقدس من تقاليد وعادات وأعراف، لا تزال جزءاً من ديمومة «التجمعات» العربية.

وفي عودة إلى الرسائل، فإن غادة السمان تفوّت على القارئ طرح بعض الأسئلة حول اكتشافها بنشر رسائل كنفاني إليها من دون أن تنشر إلى جانبها رسائلها له بانتظار أن تعثر عليها، وتنتهزها فرصة لتوجه نداء «إلى من رسائلني بحوزته (أو بحوزتها)... ونظن أن لغادة السمان عذرها في هذا الشأن، وليس ما قيل في حقها إلا محاولة لتسجيل موقف أو رأي لا أكثر. خصوصاً أولئك الذين

تعرضوا للسَّمان آخذين عليها غياب قلمها عن مراقبة بعض ما جاء في مضمون الرسائل، باعتبار ذلك يمس بكرامة أديبنا الراحل وتاريخه النضالي... لا شيء يمنع من أن يكون الإنسان مناضلاً إلى جانب كونه عاشقاً حتى العظم. إلا إذا كنا نرسم صورة للبطل على ضوء ما تختزنه الذاكرة العربية... عادة السَّمان تكسر هذا المفهوم وتنتزع عن البطل أخباراً وهمية تصنع سيرته وشخصيته، تجرده من أوهام العامة ونسج خرافتهم حوله.

حسناً كانت فعلت عادة السَّمان لو اقتصر في تقديمها للرسائل على هذه الإيضاحات ولم تسهب في تحليلها البارد لأبعادها الوطنية والأدبية والإنسانية. فعرضها للدوافع والأسباب التي حملتها على النشر جاء جافاً وفتقر إلى حميمية الرسائل ودفعها. وكان أخرى بها لو تركت للرسائل أن تكشف نفسها بنفسها...

بيار شلهوب

جريدة «نداء الوطن» البيروتية، ١٩٩٢/١١/١٥

... لقد سمحت لنفسك بنشر رسائل غسان كنفاني إليك وانتهكت حرمة العاطفة... وأعطيت لنفسك الحق كل الحق في ذلك.

تفريد شملالوي

جريدة «الدستور» الأردنية، ١٩٩٣/١/٨

... أما كيف ننبش في «خاص» الثوري؟ فهذا تابع للقناة المتبعة في النيش والحفر وعن الهدف المقصود في/ومن ذلك. وبنفس الوقت مرتبط بالمتلقي وسوية استيعابه للمظاهر السلوكية...

أنا لا أقصد اتهام الأدبية عادة السَّمان (بل لا بد من أن يشكرها كل المخلصين لغسان الأديب والثوري والإنسان، حيث أظهرت فيه جانباً كان أكثر إبداعاً وتآلقاً إنسانياً من خلال نشرها لرسائله) ولكنني أتهم التغييرات الفيزيولوجية والنفسية التي تطرأ على جسد المرأة بعد مضي العقود الأربعة الأولى من عمرها، خصوصاً إذا وجدت نفسها في حالة من الفراغ النفسي والاجتماعي الذي لا تستطيع أن تحمله على أكداش الدولارات أو المساحيق أو الأوراق الصفراء المهملة...

... كان غسان فتناً مبدعاً خلافاً ثورياً بكل ما تحمل مواصفات الفعل الإيجابي من مظاهر ومنظومات. وباعتباره إنساناً، لم يكن مبرمجاً كما تشتهي أنظمة العجالات والمداخن والنساء اليانسات والرجال المنحطون أو غيرهم. أي أنه كان يحاول الحركة عبر أفق مفتوح بخطاب جمالي وعقلاني وفكري وثقافي مفتوح. ولم يكن مغلقاً في دشدشة التعريف القزم للثوري الميكانيكي الذي يحرك لسانه فقط ليكتشف في اليوم التالي أنه علّق ثورته على مشجب الإيديولوجية الرثة، وترك نفسه متخبطاً في مستنقع الميكانيكيات المقزّمة للإبداع الجمالي. وهذا لا يعني أن المبدع الثوري يعاني من ازدواجية ملكية. فهو في عشقه متماح مضع ناكر للذات، بغض النظر عن صيغه إن كان للوطن، أو للإنسان أو للطرف الآخر (الرجل أو المرأة). وهنا بالذات تسقط معايير الأعراف والتقاليد وأنظمة التمثلات الاشتراكية. فمعنى أن يقوم إنسان ما بعملية انتحارية يشظى فيها جسده أمام الفكرة المعترقة. وبنفس الانجاء يمكن مناقشة حالة العشق التي يمارسها الثوري. فهو ناكر قطعي لذاته أمام الطرف الآخر،

وبالتالي، لا معنى لتناول هذه الحالة من خلال تشعبات علم النفس التي تدرسها من ناحية مرضية كالدرنية والمزوشية وغيرها... وما محاولة اغتيال غسان على أيدي الذين فهموا رسائله على أنها مادة متفجرة جديدة ستائر موقعه في ذاكرتنا المفجوعة لن تكون إلا إعادة بناء لمقدماته التي وضعها في ثقافة المقاومة على أمل إيجاد مشروعية القدرة على التصدي الوطني الشعبي والابتعاد عن مشاريع الرد البربري للقاع الشعبي ضد قطار عولمة السماسرة ورعاة البقر وأشباه الديناصورات...

د. جمال الدين الخضور

مجلة «الهدف»، ١٨/١٠/١٩٩٢

تنوي عادة السّمان نشر رسائل حب تبادلتها ذات فترة مع الكاتب الفلسطيني الراحل غسان كنفاني بمناسبة مرور عشرين سنة على غيابه. ستنشر عادة السّمان هذه الرسائل كاملة وبدون اجتزاء... ضاربة بعرض الحائط بأداب النظام العام الشرقي وتقاليده، هذا إن كان هناك مؤسسة اجتماعية شرقية لها مثل هذا القوام القانوني، ولها مثل هذه التقاليد.

قلت لي عادة السّمان: مرّت عشرون سنة على تلك الحكاية العاطفية، فأصبحت تخصّ الجميع ولا تخصّ شخصاً معيّنًا بالذات. لذلك لا أجد ما يمنع من نشر تلك الرسائل... إنها رسائل تدخل في باب الوثائق الأدبية أكثر مما تدخل في باب الرسائل الشخصية. فأي تحرّج أو تأثم في نشرها؟

وتذكرت ساعتها رسائل الياس أبو شبكة إلى حبيته وكيف أحرقها شقيق زوجها بعد عودته من البرازيل، ورسائل خليل حاوي إلى ديزي الأمير التي تكفّلت هي - وليس أحد سواها - بإجراء، «اللازم» نجاهها. لقد أعطتها قبل سنة لدار نشر لبنانية بعد أن حذف منها ما حذف، وأخفت ما أخفته «بالكلس المقوى» كما يقول أحد متون الكتاب الذي ضم الرسائل. وفي طليعة ما حذفته وأخفته اسمها بالذات، كان خليل حاوي أرسل تلك الرسائل إلى فتاة وهمة تخطلها، لا إلى فتاة كانت خطيبته وقد أقاما معاً في كامبردج (يراجع كتاب إيليا حاوي عن شقيقه خليل، وقد صدر مؤخراً عن دار الثقافة في بيروت). وقلت في نفسي وأنا أسمع عادة السّمان تروي باعتزاز ما ستفعله لفسان كنفاني بعد مرور عشرين سنة على استشهاده: إن ذاكرة عادة السّمان تتوهم مع الوقت وأصالة معدنها يحسم الأمر، فتعيد الحياة إلى ماضٍ من العمر فيه ما يبعث الفخر لا ما يؤلّد الخجل.

جهاد فاضل

مجلة «الحوادث»، لندن، ١٢/٨/١٩٨٨

... عادة تسوق الشاهد تلو الشاهد، والفكرة تلو الفكرة، من تراث السلف أو من تراث العصر، لتثبت حق الكائن البشري بالحب والبر، وهو أمر يظهر كم أن مجتمعاتنا الشرقية متخلفة حتى عن ماضيها الحضاري نفسه. ففي ذلك الماضي الحضاري بلغ الإنسان العربي من رقي القلب والروح والوجدان، ما لم يبلغه إنسان معاصر اليوم... والواقع أن أحداً لم يحسن إلى غسان كنفاني في ذكرى مرور عشرين سنة على استشهاده بمقدار ما أحسنت عادة السّمان. لقد أظهرت الإنسان والصدق والبراءة فيه.

... وأراني بعد ذلك في غير حاجة إلى التأكيد على أن غادة السمان لم تسمي إلى أحد في نشر هذه الرسائل، ولا إلى أية قيمة من القيم الراسخة في الضمير البشري أو في الضمير الأدبي... ولن يندم القارئ إذا أعاد قراءة المقدمة وقراءة الكتاب كله مراراً. ففي كل ذلك شحنات من الوجد يندر لها مثيل.

جهاد فاضل

مجلة «الحوادث»، لندن، ١٩٩٢/٨/٢٨

... والغريب أن «الفتنة» نفسها التي حملت عليّ يوماً لنشري قصيدة غير معروفة لبدر شاكر السياب (نشوء صورته) كشاعر تقدمي في نظرهم، تحمل اليوم على غادة السمان بداعي أنها تشوّه سيرة غسان كنفاني. أما لماذا تشوّه غادة سيرة غسان فلأن غسان عند هؤلاء ليس مجرد كاتب أو إنسان عادي، بل كاتب أو إنسان امتزج «بقضية»، والقضية تتأذى عندما يُضبط هذا الكاتب في «لقطة» يقول فيها لامرأة أو لحيبة أنه يحبها... فكيف يجوز ذلك من كاتب كان مسؤولاً يومها مع وديع حداد عن العمليات الخارجية للجهة الشعبية؟ ثم إن توقيت نشر هذه الرسائل هو عندهم أكثر إيذاء، «فالقضية» نفسها تمر اليوم في أخطر مرحلة من مراحلها. إنها في حالة هزيمة ما بعدها هزيمة وتردّ ما بعده تردّ. وكان الأولى بغادة السمان أن تؤجل نشر هذه الرسائل في هذا الظرف الدقيق لحين استعادة القضية لأنفاسها أو لحين وصول القضية إلى النصر. أما وأنا لم تفعل ذلك فلا شك أنها «وقّعت» نشر هذه الرسائل مع دوائر أجنبية مشبوهة (لكي تزيد القضية تعقيداً) من نوع الدوائر التي «وقّعت» أنا معها عندما نشرت قصيدة بدر.

... ما فعله غسان كنفاني لم يكن عيباً أو شراً، فالكثيرون قبله، ومن كبار القوم ومن أصحاب القضايا، صرخوا وتأوهوا عندما كانوا في مثل وضعه. وكل هذا خير دليل على أن الحب هو صاحب الوقت وصاحب الزمان والباقي وحده. ودليلنا المباشر على ذلك أن كل عمليات غسان العسكرية لم تقدم أو تؤخر، في حين أن «عملته» العاطفية هذه تثير اليوم ما تثيره من اهتمام، ومن بدري فقد تكون في المستقبل «عملته» الأدبية الوحيدة الباقية.

أما أن «القضية» في محنة خطيرة اليوم ولذلك لا يجوز نشر هذه الرسائل، فما أدرانا أن حال هذه القضية سيكون غداً أفضل، أو أنه قابل للتحسن مع الوقت. ثم هل تربط نشر كتاب أدبي، أو نشر كتاب موضوعه رسائل عاطفية عمرها ربع قرن (المجرد أن صاحبها كان مناضلاً)، بتحسّن ظروف هذه القضية؟ ولنفترض أن ظروف هذه القضية لن تتحسن، وهذا هو الأرجح مع الأسف الشديد، فهل نحبس الكتاب أو الرسائل؟ وهل هذه الرسائل شديدة التأثير على مجرى هذه القضية فعلاً؟ وهل كانت غادة السمان، وهي من العرب العاربة كما هو معروف، ترضى بطبعها لو أنها كانت مقتنعة بأن نشرها يضرّ بالقضية؟...

جهاد فاضل

مجلة «الحوادث»، لندن، ١٩٩٢/٩/٢٥

... جاء في الرسائل ما يثبت رغبة غسان كنفاني في الكتابة عنه من قبل غادة السمان، يقول «إنني أعطيك بطل قصة، مخلوقاً جديراً بالتحقق في أنبوب اختبار، وسأكون سعيداً لو عرفت كيف تكتين عن رجل أحبك، ولم يخطئ معك وظل يحترمك، ولم يكثر بأيام شيء في سيلك».

... لم تهتز صورة غسان المناضل في أذهاننا حين قرأنا الرسائل بل إنني رأيته يحيا من جديد ولم أعتبره موتاً ثانياً له كما أشار الأستاذ محمد كعوش في مجلة الحصاد. موت من أجل الوطن هو حياة، وموت من أجل العشق هو حياة أيضاً.

الرسائل تحمل فنية عالية ولها قيمة أدبية تندرج ضمن فن المراسلات الأدبية بين الكتاب على خلاف ما ذكر الأستاذ وليد أبو بكر من خلو تلك الرسائل من إبداع غسان كنفاني في الكتابة. . .

تلزمتنا جرأة غادة السمان لفعل ذلك حتى يتكوّن لدينا فيما بعد فن جديد: المراسلات الأدبية وخاصة تلك التي تكون بين الرجل والمرأة. ماذا في ذلك؟! لماذا لا نعلم إلى كشف دواخلنا ونفصحه المستور حتى لا تنفصل كثيراً عنها. . .

جواهر الرفاعة

جريدة «الرأي» الأردنية، ١٩٩٢/١١/٣

... وفي زمن أقرب إلينا أذكر غادة السمان وقصة الحب التي جمعت بينها وبين غسان كنفاني. وهي العلاقة التي كشفت عنها الرسائل التي نشرت مؤخراً في إطار عملية جريئة لم يسبق لها مثيل في حياتنا الثقافية والأدبية. إذ كثيراً ما تنشر الرسائل المتبادلة بين الكتاب والكاتبات بعد الوفاة، خصوصاً بعد وفاة الكاتبة. أما في حال غادة السمان فقد وقع العكس، بحيث بادر الطرف المؤنث في العلاقة، لا الطرف الذكر، إلى نشر المراسلات المتبادلة. ثم إن الإبداع والتأثير الثقافي المتبادل كان ركيزة في علاقة غادة السمان بغسان كنفاني. . .

جورج طرابيشي

مجلة «الوسط»، لندن، ١٩٩٣/١٢/١٣

... إن غادة تقدم غسان عاشقاً مهزوزاً، ضعيفاً، يعاني من أمراض السكري، النقرس، الضغط العالي والواطئ. . . لقد شوّعت غادة صورة غسان. . . فهل يمكن أن نعد هذا (الذل) من الأدب، وأنه لوجه الإبداع وإفادة القارئ؟

حسب الله يحيى

جريدة «العراق»، ١٩٩٣/٨/٥

... لقد ذهب الحق وجماله في معمة الضجيج، وافتعال التقلبات على أدبية راقية مثل غادة السمان، بل إن بعض (أصحاب الأعراض وجماتها) استجروا تاريخ غادة السمان وماضيها. . . وبنوا عليه بعض ما جاء في الكتاب، وهم ليسوا على حق إطلاقاً لأن أنفاسهم ليست طيبة أبداً، ولأنهم أخذوا بالجزء، ولم يأخذوا بالكل. . . أخذوا ما اتفق وأغراضهم من الكتاب وتركوا ما خالف ذلك. وهذا ليس هو روح الأدب والقراءة النقدية. . .

وغادة السّمان، وهي تنشر رسائل غسان كنفاني اليوم لم تأت شرّاً، أو ترتكب حماقة، أو تنشر سلوكاً شائناً أبداً... إنها بصريح العبارة تقدم كتابها الجديد بكل افتخار، وتقدير، واحترام لأديب مرموق مثل غسان كنفاني، قيضت له الأيام ولها أن يتعارفا... فتمد هي إليه يد الصديقة الدافئة في مرضه، ويمد هو إليها اليد الصديقة الدافئة وهي ما تزال في أول مشوارها الأدبي...

وفي قناعتي أنه لولا قناعة غسان كنفاني بإبداع غادة السّمان وسلوكها، وحضورها... لما كتب إليها حرفاً واحداً... وفي المقابل، لولا إدراك غادة السّمان الكبير لحقيقة غسان كنفاني... لما بادله الحوارات، والرسائل، والكتابات، ولما عايشته سلوكاً وأدباً... فقد كانا معاً، قمعتي إبداع في عاصمة مثل بيروت حاشدة بالأسماء الإبداعية المهمة، وذات الحضور غير العادي...

إن الخلط، والتشويش للذين شابا المقالات والدراسات التي تناولت كتاب غادة السّمان الجديد (رسائل غسان كنفاني إلى غادة السّمان)... سيزولان لأنهما وقفا موقف الأخلاقي، وكأنهما في محكمة، تجاه أثر أدبي فيه الكثير من الحضور الأدبي، والصدق الوجداني، والعذوبة الفنية الرهيفة، والقيمة التاريخية... وذلك كله في صالح المبدعين غادة وغسان... لا ضدهما. وقد آن الألوان حقاً... أن تحسر تلك الكتابات المتهافنة التي لا تحوّم إلا في فضاءات عكرة لا أوسجين فيها، ولا صفاء، ولا مودات...

حسن حميد

مجلة «صوت فلسطين»، ٣٠/٣/١٩٩٣

كاتبة مبدعة وتقدم أدباً نائياً متميزاً. ولكن كتابها الأخير عن غسان كنفاني لم أعجب به على الإطلاق.

... كتاب ليست فيه أي جرأة بل حب ظهور وأناية. هي تنشر رسائل أديب أحبها ما العيب في ذلك؟ الجرأة الحقيقية حين تنشر رسائلها هي لغسان كنفاني، لقد اتفقا على نشر هذه الرسائل عندما يتوفى أحد الطرفين وباستشهاد غسان شوّهت غادة صورته.

حناء مكداش

«الاتحاد الأسبوعي»، أبو ظبي، ١٥/٩/١٩٩٤

... نرجسية مقبلة لا تليق بمرتكبيها وهم في ميعة العمر فكيف بهم وقد ارتدّوا إلى أرذلة مثل السيد نزار قباني والسيدة غادة السّمان في أكثر ما يكتبان حتى ولو كان نشر رسائل كاتب ضخم مثل الشهيد غسان كنفاني... نقول هذا لمناسبة صدور الرسائل بطبول وزمور عن دار الطليعة في بيروت (لماذا ليس عن دار رياض الرئيس المختصة بمثل هذا...؟! ومن حسن الحظ أن تلك الطبول والزمور لم تتجاوز دائرة «قطرها دار النشر» المذكورة على الرغم من الغندرة والزيطة...

ولا بد للقارئ أن يتساءل هل يجري على مثل هذا الهراء (يقصد مقدمة غادة السّمان للرسائل) إلا شخص يحتاج إلى قليل من الحياء...؟!!

حبيب كيالي

جريدة «تشرين» السورية، ٧/١٩٩٣

... والذي يقرأ هذه الرسائل يجد حقاً أنها عالم أدبي فريد... تحتاج من القارئ إلى حساسية خاصة لقراءتها.. فهي نبض ودم واحترق كامل لكل الخبرات الأدبية الإبداعية المتألقة التي عاشها القاصُّ والروائي الشهيد كنفاني... وفيها (تكريم لحالة عشق) وعت غادة السمان حقيقتها واحترمتها...

... هذه المراسلات تبقى ناقصة، إذا لم تكتمل بنشر رسائل غادة السمان إلى كنفاني نفسه... والتي هي الآن بحوزة أهل الشهيد...

حسين دعة

جريدة «الراي» الأردنية، ٨/١/١٩٩٣

... تقوم علاقة المثبت (غسان) بموضوع حبّه (غادة) على أساس لعب دور الابن المفرط الدلال والحساسية التي تبلغ أحياناً حد الإزعاج: موقف طفلي استغلالي يضيّع حتى حق الشريك في رد الفعل البسيط والطبيعي، بل تهدر كل حقوق الشريك المشروعة في أبسط درجات الخصوصية والاستقلالية، وسيطر هاجس طفلي على بطلنا حول أبسط ما يمكن أن يقوم به الشريك من تصرفات وما يقيمه من علاقات وهو ما نسميه بـ «الغيرة المرضية». وحين يلعب دور الأب - الرجل، فيسكون دوره منتفخاً بصورة مَرَضِيَّة وفي الغالب حامياً ومنقذاً بصورة تضيّع أبسط خصوصيات وحقوق المقابل. تأمل ردود الفعل التالية («الرسائل»، ص ٩١): «قد أنزلت وأنحطم ولكنني أبداً أبداً لن أقبل أن أكون صديقاً لها، أرى بعيني المكسورتين رجلاً يثبت أنه يحبها وتحبه! فلن أتحمّل هذا الهراء...». ثم يحاول تخريج هذا الأمر بصورة فكرية قد لا يدرك من يسمعها جذرها الإيروسي: «إنني كما قلت لك مرة أفضل الموت على الأسر. وعلى الأقل من أجل الحقيقة فسأرفض دائماً أن أقبل الزيف». ومثل هذه التخريجات الفكرية الحادة القائمة على الإنكار والتبرير يمكن لها بعد خطوات أو مراحل من اختزان الألم وكبت المعاناة والإحباط أن تنصّد في صورة أعمال إبداعية أو حتى إنجازات فكرية وفلسفية واسعة ومرموقة (مع توافر الموهبة الأصلية طبعاً). يكتب غسان لأخته: «أنت تسألين: ما الذي تريده إذن؟ وأنا لا أعرف، أعرف فقط أنني أريدها»...

لقد احتجّ الكثيرون على نشر هذه الرسائل بحجّة أنها نسيء إلى صورة بطلنا. وأنا أعتقد أن هذا الاحتجاج بالإضافة إلى أنّه مرتبط بصورة الأب المنزّه التي نضع فيها بطلنا وبشماهنا معه، فإنّها ترتبط أيضاً بمقاوماتنا اللاشعورية التي تحاول السيطرة على دوافعنا المتعلّمة تحت قبضة الكبت. فعظمة بطلنا تكمن في أنّه لم يكن يخجل من تلك الدوافع وأعلنها بجراحة...

وقد تبع بطلنا صوت قلبه حتى النهاية، وكان حقيقياً ورائعاً حتى في لحظات ضعفه، وكان كبيراً حتى في تناقضاته...

د. حسين سرمك حسن

مجلة «دراسات عربية»، بيروت، شباط/فبراير ١٩٩٩

ما أظلم الإنسان.. فالذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها يوم نشرت الأدبية غادة السمان رسائل الشهيد غسان كنفاني إليها مخطئون.. فقد عز عليهم أن يرتبط اسم غسان بقصة حب كبيرة... وهذه الفئة الغاضبة على غادة السمان، اعتبرت نشر الرسائل من قبيل الإساءة والافتئات على إنسان يمثل الرمز لقضية بلاده، فكيف يهبط إلى هذا المستوى الذي لا يليق بالأبطال؟... وكيف يمكن أن يكون لديه وقت أو مكان لإنسان آخر حتى لو كان امرأة مرهقة الحس كغادة السمان...
إن هذه الرسائل ليست ملكاً خالصاً لغادة السمان، وقد أدركت هذه الحقيقة فتصدت بالنشر لحراب الكثيرين، ولم تهتم غادة بذلك الزوايع، لأنها تعرف أن رسائل غسان ملك للحقيقة وللتاريخ...

حميدة خلف

«مجلة الكويت»، ١٥/٤/١٩٩٣

... مراسلات بين كاتبة مثل غادة السمان وكاتب مثل غسان كنفاني، تعني أن تجربتين ثنائيتين لكل منهما خصوصيتها ومصادر غناها الخاصة بها، تتحاوران بحرية كاملة، ومصدر هذه الحرية، ما يتيح سرية الرسائل الخاصة بين رجل وامرأة.

ولنلاحظ المعادلة المغلوقة.. في علاقة الحرية بالعلاقة السرية التي تمثلها رسائل مغلفة بين رجل معروف ارتبط اسمه بالقضية الفلسطينية والنضال القومي، وبين امرأة عرفت بالجرأة على مستوى ما تطرح في كتاباتها.

... إن غسان كنفاني إنسان أولاً.. وكونه متاضلاً لا يجرده من عواطفه الإنسانية...

... ويرغم كل ما قيل أو يقال عن الكتاب، فهو يضعنا أمام تجربة إنسانية صادقة وحقيقية، وسواء تعاطفنا مع غسان أم أنكرنا عليه حبه.. فإنه لم يكن في ذلك الحب، نقيصاً للمثقف المتاضل الذي عرفناه.

حميد سعيد

«جريدة الثورة» العراقية، ٢٧/١١/١٩٩٢

... غسان المتاضل الرمز الشهيد كان عاشقاً للمرأة التي تجسدت في زمن ما من حياته في «غادة السمان»، وكان عاشقاً أيضاً للوطن والأرض التي كانت متجسدة أبداً في وجدانه وضميره...
أنا لا أَدافع عن الكتاب، لأنني أحس أن من يقرأه بعد أن ينزع من داخله القيود الجاهزة والأحكام المسبقة لا بد وأن يحس بأهميته وبراءته.

حنان بيروتي

«مجلة «بسمه» الأردنية»، ١٦/١/١٩٩٣

... صدر كثير من التعليقات، سلباً وإيجاباً، مع أو ضد غادة في أن تنشر في مثل هذا الوقت رسائل عاطفية لواحد من أكبر المناضلين الفلسطينيين، وكان النضال يحرم القلب أن يخفق

والعين أن تدمع .. وكأنه يحرم الحب!! ..

وكانت ليلة ..

فمع غسان وغادة .. عشت سهرة ولا أمتع ..

أي حب رائع هذا الذي جمع بين أدبيين يصل التعبير عندهما لقوة حدّ السيف، ونيش المبضع في جسد الكلمة؟! .. عالم خاص عاشه الأديبان وبقي منه رسائل مدهشة إلى حدّ إفلات كلمة «آه» وأنت تتابع بين السطور البقاء والرحيل .. النعم واللا، خلال سنوات خمس تحت سماء بيروت الساطعة أحياناً الباكية أحياناً ..

حنان خير بك خدام

مجلة «مرايا»، ١٩٩٣

لَمْ لا (تنشر الرسائل)؟ هي رغبت في ذلك، ولكنني أشك في صدقها، ولا أعرف مدى أمانتها وصدقها في نشر الرسائل. لديّ رسائل عدّة من كُتّاب مشهورين، ولكنني لا أنشرها إلا إذا نشرت رديّ عليها ليظهر موقعي في العلاقة.

حنان الشيخ

مجلة «الوسط»، لندن، ١٢/١٠/١٩٩٢

... منذ البداية تؤكد عادة في مقدمتها: «إن تسديد طعنة إلى جمعيات الرياء المتحدة أمر كان سيضطرب له غسان». ويأتي غسان مثبتاً رأيها قائلاً: «الادعاء، التمثيل، والزيف، هي الشيء الوحيد الذي لا أستطيع أبداً إتقانه». «أضع معك نصل الصدق الجارح على رقابهم». «لست أقبل التلوين وصيغ التحفظ» ...

حياة الحويلك عطية

جريدة «الدستور» الأردنية، ٢٢/١/١٩٩٣

... من خلال ما كتب غسان نلمس أن مقومات العلاقة العاطفية مفقودة. ما معنى كل ذلك العذاب في غياب الآخر... لقد كانت عادة في غاية القسوة وأعتقد أنها أرادت أن تستنزف غسان وفي ذلك تأكيد لشخصيتها.

حياة الرايس

جريدة «الصحافة» التونسية، ٢٢/٦/١٩٩٣

... نشر هذه الرسائل العاطفية عمل قد ينطوي على نوع من النكران ومجافاة الوفاء وإباحة أسرار لم يكن يرغب صاحبها في إباحتها إبان حياته، وربما ذهب البعض إلى أن عملية النشر هذه تنطوي على نوع من التشهير بصاحب الرسائل.

ولكنني أذهب إلى غير ذلك، لأن كاتباً مثل غسان كنفاني، أصبحت حياته وكتاباتاته وكل إرثه الفني والنضالي ملكاً للآخرين ولا يصح التستر عليه، خاصة بعد مرور عشرين عاماً على

وفاته، ونحن نعرف أن أسرار الدول والرؤساء والزعماء، على ما تنطوي عليه من قضايا بالغة الأهمية، يصبح من الجائز نشرها وإعلانها على الملأ بعد مرور عشرين عاماً من حدوثها. فكيف لا يحق لغادة السمان أن تنشر رسائل عاطفية، كانت قد تلقتها من غسان كنفاني قبل أكثر من ربع قرن؟...

ولأن تراث غسان كنفاني قد أصبح ملكاً للآخرين، فقد شرع أصدقاؤه منذ زمن مبكر في جمع ونشر كل ما عثروا عليه من قصص أو مقالات أو رسائل أو رسومات...

خليل السواحري

جريدة «الرأي» الأردنية، ١١/٩/١٩٩٢

... إجماع معظم الأدباء العرب عن ارتياد الحقل الشائك لنشر الرسائل مرده أن الرسائل تشبه الوثائق التي تبرز لحظات خاصة، متمردة على قوانين الأدب الصارمة، خصوصاً إذا كانت بين كاتب وكاتبة، كذلك الرسائل المتبادلة بين جبران خليل جبران ومي زيادة، بين غادة السمان وغسان كنفاني... وكلنا يذكر ردود الفعل الغاضبة التي أثارها غادة السمان، حين تجرأت على نشر رسائل غسان كنفاني إليها. وقد واجهت الحملة بقولها: «أعرف أن الكتاب من مرة واحدة مجموعة من المحرمات، وكنت أتمنى أن يدور الحوار حول الرسائل من دون رياء بدلاً من ممارسة الإرهاب الفكري». وأضافت: «أشعر بالحاجة إلى مؤسسة عربية ترعى هذا النمط من الوثائق، لأضع الرسائل الأدبية التي استلمتها في حوزتها، بأمين من الحريق والنهب والتشطيب على أن تُنشر بعد موتي».

خليل صويلح

مجلة «الوسط»، لندن، ١١/١٢/٢٠٠٠

... وفي سياق بطولته تلك اندرج عشقه لغادة السمان ولم يكن هذا العشق كما رآه إحدى الكاتبات السوريات ضعفاً عابراً... وعوضاً من أن يمسك النقاد بمفاتيح شخصية الكاتب من خلال بوحه في هذه الرسائل راحوا يصطادون كلمة من هنا وعبارة من هناك لطمس هذه الشخصية، وأجهدوا أدمغتهم وقلوبهم الصدئة باختراع أو افتراض أسباب مشبوهة تدفع غادة السمان لنشر الرسائل في هذه المرحلة...

أخيراً إن العربية التي تسير في الصحراء تثير الغبار والرمال حولها. ويظل السؤال: أنحاو الغبار ونختلف حوله أم نحاور العربية؟

خليل محمد الخليل

مجلة «دراسات عربية»، بيروت، آب ١٩٩٣

غادة السمان (في نشرها لرسائل غسان كنفاني إليها) لها رأيها وقناعاتها وأنا أحترم رأيها. لكن برأيي الأسرار يجب أن تُحترم، مع أنني لا أتلقى رسائل مثل التي تلقتها غادة. فأصدقائي كتبوا لي بعد أن كبرت، وحين كنت صبية لم أكتب لأحد ولم يكتب لي أحد، حتى إنني لم أسلم على رجل

وأنا طالبة بالجامعة ولا حتى بكلمة صباح الخير. لقد كنت طوال عمري محافظة، ومن السيئ فضح الآخرين.

ديزي الأمير

جريدة «الكفاح العربي»، بيروت، ٢٤/٤/١٩٩٧

... هنا يرقد غسان كنفاني: على شامده كتبت عادة السَّمان أحلى عبارات الحب، صار زواره يقرأون رسائل الحب بعد تلاوة الفاتحة. هل عاتبه كمال ناصر: ألم أنصحك، ألم أقل لك يا غسان، بادر بنفسك وانشر رسائلها لك، وافش ما خبأته عادة في قلبها من أسرار. بصمت الرجل في صمته الأبدي، ويذهب السر عميقاً. من يسكن صدر كاتبة لا ترغب في بوح مبكر؟...

ربيعي المدهون

جريدة «الحياة»، لندن، ٢٠/١١/١٩٩٢

... ليس سراً أن العديد من الفلسطينيين غاضبون على عادة السَّمان هذه الأيام لأنهم يعتقدون أنها أسامت إلى أحد رموزهم الكبيرة بإظهاره بمظهر الضعيف عاطفياً أمامها.

... وعلى كل حال، فقد حرصتُ شخصياً على محاولة قراءة ما وراء السطور في مقدمة عادة السَّمان.. وأظن أن عادة السَّمان كانت تغار من غسان الكاتب ولم تجد سبيلاً إلى تنفيس غيرتها إلا تعذيب الإنسان والرجل والعاشق فيه.

هل اختارت عادة السَّمان نشر رسائل غسان إليها في الوقت الذي أحست فيه أنها أصبحت توازيه في المكانة بعد عشرين سنة من استشهاده؟

رسمي أبو علي

جريدة «القدس العربي»، لندن، ٣٠/١٠/١٩٩٢

... وإذا كان الكثيرون لا يرون جدوى من نشر رسائل شخصية لغسان ويشككون بتوايا عادة فإنه لا بد من القول بأن الحياة الشخصية للأديب تحولت إلى ملك للقارئ ولتاريخ الأدب متى كانت لهذا الأديب مكانة كبيرة أو بعد أن تحول إلى رمز من رموز النضال الفكري والسياسي كما هو الحال بالنسبة لغسان كنفاني.

والنقطة المحرجة التي يتجنب الكثيرون الحديث فيها هي تزامن علاقة غسان كنفاني بغادة السَّمان مع زواجه...

إن ما يدعو للدهشة والغرابة أن يعيب الكثيرون على عادة قسوتها الشديدة على غسان ورفضها لحبه. ماذا كانوا يريدون منها؟ أن تسامر رجلاً متزوجاً.. وله طفلان يعيشهما بجنون؟ وأن تبادل هذا العشق الذي لا ضفة له وهي التي سُدَّت الأفاق أمامها وطردت من عملها ببيروت بعد أن صدر عليها حكم بالسجن لتركها العمل بدمشق، قبل أن يصدر عام ١٩٧٠ عفو عام شملها. هذا إلى جانب وفاة والدها في تلك الفترة وهو أقرب الناس إليها وفشل خطوبتها من صحافي معروف.

... فهل كان من الطبيعي وهي المرأة الواعية بواقعها أن تترك نفسها تسقط في أزمة أشد وتسبب في فك رباط أسرة بريئة؟ ...

رشيدة الشارني

جريدة «القدس العربي»، لندن، ١٩٩٢/١١/٢٣

... قبل أن تمضي الاتهامات بعيداً علينا أن نذكر بأن عادة السّمان نشرت عدّة نداءات من أجل الحصول على رسائلها إلى غسان قبل إصدار الكتاب بثلاثة أعوام وإلى حدّ الآن لم تحصل عليها. ولا أعتقد أنّ أدبياً تملك شجاعة الرجال الحقيقيين وجراتهم تخشى نشر رسائل كانت قد تبادلتها مع رجل أحبّها منذ أكثر من عشرين عاماً.

رشيدة الشارني

مجلة «الآداب»، بيروت، آذار/نيسان ١٩٩٣

... كلما كنت أنتقل من رسالة إلى أخرى، والأصح من حالة وجد إلى أخرى، كنت أشعر باكتشاف جديد لأعماق الإنسان، ولنحرك متواصل في عوالمه الداخلية بين أحلام وتأمّلات وذكريات، واكتشف فيها أعماق شعبنا الفلسطيني وتراث وطننا الغالي.

... أرى في رسائل غسان كتفاني إلى عادة السّمان معاشة روح فلسطينية تجربة إنسانية بلغة تشبع منها الوطنية مع الألفة والصفاء، بخصوصية الهم الإنساني في بعده الفلسطيني. كان هذا عنده يتجلى دائماً حتى في مداعباته لأصدقائه. وإذا ذكر يوم التقيت وإياه في حفل تأبين المرحوم خالد الشريطي، حيث توجه إلى الحفل عند وصوله مباشرة من سفر خارج البلاد، ليلقي كلمته مع حرصه الدائم على المشاركة والتواصل مع كل نبضة وطنية عفية. والجو كما هو، كانت مداعباته لأصدقائه في حفل التأبين تمزج همم القومي مع فلسطينيته الحادة، وكنت يومها ممن نالني منها مغمزاً، ردها على ممعي بعد إلقاء كلمتي، إذ قال «يا أحسن بورجوازي وطني في العالم العربي».

هذا هو غسان، الإنسان الفلسطيني، عطاه مخلص وكلمة تنطق صدق الالتزام الوطني والخلفي والإنساني...

رفعت صدقي النمر

جريدة «السمير» البيروتية، ١٩٩٢/٩/٣

... حينما تدخل العاطفة حياة البشر بل وتقتحم كيانهم مثل نيازك براقة فإنها لا تعرف حدوداً للمكان ولا للزمان... وقد عرف القرن العشرون ثنائيات كثيرة على المستوى الأدبي والفني وحتى السياسي. ومن ثنائيات الحب والإبداع جبران خليل جبران ومي زيادة اللذان كانت لهما مراسلات متبادلة في الأدب والشعر والفكر. كان جيهما رومانسياً خالصاً... هناك أيضاً الأديبة اللبنانية (عادة السّمان) التي أصدرت عام ١٩٩٢ كتاباً تضمن الرسائل المتبادلة بينها وبين الكاتب الفلسطيني (غسان كتفاني). وقد استمرت علاقتهما سنوات طويلة...

رفعت يونس

مجلة «ألف باء» العراقية، ١٩٩٤/٤/٦

برأيي، عادة إنسانة أنانية وأنانية جداً... وليس من الحكمة أن يكون الإنسان على علاقة مع امرأة بهذه الأنانية.

من: حوار مع الرفيق أبو علي مصطفى،
نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
مجلة «صوت المرأة» (الصادرة عن لجان المرأة الشعبية الفلسطينية)
السنة السادسة، العدد العشرون (١٩٩٢)

عادة التي أفرجت عن الرسائل بعد كل هذه السنوات، قامت بخطوة جريئة اجتماعياً، إذ تكشف الرسائل عن حب عميق (من طرف واحد؟) كان غسان يكتنه لها، وعن بأسه أمام الحائط المسدود الذي وقف من دون تحقيق رغبته بتجاوب منها. ويُذكر أن كنفاني حين كتب تلك الرسائل كان متزوجاً وأباً لولدين.

رواد طريه
مجلة «الدولية»، باريس، ١٩٩٢/٨/٢٤

... مضمون الرسائل يشير إلى أن عادة السّمان بادلته الكثير منها. ولعل من الواجب على من في حوزته (أو حوزتها) رسائل السّمان إلى كنفاني أن يتيح إمكان نشرها، ليتيح لنا تالياً أن نقرأ النصف الآخر لحقيقة تلك العلاقة التي خرجت من الخاص إلى العام...
... وإذا كان غسان كنفاني يقول في رسائله كل ما ينبغي لرجل أن يقوله لامرأة، فإن عادة السّمان تؤكد، مرة أخرى، جراتها في كشف المستور غير آبهة للمحرمات والممنوعات في «التابو» العربي. وتقدم على خطوة رائدة في الكشف عن جانب بارز من علاقات المبدعين العرب الإنسانية، جانب ظل دائماً في الظل، لاصطدامه بجدار الموروثات والتقاليد. وظل الرجل، قبل المرأة، يحرص على إبقائه بعيداً عن الأضواء، لكن عادة لا تأبه. وها هي تعد بالمزيد من كشف المستور، في مقدمة الرسائل...

زاهي وهي
جريدة «النهار» البيروتية، آب ١٩٩٢

من بين الكتب التي لفتتني جداً «رسائل غسان كنفاني إلى عادة السّمان»، أولاً لأنه فريد من نوعه في الأدب العربي المعاصر ويندرج في باب رسائل العشق الرقيقة واليوق الحميم، وأنت تعرف كم ينقص حياتنا العربية المعاصرة من دفء وحميمية، وثانياً لجرأة الأدبية السّمان في الكشف عن جانب مضيء وإنساني في حياة كاتب ارتبط اسمه دائماً بطوباوية القضية وقدسية النضال. وكنت أكثر سعادة لأن عادة السّمان هزّت بعنف كثيرين من النقاد والكتاب العرب الذين وضعوا كتابها في خانة المؤامرة والنظام العالمي الجديد وغيرها من الكليشوهات الفارغة.

زاهي وهي
جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ١٩٩٣/١٢/٣١

... بهذه الهدية للثقافة العربية، اقتحمت عادة السّنان، مجالاً محرماً، وكانت متعردة واعية تمردها على ترسانة المنظورات المهترئة لعالمنا العربي الراهن (الأجداد كانوا أفضل) بل على مفاهيم العالم الذكوروي برمته. هكذا حررت التجربة الذاتية المحصنة من قيودها الفردية، وجعلتها تأخذ أبعادها الإنسانية، فوق الأسماء والزمان والمكان لتحكي قصة حب وصدقة بين مبدعين.

إن هذه الروعة الأدبية والإنسانية، ينبغي لها أن تكتمل، وهذا مرهون بتلبية نداء السّنان إلى من يملكون رسائلها إلى غسان، ليسارعوا إلى نشرها.

فكيف يغير تلبية ذلك النداء يمكن إبراز «نصف الحقيقة الآخر» وهو مفقود؟ وهل تقصد تلك الأقلام بذلك أن تكتب الأدبية اليوم عن مشاعرها منذ ربيع قرن؟

لقد قالت ما يكفي لمن يقرأ، ولم تسب كثيراً، صوناً للحقيقة التي أرادت كما هي محفوظة في رسائلها المفقودة، على أمل أن تنشر، وخير ما فعلت.

إن تلك الأقلام (بوعي أو بغيره) أظهرت ما أرادت أن تخفي، فأطلقت اتهاماتها جزافاً، مراوحة بين الجهل وسوء النية، وفي الحاليتين، أبرزت بطانة وعيها الشهرياري الموروث والمستمر بقوة استمرار الأوضاع المتوارثة، بعد حملات صليبية من التشويه والدعاية والإعلان، معبرة عن خوف قديم ودفن من الأنثى وحريتها على وجه الخصوص (غسان براء من «دفاعات» كهذه)...
إنه كتاب نادر في شفافيته ورقته وصدقه، ولهذا فهو كتاب تمرد من أجل الحب والإبداع، كتاب حقيقة.

إنه للعاشق الراحل الذي لم يرحل إلا ليعود أرق وأغنى وأبهى وأكثر ثورية.
إنها الأدبية الوفية والتي أثبتت جراتها أنها في مستوى الأمانة التي أدتها رغم عتاة الظروف...

زياد نجم

جريدة «السمير» البيروتية، ٢٨/٨/١٩٩٢

... أنا كفارئة لغادة فوجئت بهذه الرسائل. على أساس أن حبيبة «غسان» كنت أظنها كاتبة ثانية لها صولاتها وجولاتها في عالم الرواية والقصة اللبانية «المناضلة» و«المؤجلة». وكنت أسمع هذا من الوسط الذي نميشه، أي الوسط الثقافي، وأظن أن لونة النعيمة بدأت تتغلغل فيه وتتفشى الفذلكات لتطال الجميع.

زئب حمود

جريدة «الأنوار» البيروتية، ٢٣/٨/١٩٩٢

على الرغم من قوة عادة وانفتاحها الفكري والنفسي، واقتحامها الكلي للحياة بكل ألوانها، إلا أن عادة تبقى طفلة صغيرة تخاف من الحب ومن جروحه ومن آلامه وخيباته. ولذلك تعاملت في علاقتها مع غسان كما تتعامل الطفلة مع الدمية، نارة تحملها لتضّمها إلى صدرها، وأخرى ترمي بها على الأرض. يقول غسان (في رسالة له، ص ٣٦ من هذا الكتاب): «... إنك لا تريدني أخذي،

وإن أصابعك تحوطني من كل جانب كأصابع طفل صغير حول نحلة ملونة: نريدها.. ولا تمسكها ولكنها تنبض معها».

سحر سيوفي

من محاضرة بعنوان «مفهوم الحب في أدب غادة السمان»

ألقنتها في جمعية أصدقاء دمشق، ١٩٩٦

«رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان» يحقق أعلى المبيعات في معرض الكتاب العربي ببيروت. . . . وتبقى غادة رغم غربتها وغربتها سيدة الأدب النسائي، وتبقى رغم طقوسها وهالة الهروب الدائم من الوجود، الذي تخلقه حولها بكتابتها، هاجس كل أديب ومثقف. البعض يشدها رغبة في التعرف إلى الأديبة الغامضة، والبعض الآخر يتوخى التحدي في مواجهتها، وآخرون يمتنون نيل رضاها اقتناعاً بما استطاعت أن تصل إليه في ساحة الأدب.

غادة السمان شتاً أم أبناً تبقى اسماً لامعاً في الساحة الثقافية حفرته بكتابات متواصلة وكأنها نبع ينفجر عطاءً وعزته يتحد مستمر للمجتمع، للتقاليد، للأعراف، للطقوس الجاهلية المفروضة علينا.

سميد طه

جريدة «اللواء»، بيروت، ١٩٩٢/١٢/٥

. . . وإذا كانت المكتبة الغربية تعجّ بالرسائل الشخصية، التي انتشرت كالسحاب وتوزعت كالمنطر وصارت ملكاً للبشرية جمعاء، فإن المكتبة العربية تعاني من فقر مدقع في هذا النوع من الأدب، تحت وطأة ظروف صعبة وتقاليد وأعراف قاتمة. ولهذا فإن الكثير مما كتب، طمر تحت شتى الذرائع، ونهشته أنياب النسيان. وباستثناء قلة قليلة، نذكر منها رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة وماري هيسكل، ورسائلهما إليه، ورسائل غسان كنفاني التي نشرت في السنوات الأخيرة. والتي قبل إنها نشرت بعد تنقيتها من شوائبها الكثيرة، وشوائب الرسائل الشخصية - باعتراف الجميع - هي ملح الرسائل وتوابلها.

سلام خياط

مجلة «الوسط»، لندن، ٢٠٠٢/١/٢٨

. . . رسائل غسان المنشورة، ثروة أدبية هامة وجميلة، تضاف إلى عطاءاته الثرة. فقط كان عليها أن تكون أكثر ذكاء، وأكثر حرصاً على غسان بعد رحله، فنحذف بضع كلمات قليلة، كي لا تسيء إليه وإلى عائلته. إذن لهللنا جميعاً للنشر وبالفاء في تأييد غادة ونشجيعها.

وإذا استثنينا تلك الكلمات القليلة، التي أصرت بعناد غير مبرر على إبقائها، فالرسائل مقطوعات أدبية رائعة، حميمة، تنضح بالدفء والحنان والصدق. وهي، بشكل أو بآخر، لا تسيء إلى صورة غسان، بل تغنيها. . .

سلام سلامة

مجلة «بيروت المساء» اللبنانية، ١٩٩٢/٩/٥

... بعد تجربة لغسان كنفاني الشهيد المناضل ، استمرت ما يقرب من ثلاثين سنة أو أكثر قليلاً في الإبداع، وجد نفسه حائراً ولا يعرف ما هو الحب؟ ولكن الذي عرفه أنه حاول عبر الحب تصحيح أخطاء كثيرة مبثوثة في الكون.

أما عادة السّمان فدعت في كل رواياتها الناس أن يتناكحوا ويتقافزوا فوق بعضهم بعضاً مثل الجنادب، فما الذي يضير في ذلك؟

سليم التجار

جريدة «الهلal» الأردنية، ٩/١٢/٢٠٠٤

... الرسائل بحد ذاتها نصوص ذات قيمة فنية عالية، وإذا نظرنا إليها من زاوية تتجاوز فيها الحالة العاطفية التي كتبت بها، سنجدها، من دون شك تشكل إبداعاً مضافاً إلى إبداع غسان الكبير، وتجعلنا أمام الوجه الآخر، غير المنظور، لغسان، بضعفه الإنساني وتأجج عواطفه إزاء حب امرأة مبدعة لعلها تحبه لكنها تكبح حبها بقوة خشية اهتزاز علاقة أسرية ترتبط بصداقة معها. ...

سليمان البكري

جريدة «الجمهورية» العراقية، ١٢/٨/١٩٩٣

قرأت آراء الكتاب والكاتبات حول كتاب «رسائل غسان كنفاني إلى عادة السّمان»، وكانت قراءة متعة لي ومفيدة، فهي تعكس في معظمها الوضع المزري للثقافة العربية... مثقفون ومثقفات في أواخر القرن العشرين يدافعون عن أفكار «أخلاقية» مضى عليها الزمن. إن ردة الفعل هذه ما هي إلا شهادة على حسن ما قمّت به يا عادة بنشر هذا الكتاب المهم... نحن بحاجة إلى هذه النصوص. فالمأساة التي نعيشها حالياً ما هي إلا نتيجة إهمالنا لهذه المواضيع الإنسانية (الحب، العشق، الرغبة، المتعة النفسية). وانصرافنا إلى أشياء تجريدية سياسية ليس لها أي علاقة بمعاناتنا اليومية. لقد جرّحت كبرياء الرجال العرب، وهذا جهد تستحقين عليه أكبر جائزة! استمري بعملك هذا، فنحن بحاجة إلى أشخاص بهذه الجرأة، خاصة إذا كان هذا الشخص امرأة... فتكون هذه الجرأة أعظم وأهم.

سليمان توفيق عواد

آخن. ألمانيا، ٣١/١/١٩٩٥

لجان التخليد - حسب ما هو معروف ومتداول - يمكن أن تغربل الأعمال، وتضع جدول أولويات في النشر. لكن مهمتها في النهاية نشر كل ما تركه المبدع من آثار، بغض النظر عن رأيها في الأعمال، لأن الأمانة التاريخية والعلمية والأدبية تقتضي إخراج هذه الآثار إلى النور.

سليمان الشيخ

مجلة «الوسط»، لندن، ١/٩/١٩٩٧

هل كتب غسان كنفاني تلك الرسائل إلى عادة السّمان، من أجل أن تُنشر؟ ربما نعم وربما

لا. لكن الكاتب العاشق لم يكن يعرف أن هذه الرسائل ستنشر في إرث الكاتب الشهيد. ذلك أن آثار غسان الأدبية ملتزمة كلها حياة الشقاء الفلسطيني سياسياً واجتماعياً. وإذا أُضيف إليها أثر أدبي من هذا النوع، بدا غريباً مهما كان صادقاً. على أن هذه هي عادة السّان التي اقتحمت العالم الأدبي فنية وأقامت فيه نتيج بلا تعب وتظل بلا انقطاع، فيما توقفت أدبيات كثيرات عن العطاء، إنما للباس الذي يطحن الأديب العربي، وإما للغرق في اليوميات الكفيلة بإطفاء كل المصابيح. أما عادة، فما تزال تقطف من باقات المدن وروايات الناس.

سمير عطا الله

جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ١٩٩٦/٥/٧

تشر عادة السّان أثنى سهلت غبار المهرة الجميلة، وتمطي من دون استراحات، وتحول كل شيء حولها إلى رواية كأنما تعيش لتصنع الروايات ثم تكتبها. بطاقة السفر رواية والمدن أبطال وفصول العام سرد روائي داخلي لا فصول في الخارج. مفكرة مستديمة مستطردة في رواية واحدة عنوانها، لا توقيعها، عادة السّان.

الحجارة تتحول إلى كلمات. يتحول كل شيء لدى عادة السّان إلى كتاب. الخيال والتجربة. الاستعدادات والاستعارات. يتحول كل شيء إلى كتاب.

حفرت عادة السّان لنفسها مكاناً في الرواية العربية عبر جبل كامل، كانت شاهدة له وشاهدة عليه...

وسواء كتبت عادة السّان الشعر أم الخواطر تفضحها الرواية ويكشفها الدأب على حفر الأعماق، وهي في ذلك لا تقف عند حد. وبهذا نشرت رسائل غسان كتفاني إليها، كأنما الكاتب الراحل بطل آخر، غير عابئة بأن الرسالة الشخصية أمانة لظرف ما ومشاعر ما ومرحلة ما وعمر ما وحالة ما، جميعها تتغير بمجرد مرور يوم واحد أو لحظة واحدة، فيصير اليوم في الماضي والأمس في الغابر. أدب الرسائل لا ينشر إلا بعدما يتساوى أمس الفريقين. أو إذا كانت الرسالة وصفاً لحالة عامة لا مزاجاً شخصياً. لقد بقيت رسائل راينر ماريا ريلكه إلى زوجته لأنها وصف للآخرين وليس لمشاعره.

سمير عطا الله

جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ١٩٩٦/١٢/١٢

المهم أنك عبرت الجسر وكسرت القاعدة بنشرك لرسائل غسان كتفاني بدون حذف ولو نقطة واحدة منها. لا تهتم لكلام النقّاد، فلم يكن هناك أي طعن لشخصية غسان.

سميرة زهير

المغرب، جامعة الحسن الأول، ١٩٩٦/٦/٧

عادة ذاكرتها لم يُغمَ عليها وإنما كانت تضعها في أدراجها السرية. وفجأة فتحت أدراجها

السرية بمعونة زوجها الناشر بشير الداعوق، صاحب دار الطليعة البيروتية، لنشر الرسائل العاطفية التي كتبها إليها يوم أحبتها المناضل الفلسطيني الشهيد غسان كنفاني.

لماذا يا غادتي فعلت؟ هل ليستريح قلبك من كلابات الذكرى؟

سناء البيسي

مجلة «نصف الدنيا»، القاهرة، ١٩٩٣

... أعجب الكثيرون بجرأة «غادة السمان» وكتبوا عنها. وهو شيء جميل أن تكون هناك امرأة جريئة وكاتبة مبدعة تخترق حقولاً لم يخترقها الرجال في مجال الإبداع ولكن ليس بهذه الطريقة. فما تفعله «غادة السمان» ليس صورة مشرقة لأدب النساء... هناك فرق بين الجرأة والحرية المسؤولة وبين التماذي والانفلاش. ويبدو أن رغبتنا في الانعتاق والإحساس بالحرية والاستقلالية تجعلنا لا نميز بين الأمرين وهذا باعتقادي ما أصاب أولئك المعجبين. وعلى الرغم من أن الأمور جميعها متداخلة إلا أنني ألمس في النهاية سادية وشبهة سياسية تلتخص بنشويه صورة هذا الإنسان...

سهير التل

مجلة «الحصاد»، قبرص، ١٩٩٢/١٠/٩

... لا أعتقد أن عاصم الجندي قد طالب غادة السمان بالكثير (أي حذف ثلاث جمل من مضمون الرسائل عن زوجة غسان).

سوسن كردوش

«غادة السمان بين المطرقة والسندان»

(أطروحة ماجستير أدب، ١٩٩٧)

بالإضافة إلى قيمة هذه الرسائل الوثائقية حول المرحلة التاريخية التي تلبس بها كل من غسان كنفاني وغادة السمان، فإن للرسائل قيمة إبداعية على قدر كبير من الأهمية تكمن في الأسلوب الذي يرقى في بعض الرسائل إلى الشعر عندما يلامس شفافية اللغة من جهة وعندما يعبر عن دقيق الاختلاجات الوجدانية من ناحية أخرى...

بالإضافة إلى هذا الأسلوب الشعري، ثمة في الرسائل أسلوب الطرافة الذي ينشأ من خلاف اللغة الخاصة المستعملة بين غسان وغادة حيث إن كل كلمة ترمز إلى إشارة معبأة بالإحالات التي توحى بالكون الخاص بهما...

إن نفسية غسان كنفاني في هذه الرسائل تراوح بين الرهافة والانسياب وبين التشنج والغضب أحياناً مما يؤثر بوضوح في أسلوبه، بل إن الخط نفسه يختلف بين الرسالة والأخرى تبعاً للحالة النفسية التي عليها الكاتب. وحسناً فعلت غادة السمان عندما نشرت الصورة المطابقة لتلك الرسائل حيث يمكن أن نلاحظ الفرق بين مختلف الخطوط. ولعل دراسة نفسية مخبرية معمقة يتسنى لها

كشفت أبعاد أخرى في هذا المجال الجديد من التحليل النفسي.

غير أن الأبعاد الإضافية لهذه الرسائل لا تنجلي في أهمية صاحبها الأدبية والنضالية وما تسلطه على تجربته الذاتية والعامة فقط، وإنما لهذه الرسائل أبعاد أخرى ناتجة عن أهمية الرسالة إليها. ففي هذا الكتاب الذي ضمهما يمكن أن نرصد بعض التفاصيل التي تهّم عادة السّمان نفسها لأنها تمثل من خلال التطور الوجه الآخر للورقة...

إن الصدق واضح في هذا الكتاب الذي يجمع رسائل غسان كنفاني إلى غادة السّمان، وهو الذي يجعل قراءتها إمتاعاً، تلك المتعة التي يشتكي منها أدبنا المعاصر لأن التصنع أضحى مهيمناً على أغلب الكتابات فيه. نعم إن الصدق هو الملح اللازم ليكون مذاق الأدب راقياً. وقد كان غسان صادقاً في رسائله إلى غادة التي صدقت عندما تجرأت على نشرها بعد رحيله هي أيضاً.

سوف عبيد

جريدة «الصباح» التونسية، ١٦/١٢/١٩٩٧

لم تعرف الرواية العربية امرأة مشاكسة وجريئة مثل غادة السّمان. هذه المرأة نهوى زراعة الحرائق وإشعال فتيل الحروب على الورق. حدث هذا مع كل كُتُبها، وخاصة الكتاب الأخير: «رسائل غسان كنفاني».

جريدة «الشروق» التونسية

ملحق الأحد، ١٧/٣/١٩٩٦

... هذه الرسائل تظل لغزاً ما لم نحدد نوعية علاقة غادة السّمان بغسان كنفاني، وهي أي الرسائل غير كافية لمعرفة نوعية هذه العلاقة لأنها في اتجاه واحد وتكون رسالة واحدة ذات إيقاع يتكرر بأشكال متنوعة...

شكري الباصومي

جريدة «الشروق» التونسية، ١٣/٥/١٩٩٣

... ربما صحت الرسائل... أو لم تصح... وبغض النظر عن تطلع الناشر من ورائها... والذي مهما تعددت أهدافه، فلن تطال أبداً - وعلى ذمتي - ذلك «الهدف» البوليسي المشار إليه، والمندرج في إطار برنامج «النظام الدولي الجديد» للاقتصاص من كل ما فينا من عزّ وفخار، من أحلام أو ذكريات تجلب النشوة لحاضرننا البائس... وإن كان «النظام» المذكور ليس بريئاً من هذا... لكن غادة السّمان حتماً بريئة...

الثقافة التقدمية تقتضي الهمس فقط في أذن «المسؤول» في الدولة أو الحزب الثوري: إني أحبك، وليس هناك ما يدعو للضحك، فهناك الكثيرون يفعلونها في بلادنا...

... بحبه، أكمل غسان سر تعدده الرائع... فهذا «الثوري» حقاً كما هو إنساناً... يكره أعداءه، ولا يكره النساء. ولن تكون الثورية ساعة مرراً للخصاء الأبدي للجسد أو الروح، إلا عندما

تأخذ صورة «الثورة» بشكل الاستجابة لأوهام «البارانويا» المنطقية .. فنظّل نكتشف أعداء جددًا، وهكذا .. فنعلن حربنا على الذات .. على الإنسان فينا وفي الآخر .. فلا نعود نرى «العدو» نفسه حقًا، ونمضي نحو الدمار الكلي ... وكل هذا لخصه المنطق «الأعرج» في الإصرار على «خضاء» الثوري، وهو لا يدري أنه ليس مثيرًا أكثر من هذا «الخضاء» ...

إن بإمكان العقل أن ينسج مؤامرة حتى على هذا المتوال الذي يجلس فيه بوش وغادة السمان في البتاغون ليخططا لضرب العراق مثلاً، ولقتل غسان كنفاني (الحي فينا) .. وبإمكانه أن يفعل أكثر من ذلك، وأن يستغرق في مونولوجه «الوهمي»، وأن يتعنت، لكنه لا يفعل ذلك إلا ليقتز من الحاضر «السيء» الواضح، إلى الأمس «السيء» أيضاً.

... ليس هذا إلا الاستجابة «المرضية» للانكسار الأكبر الحاضر، بل إننا في لحظة الانكسار هذه نجدنا مدعوين لإحياء كل ما هو جميل فينا لتحصن وراءه بدل التمترس وراء كل ذاك القبح الذي قادنا وحده للهزيمة ...

شوقي أبو شعيرة

جريدة «السفير» البيروتية، ١٩٩٢/٨/٧

لقد قالت السيدة غادة في تقديمها لرسائل غسان إليها: «رسائله عندي ورسائلي عنده .. وأنا والحق يقال لا أدري أين رسائلي إليه». وقد أشرت في مقال سابق، وفي الرد على هذا القول إلى قول غسان في إحدى رسائله إليها: «أنا أحب رسائلك إلى حد التدفيس، وسأحتفظ بها جميعاً، وذات يوم سأعطيها لك»، وعقبت على ذلك بقولي: «لا نشك لحظة بأن رسائلك عنده ورسائله عندها، ما دامت قد قالت ذلك، فربما أسرعت الشهادة إليه قبل أن يفي بوعده ويعيد إليها رسائلك».

ولكن حديث غادة اليوم عن رسائل مي زيادة في ذكرى وفاتها، بعد حديثها عن رسائل غسان كنفاني الذي لحق بمي إلى دار الخلود، يعيدني إلى قضية غسان لأنساءل: هل أسرعت الشهادة إلى غسان حقاً قبل أن يفي بوعده لغادة أم أنه قد سبق الاستشهاد بالوفاء؟ وهل أعادت مي زيادة بعض الرسائل إلى أصحابها أم أنها لم تفعل ذلك؟

صادق عبد الرحيم

مجلة «الحوادث»، ١٩٩٩/١٢/٣

مي زيادة أعادت كل الرسائل إلى من راسلها ولم تفعل كما فعلت غادة السمان التي احتفظت بالرسائل ثم قامت بنشرها على الملأ.

صافيناز كاظم

جريدة «الزمان»، لندن، ١٩٩٩/٥/٧

يكشف كامل الشناوي مسألة في غاية الأهمية، في أن لطفي السيد منع نشر الرسائل التي تلقتها مي من حوالى مائة كاتب أو مفكر وشاعر وفيلسوف ... هل خاف من إذاعة رسائلك إلى مي؟

هل تضمنت هذه الرسائل من العواطف ما يحتمل أن يخفّ معه وقار الأستاذ الكبير وفيلسوف الجيل؟

د. طه حسين شجّع أنطون الجميل وخليل مطران على نشر الرسائل كاملةً خدمةً للحقيقة والتاريخ. فالأمانة تقتضي نشر الرسائل من دون التصرف فيها بحذف أو تعديل، كما كتب الشاوي.

جريدة «العرب» اللندنية عن كتاب كامل الشناوي «الذين أحبوا مي»، ١٧/٣/١٩٨٩
من أجمل الرسائل التي كتبها غادة السّمان هي رسائل غسان كنفاني الموجهة إليها.

صباح الخراط زوين

جريدة «النهار»، بيروت، ٢٢/١١/١٩٩٦

رسائل الحب التقليدية هي «خطابات غرام» لا أكثر، ولكن رسائل غسان إلى غادة خطابات «إنسانية» تختلط فيها الصداقة العميقة بلغة العصر وأوجاع الزمن والقضايا. . . ولهذا جاءت رسائل غسان وثيقة «عشق عاقل»، إن صحّت العبارة.

وكتاب غادة السّمان الذي ضم هذه الخطابات يصفع النظرة التقليدية إلى المناضل.

جريدة «الصباح»، تونس، ٦/١٠/١٩٩٢

غادة السّمان وغسان كنفاني أديان جمعهما همّ الكتابة وهمّ العشق، فكانت بينهما رسائل هي قطع من الإبداع. . .

تجرت عادة ونشرت رسائل كنفاني إليها، وفي انتظار أن تعثر كما تقول على رسائلها إليه لنشرها. . .

رسائل كنفاني كتابة إبداعية جميلة. .

ولأن هذه الرسائل ليست كأي رسائل، فإنها ما زالت تثير جدلاً. .

جريدة «الصباح»، تونس، ١٢/٥/١٩٩٣

عندما تنشر غادة السّمان خطابات غسان لها موثقة بصور هذه الرسائل، فهي تريد أن تقول لنا إن غسان، المناضل العنيد، يحمل بين جنبه قلب شاعر. لقد أراد الكثيرون أن يشوهوا صور المناضلين من أجل القضية ويخلعوا عليهم صفات الإرهابيين وقطاع الطرق. بيد أن غسان كان نمطاً آخر من الناس. كان الحب الخاص والعام يملأ شرايين قلبه ولهذا فكتاب غادة السّمان الذي يضم هذه الخطابات يصفع النظرة التقليدية للمناضل. إنه كتاب يضيف على الإنسان المقاتل من أجل فكره، الصفة البشرية.

مجلة «صباح الخير» المصرية، ١٠/٩/١٩٩٢

. . . كان العربي يسلك في معارج الحب مراتب شتى، أولها الهوى وآخرها الهيام. وكان يتدرج بينهما من الكلف إلى العشق ثم اللوعة فالجوى. وعلى عادة أجداده سلك غسان كنفاني في

تجربته مع غادة السمان مراتب حبه: أولها الحب وآخرها العبادة. وبينهما العشق ثم الشهوة ثم التذلل والخضوع. ولم يكن الحب لدى غسان كنفاني مجرد اندفاع عاطفي فائر، بل كان كالفن تعبيراً عن اللحظة الثائرة على الزمن ورغبة عارمة في الاتحاد بالآخر ونزوعاً أصيلاً إلى إبقاء شعلته ملتهبة.

إن غسان كنفاني في هذه الرسائل هو، بكل بساطة، وبعيداً عن الأحكام القيمة على الرسائل وعلى غادة السمان، وارث أصيل للعشق العربي بامتياز. وهو سليل العاشقين العرب منذ الجاهلية حتى اليوم. وإذا كان في الرسائل ما يشير إلى بعض الضعف والاستكانة والخضوع، فليس في نصورها ما يعيب عاشقاً صادقاً وحقيقياً في زمن الزيف والرياء والتكاذب...

صقر أبو فخر

جريدة «السفير» البيروتية، ٢٤/١٠/١٩٩٢

عندما نشرت ديزي الأمير رسائل الشاعر خليل حاوي، بعد قصة حب عاصفة، حذفت اسمها من الرسائل، ومحت بعض السطور التي ربما كانت ستسبب لها إحراجاً شخصياً. غير أنها واجهت اللوم الكثير لأنها تجتث على الأمانة الأدبية. وكذلك الحال أيضاً عندما نشر توفيق الحكيم في منتصف السبعينيات كتاباً جمع فيه عدداً من الرسائل التي أرسلت إليه خلال حياته الأدبية، فحذف من كتابه هذا كل ما يتصل بعواطفه...

أما رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان، فما هي تُشعل حرائق في الذاكرة الأدبية الخاملة، وتفتح نوافذ جديدة للمجدل والسجال والتقد في الحالة الثقافية الراكدة.

صقر أبو فخر

مجلة «الناقد»، بيروت، آذار/مارس ١٩٩٣

الوقوف موقف الرافض والمستغرب والمستهجن من الرسائل وصورها عن غسان كنفاني تحديداً لأنه غسان كنفاني صاحب الروايات والقصص والدراسات الوطنية، فإنه الموقف غير المنطقي. إذ لماذا نريد من غسان كنفاني أو سواء أن يكون إنساناً في كل شيء إلا العواطف الإنسانية وخفقة القلب؟

لا يُقبل بأي حال أن تُصادر عواطف الرجل أو نبضات قلبه. فغسان كنفاني أحب، ومن خلال هذا الحب كُتِبَ، فكانت الرسائل جزءاً من هذه الكتابات التي تعبر عن أدب غسان كنفاني أيضاً. . . يمكن أن يُدرس على أنه يصب في مجرى كتاباته كلها ولا يبتعد عنها. ولا معنى لافتراض ضرورة طي أو تناسي مثل هذه الرسائل، إذ يبرز السؤال الكبير القائل: لماذا؟

مجلة «صوت فلسطين»، دمشق، تموز/يوليو ١٩٩٥

... إن العلاقة بين غسان وغادة كانت علاقة في مستوى الكلمة إذ لا وجود لغادة في الرسائل كوجود حقيقي. غادة كانت رمزاً وهذه عقدة جل المبدعين الذين يُحلّون المرأة محل

المطلق. غسان أعطاهما بعداً صوفياً، بعداً سريالياً. يجب أن يُقرأ الكتاب قراءة ذكية. إن النصوص فيها إمكانية تأويل كبيرة.

الطاهر الأمين

جريدة «الصحافة» التونسية، ٢٢/٦/١٩٩٣

أجمل ما في الإبداع يا سيدتي أنه يبقى مفتوحاً على كل ما في الزمن من مدارات، وأروع ما في الإبداع الحقيقي أنه لا يستطيع البقاء داخل قفص زجاجي. وأعترف منذ البدء ربما في حيز ما تعرفينه حق المعرفة، أنك كاتبة ما ألغت ولن تألف في ألح الإبداع، الركون أو الاستقرار بين قوسين، أو النوم الهادئ في سرير القبيلة، وهذا ما أعطى كتاباتك القدرة الاستثنائية على ركوب خيل الجموح الإبداعي. وإن كنتُ شديد الميل للكتابة عن كل إبداعك، فإنتي أجد نفسي الآن، وفي رسالتي المفتوحة هذه، مدفوعاً للتوقف عند كتاب «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان»، وهو الكتاب الذي صدر في عام ١٩٩٢، وأثار ما أثار من مواقف وكتابات ونقاشات، تصبّ في اتجاهين: أولهما اتجاه مرحّب، وإن على مضض أحياناً، وثانيهما اتجاه رافض حائق، ما كان يريد لهذه الرسائل أن ترى النور!!!... وليس خطأ أن يحب كل إنسان، وأن يكتب ما يكتب من رسائل لمبدعة أحبها... الخطأ حسب ظني هو في أن نرى غسان كنفاني من زاوية واحدة، ونجعل وجهة نظرنا هذه قاعدة لا يجوز خرقها أو الخروج عن خطوطها الحمراء!!!

... يقول في هذه الرسائل جانباً من إبداعه وحياته وسيرورة فعله الكتابي. ما كنا لنعرفه عنه لو بقيت الرسائل طي الكتمان. وربما نجد من جوانب هذه الرسائل قطعاً إبداعية تصل إلى القمة في بوحها الصادق الجميل، الهادئ حيناً الثائر حيناً آخر... فإين الخطأ في كل ذلك؟؟؟

الأدبية المبدعة غادة السمان:

منذ البداية حسب ظني، كنت تعرفين أن نشر هذه الرسائل سيعمل على إذابة الملامح الثلجية التي وضعوها لنموذج غريب عن غسان. وقد حدث ما حدث لتعود الملامح الحارة الجميلة للإنسان من لحم ودم، وهو غسان كنفاني الحقيقي، لأن الرجل لم يكن في يوم من الأيام ذا ملامح لثلجية باردة. كما لم يكن، ولا يمكن أن يكون، خارج إطار الصورة الحقيقية لإنسان حقيقي.

... ولا أدري لماذا طاب لكثيرين أن يخرجوا به إلى غسان كنفاني المناضل الذي لا يصلح إلا أن يكون إنساناً جاداً عابساً مسكوناً بالحبر الأسود خاصة، وكل من يقول عنه غير ذلك، فهو لا يعرف شيئاً عن هذا المبدع الكبير.

هل تدريكين سيدتي لماذا كان عليّ أن أقارب موضوع رسائل غسان كنفاني دون سواها؟؟؟

أحب عند النظر إلى كل مبدع أن نفهم الإنسان أيضاً. المبدع إنسان يحب ويكره، يشور ويغضب... الحب عند المبدع خاصة، حب استثنائي: لأنه محرّك للإبداع. وإذا كان غسان قد أحبك كل هذا الحب، فقد كان عليه أن يكتب مثل هذه الكتابة، وهذا لا يقلل من قيمته كمبدع كبير.

الخطأ يا سيدتي أنهم ما أرادوا لفهم كنفاني أن يخرج إلى الهواء الطلق، وما أرادوا له أن

يكون إنساناً يحب ويمتق كبقية البشر. وما أرادوا لأي شيء أن يחדش الصورة التي رسموها له... لكن لماذا؟ كل الأجوبة لا تستطيع أن تقنع أحداً، ولا تستطيع أن تقدم لنا صورة تبعد عن الصورة الصادقة لهذا المبدع الكبير...

طلعت سقيرق

جريدة «تشرين» الدمشقية، ١٩٩٨/٧/٥

قارئ الكتاب لا يخرج بشيء ذي قيمة حقيقية يُضاف إلى غسان كنفاني كمتنازل ومبدع.

طلعت الشايب

مجلة «أدب ونقد» المصرية، تموز/ يوليو ١٩٩٧

لم أستطع أثناء قراءة رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان أن أدع حرفاً واحداً منها دون أن أشعر بتورطي في ذلك القضاء المدهش والرحب الذي ملأ عليّ جوانحي بالدفء والعاطفة النبيلة. ولعل «مغامرة» الكاتبة غادة السمان في نشر رسائل العاشق المبدع غسان كنفاني في كتاب صادر عن دار الطليعة، تعد إضافة لأدب البوح الذي تفتقده الكتابة العربية الحديثة. ومنذ كتب جبران خليل جبران ومي زيادة رسائلهما، ومنذ كتب الراحل «رسائل الأحزان» و«حديث القمر»، لم أستمع بربح أدبي وإنساني كهذا...

وهناك الجانب الآخر الممنوع المفقود، رسائل غادة السمان إلى غسان كنفاني والتي أشارت «غادة» أنها موجودة لدى أحدهم، وقد دعت/دعته إلى الإفراج عنها ليكمل مشروع النشر برسائل الطرفين في كتاب واحد... ولعلنا ندرك كم هي الروعة حين تتوفر لدينا هذه الرسائل وأثرها على حياتنا الثقافية...

طلعت شناعة

جريدة «الشعب» الأردنية، ١٩٩٢/٩/٤

... بادئ ذي بدء، نحن مع نشر تلك الرسائل، لأنها إنجاز أدبي جميل يضاف إلى عطاءات غسان. فإن كان لنا من اعتراض، فهو على الأسلوب والطريقة والتوقيت التي نشرت بها. بقي أن نتوقف عند نقطة شديدة الحساسية. فعادةً نقرر، وبشيء من المبالغة، على أنها تنشر الرسائل، دون أن تغير فيها حرفاً واحداً. لماذا؟ وإذا كان حذف حرف أو كلمة أو حتى جملة، يوفر بعض الإزعاج أو الإساءة لآخرين ما يزالون يعيشون بيننا، فما الضرر في ذلك، ومن هو الذي سن هذا القانون المتجهم، الذي تلزمنا وتلزم نفسها به؟...

عاصم الجندي

مجلة «الناقد»، لندن، يناير ١٩٩٣

نشرت غادة السمان رسائل غسان كنفاني، فقال من أغضبهم الأمر: أين رسائلك؟ كأنهم يقولون «أين فضيحتك أيضاً؟» وضعوا فضيحة في إزاء فضيحة. هذان هما طرفا الحب في نظرهم.

رسائل غسان كنفاني إلى غادة جميلة. أنا شخصياً، بدأت بعدها أفكر في أن أعيد قراءة رواياته.

عباس بيضون

ملحق جريدة «النهار»، بيروت، ١٥/٣/١٩٩٧

... هؤلاء، لا يبحثون في أنفسهم عن لؤلؤ الفرد، بل يبحثون في الآخرين، ينصبونهم عمالقة وعياقة خارقين أو «سوبر» متناسين أن الآخرين مجرد بشر عاديين لهم لحظاتهم الضعيفة وعاطفتهم.

هكذا فعل الأغبياء بغسان كنفاني، حولوه إلى إنسان «سوبر» لأنهم عاجزون عن البحث في ذاتهم عن الحجر النفيس. لكن، غسان إنسان عادي، هو بشر، وهذه الحالات الطبيعية في الإنسان العاقل السوي لا تمس حالته الأخرى التي يكون فيها قوياً وصلباً ومتماسك الروح... أنا هنا لا أدافع عن غادة، لكني أوضح أنها امرأة بذلت الكثير حتى تقترب من ذاتها لتبدع، واكتشفت الكثير من الصور المختلفة لنساء يسكنها، ولعل لذلك أحبها غسان. لها كل الحق في إخراج رسائل غسان للنور طالما أنها كانت موجهة لها...

عالية شعيب

جريدة «صوت الكويت»، ٥/٩/١٩٩٢

بعد أن نشرت موضوعي حول رسائل غسان كنفاني وغادة السمان بادرت بإرسال ما كتبت إلى غادة الصديقة التي أعزت بصداقتها وحرصها على معرفة أخبار أصدقائها وما تفعله بهم الأيام وهم يتناثرون في أرض الله الواسعة بحثاً عن مرائن الأمان.

أخبرتني غادة في ردها على كلماتي بأنها أوقفت نشر رسائل غسان لها في انتظار أن تحصل على رسائلها إليه ليجتمع نبض كلمتهما في كتاب واحد. هذه الحالة تذكرنني بالسياب، يوم وقف أمام ديوانه المرصوف في رف بإحدى مكتبات بغداد جوار ديوان حبيبتة الشاعرة لميعة عباس عمارة فكان له أمام هذه الحادثة بيت شعر خالد - لا يحضرني نصه الآن - ولكنه تحدث فيه عن حالتهما وفراقهما ثم اجتماعهما أخيراً (كتابين على رف) وقد فرح السياب بطفوليته الجميلة بهذا اللقاء.

غادة تسألني: هل أنا مع نشر رسائل غسان فقط في كتاب؟

وأقول لها جواباً: ولماذا لا؟ إذا كان من غير الممكن أن تجدي وسائلك له فلماذا تحرمين محبيك ومحبي غسان من قراءة رسائله لك؟
أمل أن تأخذ الصديقة غادة برأيي.

عبد الرحمن مجيد الربيعي

جريدة «الصدى» التونسية، ١٢/١٠/١٩٩٠

... إن لغادة أسبابها في موقفها من غسان ولغسان أسبابه في هذا العشق. نقول هذا رغم أننا

لا نبحث عن الأسباب والمبررات، فالحب ليس بحاجة لتبرير، هو حب وكفى كما هو الموت وكما هي الحياة.

لكن عادة وهي النائرة والمتعمدة اجتماعياً وإبداعياً لم نشأ أن تكون السبب في تخريب حياة غسان الزوجية... وله طفلان أي أنه لم يكن طليقاً حتى تنطلق معه، وموقف عادة هنا موقف أخلاقي مسؤول.

كما أن وضعها الشخصي يومذاك - وهذا اجتهد شخصي - ربما كان السبب وراء حلها لهذه العلاقة المشتبكة بالرحيل إلى لندن. كان والدها رئيس الجامعة والوزير وصديقها الذي يفهمها قد توفي قريباً. كما أنها عاشت تجربة خطبة فاشلة، لذا فإن الإذعان لأي ارتباط حتى ولو كان عاطفياً من شأنه أن يعقد الأمور لا أن يحلها.

وهكذا اختارت بأخلاقية عالية الرحيل لتتركه لزوجته وطفليه والقضية التي نذر نفسه من أجلها...

عبد الرحمن مجيد الربيعي

جريدة «الصحافة» التونسية، ١٠/٩/١٩٩٢

عادة دعت مراراً إلى استعادة رسائلها التي كتبها لفسان لتقوم بنشرها أيضاً، ولكن رسائلها له ما زالت مخفية، وإن لجنة غسان كنفاني الثقافية مدعوة لأن تلبّي هذه الدعوة لتجد هذه الرسائل طريقها للنشر استكمالاً لحالة الحب الجميلة هذه في حياتنا الأدبية في عقودها الأخيرة المليئة بالإحباط والخيبة والانكسار والهزائم.

إننا نأمل أن يرفع الحظر عن هذه الرسائل في أي مخبأ كانت.

عبد الرحمن مجيد الربيعي

مجلة «دراسات عربية»، بيروت، آذار/نيسان ١٩٩٣

كانت عادة السّمان أمينة جداً أمام من يحاول أن يشكّك في صحة هذه الرسائل، فنشرت صورها كلها كما وردت بخط يده بما فيها من شطب وأخطاء لغوية متناثرة.

ولو لم تفعل عادة ذلك لما استطاع أحد من محبّي الكاتب والمكتوب لها أن يطلّع على هذه الرسائل التي جاءت بعد وفاته بعشرين سنة.

وفي رأيي، إن الذين هاجموا عادة السّمان - وقد اطلعت على كتابات البعض منهم - كانوا منسرعين في هذا ولم يتمعنوا بهدوء ويعرفوا الدوافع لأن هناك حقيقة واضحة وهي أن عادة السّمان كاتبة مشهورة جداً ومقروءة جداً، وجلّ أعمالها القصصية والروائية تُترجم إلى اللغات الحية. وفي المعارض يقبل القراء على اقتناء كتبها بشكل لافت للنظر رغم غلاء أسعارها. ولكن أكثر صراحة، ولنقل إنها في هذا المجال أكثر شهرة من غسان كنفاني نفسه الذي تعدّدت اهتماماته لدرجة أن المناضل والناطق الرسمي بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هو الوجه الأكثر حضوراً منه.

لكن ومع هذا كله لم تشأ عادة أن تكذب وتخفي ما في هذا العمل من إرضاء لترجيبة

الأنثى في كونها قد أحبتها أدباء معروفون، بينهم غسان كنفاني، ولم تذكر أنها أثرته أكثر من غيره بل كانت له مكانة خاصة في نفسها. كل هذه الاعترافات وهذه المكاشفة وردت في تقديمها للرسائل.

عبد الرحمن مجيد الربيعي

كتاب: «من النافذة إلى الأفق» (١٩٩٦)

الناشر: مؤسسة سعيدان، تونس

... الموضوع الرئيسي لهذه الرسائل هو الحب ونحن لا نتوقع لشاب في سن «غسان» أن تكون له حكمة «نهر» في رسائله لابتته «أنديرا»... لكننا وبكل تأكيد نتوقع من «غادة» - خاصة وأن الجراءة لا تنقصها - أن تطلعنا على مجموعة الروابط المشتركة التي ألقت قلبي محبين.

أما عن مضمون وقيمة الرسائل فلو لم تحمل اسم «غسان كنفاني» لما زادت عن كونها خواطر شاب رومانسي يجب امرأة أكثر مما تحبه...

ويظل لغادة فضل اطلاعنا على صفحة كان من الممكن أن تطوى من حياة واحد من كتابنا الأفاضل كما يظل لها فضل الدعوة والريادة والقُدرة.

عبد الرحيم عمر

مجلة «الحصاد»، قبرص، ١٩٩٢/١٠/٩

... ولعل سبب إعجابي واهتمامي بهذه الرسائل يعود إلى تلك الأيام التي كانت نفوسنا تمنلئ بخيال أحلام الوحدة العربية، ألا قاتل الله من جعل تلك الأحلام والآمال من الأمور التي أشمعت بنا أعداءنا فقد أصبحت أضغاثاً بعيدة التحقيق. وعلى كل حال هناك سبب آخر لهذا الإعجاب والاهتمام وهو أنني ممن يقدر غادة، فقد اتفق لي أن التقيت بها وتحدثت إليها وإذا بي أجدها تحيا حياة بعيدة عن الازدواجية، ولعل من أعظم الأدلة على ما ذكرت نشرها لهذه الرسائل التي تفيض بالغرام بها وهو أمر لا يقوم به إلا الذين تحررت نفوسهم من القيود الثقيلة، فالكثيرون والكثيرات يتظاهرون بأنهم أبعد ما يكونون عن أمور الحب والله وحده يعلم ما يصطرع في تلك النفوس... ولقد أحسنت صنعاً بنشرها هذه الرسائل لأننا في أمس الحاجة إلى الأدب الصادق...

عبد الرزاق البصير

الكويت، ١٩٩٣/٤/٢٥

ما الذي يجعل خبر صدور كتاب رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان ينزل كالصاعقة على رؤوس الكتاب العرب؟ ألا يعني أن كلاً منهم وضع يده على قلبه ليخفي ارتعاشة عاطفية تمد رأسها بين حين وآخر خارج سياق الرتبة اليومية؟ ألا يعني أنهم بدأوا يستشعرون الخطر القادم من الماضي ليفذ كالسهم إلى المستقبل ليهدم شواهد قبورهم؟

إن الكاتب العربي يعيش في ازدواجية كبيرة. فعلى الورق ينطلق بحريته إلى أقصاها ولكنه في الواقع شيء آخر، لهذا فعندما نجمع أوراقه نذهل للبون الشاسع ما بين الحالتين...

عبد الرزاق الربيعي

جريدة «الجمهورية»، بغداد، ٩/٥/١٩٩٣

... إن كليهما يحس في لاوعيه وهو يكتب للآخر أن ثمة - قراء - ينتظرون موت أحدهم لیسعدوا بالقراءة الأدبية الفياضة المكتنزة بالحب والأسى والشوق... فلماذا الغضب إذن؟ ولماذا الهرج والمرج والمويل والادعاء...؟ لماذا؟ ما الذي يحدث لتجربة النضال الفلسطيني والأدب الفلسطيني إذا ما اكتشفنا في أحد رموزه... العاشق... نعم هذه الرسائل لم تعد سوى ملك للمقل والمشايع والضمير العربي الغائب. نعم هي المخبوء من حقيقتنا... والمسكوت عنه فينا. فإلى متى نزور مشاعرنا وحقيقتنا ونظلي مظاهرنا بالرياء..

عبد الرسول العربي

مجلة «لا» اللبية، كانون الأول، ١٩٩٢

كان يتراءى «غسان كنفاني» لي رافضاً قانون القبيلة وحشمة العباءة ورزانة التفكير المستقر على قواعد النفاق والمجاملة والكذب. وفي مجلته «الهدف» تابعت سياسياً وقائلاً، لكنني كُنْتُ دائماً أفتقد شيئاً في أوراقه. شيئاً في مفردات ملامحه ولون عيني وبريقهما..

شيء ما عظيم كان عليّ أن أجده في أوراق غسان كنفاني... صفعتني ذات يقظة، وأقلقتني تماماً كما يهزّك عنوان رئيسي: «انقلاب في...»، ثم تهوّل إلى محطة الإذاعة... ولماذا الانقلاب؟ لأنه مُلّفت ولأنه خطير... وهذا ما فعله بي كتاب لا تتعدى صفحاته المائة والخمس عشرة صفحة من القطع المتوسط بعنوان: «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان».

عبد الكريم عبد الرحيم

من دراسة له بعنوان: «اكتمال الصورة في تألق الذاكرة والبحر والحلم» (١٩٩٦)

تُرى هل كانت غادة السمان تُدرك ما وراء السطور (سطور رسائل غسان إليها)، وهي الكاتبة الذكية المبدعة التي تحيل كل شيء إلى رواية؟... اليس ما نقرأ بقلم غسان (الرسائل) رواية بطلها هو نفسه والبطل الآخر هو الوطن مثلاً بالمرأة رمز المعطاء؟

أجل... كانت غادة تُدرك جيداً ذلك حين نشرت الرسائل.. وقد رأت في نشرها إغناء لرسالة غسان النضالية وتجاوزاً لبُعدها الظاهري.. هذه الرسائل من أقوى ما كتبه كنفاني في التعبير عن رسالته الثورية إذا تمّ فهمها على الوجه الصحيح.

عبد اللطيف الأرنؤوط

(من دراسة بعنوان «فن كتابة الرسالة عند كنفاني»، ٢٠٠٢)

... لقد رأت «غادة السمان» في نشر رسائل «غسان» إليها تأكيد البعد الإنساني للمناضل والبطل... فالمناضلون أيضاً لهم قلوب وعيوب.. إذا اعتبرنا الضعف الإنساني عيباً... ثم هي في

نفس الوقت تثبت أنها ما زالت قادرة على الهجوم على التماثيل الخشبية .. أو الجيزية التي نصنعها لأبطالنا .. تماثيل صلبة مفرغة من إنسانيتها .. لا تقدم من البطل إلا الجوانب الأسطورية فيه .. كأنه نين و ليس بشراً .. ثم هي تثبت أنها ما زالت قادرة على تحدي مواصفات النفاق الاجتماعي التي ترى الحب خطيئة تجب لفلفتها في ستائر الصمت .. ثم هي أيضاً تزهو - بلا شك - أن هذا الكاتب المناضل كان يحبها .. وأكثر .. وهو زهو من حقها .. وهي لا تخفي هذا ولا تواريه .

... البعض يرى أن رسائل «غسان» إلى «غادة» لم تضاف شيئاً إلى أدب «غسان» .. وهذا ليس صحيحاً .. فكل ما يكتبه الكاتب يعتبر جزءاً من تراثه حياً أو ميتاً .. لأنه يزيد من وضوح صورته لدى القارئ والناقد معاً .. وأياً كانت نوايا «غادة» من نشر رسائل «غسان» إليها .. فهي نوع من الوفاء لذكراه .. ولعل هذا يشجع غيرها من الكاتبات .. وقد فتحت «غادة» الباب .. فهل من رسائل أخرى؟

عبد الله باجبير

جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ١٢/٦/١٩٩٢

... ألا تكون هذه الخيوط (في الرسائل والمقدمة) نسيج علاقة تحمل بعض ملامح شهريار وشهرزاد في ألف ليلة وليلة، مع تبادل الأدوار؟

إن المرأة، في هذا النسيج، هي التي تردم الهوة بالرجال، لا لتقتل، وإنما ليكون أحلى أغانيها حباً يكتمل بالفراق ...

أ تكون هذه المرأة شهريار وضحيتها في آن؟ بمعنى أنها كانت ضحية عجز أي واحد من أولئك الرجال عن الاحتفاظ بها، فاستمرت ردم هوتها. وهل يكون نشر هذه الرسائل وليد العامل النرجسي نفسه، وسعياً يسهم في ردم الهوة مع العالم؟

د. عبد المجيد زراقت

مجلة «البلاد» اللبنانية، تشرين الأول، ١٩٩٢

... لم يخسر غسان كنفاني «كما زعم البعض» حين شهد الجميع على عرى قلبه وقرأ الجميع سطره الخاصة جداً وما بين السطور .. كسب حياة إنسانية جديدة بعد ٢٠ عاماً من اغتياله .

أما غادة السمان فحكاية أخرى ...

عيلة الرويني

مجلة «كل الناس» المصرية، ١٨/١١/١٩٩٢

إحدى الأدبيات كانت تصلها رسائل من أحد الأدباء المتزوجين ... تحمل مجرد لواجم أدبية، رائعة في الوصف الفني، إلا أنها كانت مثار غيرة الزوجة (زوجة الأديب) والتي ما توانت عن رفع

كفيها بتضرع إلى السماء أن يحلّ بزوجها (الأديب) ما حلّ بغسان كنفاني بعد الكتاب الذي نشرته عادة السّمان عن رسائله.

عدنان فرزات

جريدة «القبس» الكويتية، ١١/٦/١٩٩٤

بعض الآراء «النقدية» التي وردت في الكتاب تؤلمك أكثر من الكتاب نفسه، وبخاصة تلك التي ربطت بين غسان كنفاني المناضل وغانس العاشق... فقد حاولت هذه الآراء أن تجزّده من حقه بالعشق حتى عن طريق التلميح إلى كونه أحد الرموز النضالية... والسؤال: لماذا يكون ضعف الحبيب أمام معشوقته إساءة إلى شخصيته النضالية؟

عدنان فرزات

جريدة «القبس» الكويتية، ١٢/٣/١٩٩٥

لو أخذنا الرسائل المتبادلة بين غسان كنفاني وغادة السّمان، نلاحظ أن الإشكالية هنا كون السارد/ الراوي هو عادة السّمان «الحاضرة»، وأن الآخر أي كنفاني «غائب». لهذا تبقى تلك الرسائل مجرد وجهة نظر لغادة السّمان وحدها.

عز الدين المناصرة

مجلة «الوسط»، لندن، ١٧/٧/٢٠٠٠

ليس في رسائل غسان كنفاني إلى غادة السّمان ما يستحق الاستنكار والاستهجان، إذا وضعت هذه الرسائل في حجمها وزمنها الطبيعيين...

.. لكن يسمح بالاستهجان أو الاستنكار توقيت نشر الرسائل. فالمعروف أن استعدادات كبرى كانت تجري منذ عام للاحتفال بذكره، في عشرين على وفاته، في بيروت وعمان ودمشق، وفي بعض العواصم الأوروبية. وفي اعتقادي أن غادة السّمان وقعت، ببراءة، في فخ نصبه الذين كانوا يريدون أن يشوهوا صورة نضال غسان وفي اعتقادهم أن إبراز ضعفه تجاه امرأة يلقي ظلاً سيئاً على نضاله، فتشجعت، دون وعي بالفخ، على نشر الرسائل...

وفي هذا الفخ ثمة كثيرون، وبينهم أحد أصدقائنا، من قدامى المناضلين، روجوا لهذه الصورة «الجديدة» لغسان كنفاني فإذا هو «يسطح كما لم يسطع من قبل»...

عصام محفوظ

جريدة «النهار» البيروتية، ٨/٨/١٩٩٢

... تعتبر عادة أن توقيت نشرها لرسائل غسان هي مشاركة في تكريمه ولو من جانب آخر لأن «عظماء التاريخ كانوا دائماً أطفالاً في بلاط الحب».

وبرغم بعض المكابرة في الدفاع فإن بعض القراء الذين يعرفون، مثلي، عن غادة السّمان أنها أذكى كاتبة عربية، والأقدر على استحياء الأعماق النفسية لشخصياتها الروائية والأكثر استشفافاً

للواقع، في مقالاتها الصحفية، والأشد حساسية للأفعال وردود الأفعال، سيظل هذا البعض يظن أن هذه الكاتبة الكبيرة وقعت في فخ استفاد منه الذين يرغبون في تشويه بعض الصور الجميلة، معتمدين على قصر نظر الجماهير التي رؤيتها لا تتعدى غالباً سطح الأشياء إلى أعماقها...

عصام محفوظ

جريدة «النهار» البيروتية، ١٢/٩/١٩٩٢

... غادة السمان... تخترق المفاهيم التي تكرس الرياء والزيف، وترفض التدجين.. امرأة تسبح في اللامألوف، وتحلم بالمستحيل، وترفض أن تستريح أو تعترف بالتعب، أو أن تهزمها المتناقضات الكثيرة التي نعيشها في عالمنا اليوم.

منذ أوائل الستينيات وحتى اليوم ما تزال غادة السمان محافظة على تجدها المتواصل.. إنها كاتبة واعية تماماً لمهمتها الكبيرة، تبحث عن هويتها العربية والإنسانية، تبحث عن خلاص ما، عن الحرية، عن الصفاء... دون مواربة أو خداع.

التمرد الإنساني هو سمة أدب غادة السمان، وآخر أعمالها «التمردية» رسائل غسان كنفاني إليها، التي أثارت من خلال جمعها ونشرها في كتاب ردود فعل كثيرة حين أخرجت هذه الرسائل من الخاص إلى العام، وكشفت صورة غسان المناضل من الداخل..

... لا أدري لماذا هذا الاستهجان والإدانة؟ فما عرضه غادة من رسائل تُعتبر بحق وثائق ثرية، منحت صورة غسان المناضل بعداً إنسانياً جميلاً، كنا لا نعرف عنه شيئاً...

إن أدب المراسلات أو ما يمكن أن يطلق عليه اسم «أدب الاعتراف» ما زالت تفتقر إليه مكتبتنا العربية، وقد أحسنت غادة السمان عندما خاضت في لجنه...

د. علي القيم

جريدة «تشرين» السورية، تشرين الأول ١٩٩٢

... الرسائل التي يكتبها الأحياء للأحياء يجب أن تحرق في اليوم الثالث لرحيل أحد الطرفين. فهذا هو الشرط الذي يجب أن يوضع كخاتمة لكل رسالة بين اثنين وإلا فإن الفضائح سوف تظال الأموات أكثر مما تظال الأحياء...

عمران القيسي

جريدة «اللواء» البيروتية، ٢٨/٧/١٩٩٢

ماذا في رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان.. وهل تحتاج المسألة إلى هذه الضجة التي ارتاحت إليها كثيراً غادة السمان؟...

... ويبقى الموضوع أصغر من فضيحة وأقل من قضية اللهم إلا إذا أردنا أن (نطق أحناكنا) بمثل هذا الهراء...

عمران القيسي

جريدة «اللواء» البيروتية، ١/٩/١٩٩٢

... ولا شك إلى أن موضوع الإثارة عائد بالضرورة إلى ندرة الرسائل الغرامية المتبادلة بين أدبيين، لأحدهما باعه الطويل في السياسة والأدب، وللأخرى باعها في الأدب وفي طرح المسائل بجرأة مستغربة في محيطها الشرقي، كونها امرأة شرقية، خاضعة شامت أم أبت إلى شروط المجتمعات الشرقية..

... ولعلي لا أبالغ بالقول، بأن مطلق عاشقين أميين، قادران على قول ما هو أكثر إثارة في التعبير عن أحدهما، من الكلام المكتوب في الرسائل...

عناية جابر

جريدة «السفير» البيروتية، ١٥/٩/١٩٩٢

... وجدت نفسي أعثر على ما هو أكثر من المتعة الأدبية، وأقع في المقدمة المطولة، التي خطتها غادة، على أجوبة كافية ومقنعة لتلك الأسئلة التي راودتني سلفاً، قبل أن أقرأ الكتاب، وأستدعي بعضاً من ذكرياتي القديمة.

ولعل أكثر الأسئلة أهمية، التي أجابت عليها مقدمة الكتاب، ذلك المتعلق بمشروعية نشر هذه الرسائل الخاصة، المنسوبة لشخصية أدبية وسياسية مرموقة، حفرت مكانتها عميقاً في الوجدان العام. فيحسب غادة السمان، فإنه بعد عشرين عاماً على غياب الجسد النحيل العليل فقد باتت هذه الرسائل بمثابة إرث أدبي عام، لنا حق الاطلاع عليه، أكثر مما لدى غادة من حق في مواصلة الاحتفاظ به في الأدرج المغلقة.

وفوق ذلك فإن هذا الكتاب، يشكل مساهمة متواضعة في التأسيس لجنس أدبي غير شائع في المكتبة العربية، ألا وهو أدب المراسلات، الكثير التداول في اللغات الأجنبية. وإن قيمته الكبيرة مستمدة، ليس فقط من مادته الرفيعة ومحتوياته الفنية الجميلة، وإنما كذلك من شخصية صاحب هذه الرسائل، الذي طبقت شهرته الآفاق العربية.

وهكذا وجدت لدي تسامحاً كبيراً تجاه هذه المرأة التي كثيراً ما كان غسان يبشها حبه النبيل من على صفحات «المحرر» و«ملحق الأنوار» وغيرها من الصحف والمجلات اللبنانية، ورأيت في ما صنعت في هذا الكتاب، شكلاً من أشكال الوفاء ولو كان متأخراً، لذكرى الرجل الذي تعذب بحبها علناً، وشكاً من امتناعها سراً وجهراً، وظل متوهجاً بها لسنوات طويلة، على نحو ما كان متوهجاً، قلماً وقلباً وعطاء، لحبيبه الأولى والكبيرة، فلسطين... والرسائل أبرزت صورة غسان الأخرى... المناضل الحقيقي، الإنسان بمواصفات إنسانية..

فشكراً لغادة السمان التي أعادت بعث هذا الكاتب المبدع، بكامل انتقاده وشفافية روحه، وعذوبة حرفه، وتجاسرت على خرق سقف التقاليد والأكاذيب، على نحو ما فعلت جدتها ولادة بنت المستكفي قبل مئات السنين.

عيسى الشعيبي

جريدة «الدستور» الأردنية، ١١/٩/١٩٩٢

ما زلت أقرأ في رسائل غسان شغف قلبك يا غادة.

عيسى مخلوف
آب ١٩٩٢

إذا اعتبرنا أن نشر كتاب «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان» هو أول خطوة أدبية عربية تكشف عن أسرار البوح من محب إلى حبيبة، من كاتب إلى كاتبة... علماً بأن هذه الخطوة ظلت ناقصة المضمون لأنها كشفت جانباً واحداً وأغلقت الباب على الجانب الثاني، وجدنا أن مثل هذه الخطوة تخدم «أدب النقد» كثيراً في فهم شخصية الكاتب وحميمية أعماقه عند دراسة آثاره وكتاباته في مرحلة من المراحل.

غادة علي كلش

جريدة «الكفاح العربي» البيروتية، ٣٠/٧/١٩٩٧

هل نتهم غسان كنفاني بالرجعية والتخلف والقصور، ونكتفي بصورته عاشقاً ومهووساً لإحدى الروايات ليس إلّا... مشهوراً برسائله في الواجهات والمكتبات العامة انتقاماً لمسيرته النضالية؟

غادا فؤاد

(من كتاب «إسرائيليات...»، ٢٠٠١)

... ولست أرى في هذه الرسائل ما يضيف لفهم هذا المبدع الكبير.
من الناحية الأخرى فلست أظن هذا العشق ينقص شيئاً منه، أو يسيء إليه، أو ما شئت من هذه المعاني... ليس في العشق كبرياء، والعاشق حر في أن يضع نفسه حيث يشاء من صاحبه.
... هكذا إذن: ريحت غادة السمان، وحقت زهوها الترجسي، ولم يخسر غسان..

فاروق عبد القادر

مجلة «روز اليوسف» المصرية، ٢٦/١٠/١٩٩٢

ثمة فجوة واسعة، ومساحات من الفراغ، تركتها الرسائل المنشورة من غسان كنفاني إلى غادة السمان... تبتد الفجوة في المسكوت عنه إرادياً من طرف المرأة «المعشوقة»...
نصف الحقيقة الغائبة يكمن في رسائل غادة إلى غسان، التي انتظرنا العثور عليها ونشرها، بلا أمل، أما نصف النصف الآخر - بقية رسائل غسان إلى غادة - فإن صح الحديث عن تحولها إلى رماد في الحرب الأهلية اللبنانية، فإن ذلك قد يجهز نهائياً على ما تبقى لنا من أمل في قراءتها.
نحن، إذن، أمام رسائل تحمل لنا ربيع الحقيقة، وترسم لنا ربيع الصورة! كأننا أشبه ما نكون أمام أحداث رواية ناقصة، مبتور منها ثلاثة أرباعها؛ رواية «العاشق» الآخر، الذي لم يمهله الانفجار لحظة أخرى لكتابة عشقه كاملاً من زاويته...

فاروق وادي

جريدة «الدستور» الأردنية، ١١/٧/٢٠٠٣

... عادة السّمان أدبية جذيرة بأن يفرد لها فصل كامل في كل منشور يصدر عن الأدب والبحرية. ونشرها اليوم لرسائل غسان كنفاني إليها تكريم له حقاً، لأن فيه تذكيراً بإنسانيته وبقيّيته... ومن يقرأ ما كتبه عادة السّمان بعد اغتيال غسان كنفاني مباشرة من قُبينا (في كتاب الجسد حقبة سفر بتاريخ ٧٢/٨/٢٥) يدرك أنها فطنت منذ البداية أن طريقنا العربية في تكريمه ستجعل منه تماثلاً من الشمع يحتفى به ميتاً بعد تجاهله وقتله حياً.

... ولا نكاد نعرف أدبياً كبيراً في الغرب لم نجمع رسائله بعد مماته وتنتشر، ويجد فيها القارئ الصورة الواقعية للأدب كإنسان...

الدكتورة فاطمة موسى محمود
مجلة «إبداع» القاهرة، ١٠/١٠/١٩٩٢

في حوارها الأخير مع صحيفة «الرأي» الأردنية (١٨، ٢٠/٣/٩٣) تشير عادة السّمان مرة أخرى قضية نشر رسائل غسان كنفاني والضجة التي أحدثها هذا النشر... ورغم أن الكثير مما نقوله عادة السّمان ينضج بالذاتية التي تربس الكاتب العربي على احتضانها وتسويقها، إلا أنها تطرح، كما في نشرها للرسائل، حقيقة جين المؤسسة الثقافية العربية وجبن الكتاب عن تسطير تجاربهم. إن الكاتب العربي يفضل قول الأشياء مواربة، ويغطي الحقيقة بالاستعارة، ويشير إلى الذات بضمير الغائب، تحكمه في ذلك التقاليد والممنوعات وإرهاب المجتمع قبل إرهاب السلطة. والمأساة، كما تقول عادة السّمان، أننا لا نجرؤ اليوم ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين أن نرود ما قلناه في خمسينيات القرن وستينياته لأن حصاد جيل النهضة العربية الطالعة في أواخر القرن التاسع عشر قد جرى إحراقه على أيدي الطوائف المسلحة بالتخلف ونتاج الاستبداد.

تحسن عادة السّمان القول إذ تصر على أن نزع أفتنة الزيف والإصرار على البوح ضروريان لتقديم المجتمع وتطور الأدب...

فخري صالح
مجلة «رابة الاستقلال» الأردنية، حزيران ١٩٩٣

لسوء الحظ أن مبدعاً مثل غسان، لم يتح له اغتياله فرصة كافية لكتابة سيرة حياته. ولر فعل ذلك لما قفز عن رسائل عادة السّمان وعن قصة هيامه بها، ولما قفز أيضاً عن قصص حب وعلاقات عاطفية مختلفة شغلت حيزاً مهماً في حياته...

وغادة، سهّل الله أمرها وهداها سواء السبيل، كانت تكتب ليس لأنها صاحبة قضية، وإنما لأنها تريد أن تبث الفتنة في رؤوس القُراء... وقد التقيت بعددٍ غير قليل من أدباء وصحفيين عرب، رويوا لي قصص غرامهم مع عادة السّمان، مما دفعني إلى الاعتقاد بأن نفوس هؤلاء كانت أنارة بالحب، وأن نفس عادة كانت أنارة بجمع القلوب، وأنها هي - في خاتمة المطاف - لم تحب أحداً بمن في ذلك غسان كنفاني...

فخري قعوار
مجلة «شرقيات» الأردنية، آذار ١٩٩٩

عندما نشرت عادة السَّمان رسائل غسان كنفاني إليها، لم تتجرأ في نشر رسائلها إليه.

فرح جبر

«ملحق النهار»، بيروت، ٢٠٠٤/٥/٣

تقليد أدبي جميل أصاب «النفاق العربي» في مقتل...

... وفي نقطة التقاء الحب بالإبداع، يتحوّل الخاص إلى عام ويصبح من حق الناس أن يروا صورة الحب البهيجة ومهاريه التراجيدية..

... أما أولئك الذين رجدوا في نشر الرسائل مؤامرة وأي مؤامرة، واكتشفوا بحواسهم السوادس أصابع الموصاد ودسائس البيت الأبيض كما شاهدوا بعيني زرقاء اليمامة المداهمة الوشيمة لخيول الإمبريالية وطلائع العملة لديارنا المحروسة، فلن نقول لهم سوى إننا نغيظهم على هذا الخيال اللطيف إن كانوا يقصدون كلامهم حقاً، ونؤكد لهم أننا على ضوء ذلك سنعيد قراءة الأربعة والثلاثين مؤلفاً لغادة، لأنه وفق نظرية المؤامرة لا يعقل أن يكون قد تمّ تجنيدها بالأمس القريب. والله في خلقه شؤون!

فضل النقيب

جريدة «الاتحاد»، أبو ظبي، ١٩٩٩/٤/٤

إنني أعجب كل العجب من الذين يرون أن في ما قامت به المبدعة «غادة السَّمان»: إساءة إلى سمعة المناضل غسان كنفاني... حيث إن بعض هذه الرسائل سبق للراحل كنفاني أن نشرها، ولم يكن يرى يومها أي حرج... فكيف يرى غيره ذلك الآن؟!

وقد كانت «غادة السَّمان» حريصة على نفع القارئ والدارس العربي... خصوصاً المهتم بأدب كنفاني... ففتحت نافذة على لغة الحب عند ذلك الأديب المناضل الراحل! وهذه الرسائل: وثيقة أدبية، وسيرة ذاتية... وتهدي المكتبة العربية كتاباً فريداً في أدبنا العربي الحديث الذي ربما كان خالياً من هذا اللون!

فهد آل الشيخ

جريدة «الحياة»، لندن، ١٩٩٣/٦/٢٥

آخر ما قرأته لك من أعمال كان «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السَّمان»، وكان أجمل ما فيه صراحته المطلقة والمصادقية التي فيه.

فؤاد البرازي

جامعة حلب، عيد الأضحى، ١٩٩٣

... لماذا نظل مكابرين، نلثث وراء المرأة في السر، وفي أحاديثنا العلنية نلغيها؟ لماذا ننظر للمرأة على أنها دنس ونحن خرجنا من رحمها؟

- أيهما أهم، أن يكون المناضل نبياً مرسلأ، أم إنسانأ عادياً استطاع أن يرتفع لمصافي الأنبياء؟ لماذا توجه هجومك على غادة وهل فعلت شيئأ شاذأ؟ هل الرسائل مزورة لتحاسيها؟ إذا كانت مزورة فلنا الحق أن نطالب بمحاكمتها، وإذا لم تكن فمن حقها أن تنشرها وهي حرة في ذلك. وهل غسان كتب الرسائل في لحظات سكر، ثم ألا يعرف أن هذه الرسائل يمكن أن تنشر؟... هناك في الرسائل تفاصيل صغيرة في خصوصية حادة عند غسان كنفاني كان يحب ألا تنشرها غادة ومن حقنا أن نعتب عليها ونطلب حذف هذه الخصوصيات التي هي ملك لغسان وحده وعليها مراعاة ذلك. أما أن نعتبر الكتاب بمجمله نشرها لغسان فذلك أمر صعب...

فواز خيو

جريدة «الأسبوع الأدبي»، دمشق، ١٩٩٢/١١/٢٦

... تدور «الوثائق الأدبية» في حقل البيع والقراءة والنقد. أما رسائل العاشق - الشهيد، فتدور في حقل الإثارة لأنها رسائل رجل - رمز. وقد يبدو اصطيد الرمز صعبأ، وصعوبة الاصطياد تفرض نشور الغائب وهتك أسرار. وفي عملية التحويل التي تحيل الرمز رجلاً، يصبح الحب إعلانأ، والغائب خبرأ، والكتاب فضيحة.

د. فيصل درآج

مجلة «صوت المرأة» (الصادرة عن لجان المرأة الشعبية الفلسطينية)

السنة السادسة، العدد العشرون (١٩٩٢)

... وإذا كان لنا أن نضيء فكرة «أخلاقية الكتابة»، كما «أخلاق السوق»، فيمكن لنا أن نرجع إلى مادة كتابية حديثة أهرقت بعض الحبر وهي رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان. وكما لا ننزه في سبل المصيبة أو مسارب الاتهام، فإنه يمكن لنا أن نتعامل مع الرسائل المنشورة بمقولة المعرفة الموضوعية وفكرة النسق الثقافي - الوطني، ولا سيما أن هذه الرسائل تحيل إلى مثقّب ينتمي إلى هذا النسق بامتياز. تعلن ناشرة الرسائل وبتشديد لا مزيد عليه أن هدف النشر معرفي يتوسل إنارة شخص المبدع. ولذلك تقول: «إنها رسائل تدخل في باب الوثائق الأدبية أكثر مما تدخل في باب الرسائل الشخصية»، تقول أيضاً: «أكتفي مؤقتأ بنشر رسائله [أي غسان] المتوافرة، بوصفها أعمالأ أدبية لا رسائل ذاتية»، كما تقول: «ولعلني كنت حثت بعهدي لغسان على نشر تلك الرسائل، لو لم أجد فيها وثيقة أدبية وسيرة ذاتية نادرة الصدق لمبدع عربي». إن تكرار صفات «وثائق أدبية، أعمال أدبية، سيرة ذاتية» لا يحجب ذاتية متلعثمّة تهدم حقائق وتختلق نقائضها؛ فأعمال غسان الأدبية قائمة في رواياته وقصصه ومسرحياته، وسيرته الذاتية معلنة في مسار حب حدوده الحرة والموت، وقوامه إنتاج فكري متعذد الأبعاد يقطع الزمن بسيف الزغبة والإرادة، وأسلوبه هناك يهرب من القاموس ويلهث وراء نبض الحياة. ليس في الرسائل إلا ذات عاشقة حاصرها زمن سقيم لاحق بأظافر ذاتية تعشق مراياها وليس في الرسائل إلا معشوق يحول أجمل العواطف إلى نعمة.

د. فيصل درآج

مجلة «الآداب»، بيروت، آذار - نيسان ١٩٩٣

... ردود فعل متفاوتة. من بينها ثمة استنكار مزدوج: تشكيك في صحة أمر العلاقة والرسائل أصلاً، ثم استهجان نشرها. وذهب البعض إلى الاستعداد من أجل مقاضاة عادة السّمان، والتلميح إلى مؤامرة (تتصل بالنظام العالمي الجديد/ حسب الياس العطروني!) تستهدف الإساءة والتشويه لصورة وتاريخ غسان كنفاني الأدبي والنضالي. ولعل التفاوت الطريف في ردود الفعل هذه يشير إلى الاختلاف العميق في تعاملنا مع ظاهرة الحب في حياتنا. ففي حين اعتبر الياس خوري أن (غسان كنفاني اليوم يسطع كما لم يسطع من قبل) فإن الياس العطروني رأى في نشر الرسائل أمراً... «يمكن وصفه بالعورات».

هذا هو الشرق، الحب عنده هو العار الذي... «لا يسلم الشرف الرفيع».

ولكن المشهد يبدو الآن أكثر تفسخاً. فتفاقتا العربية، في جانبها الثوري، وسلوكها التقدمي خصوصاً، لا تزال ميالة إلى اعتبار الحب عاطفة بورجوازية من شأنها أن تخدش نقاء المناضل. وإن الثوري لا يصير صادقاً إلا إذا كان مخلصاً في عاطفته. فالأدب المناضل محظور عليه أن يقول عن الحب. لا أعرف بالضبط من أين اجترح علينا ثوريو العرب الأشارس هذا الشرط النضالي، في حين أننا أبناء تراث كثيف من العشق والعشاق يصل إلى حد النبذ أحياناً. تراث موغل في العاطفة الجياشة هو (تاريخياً) أقدم من الدين ذاته. وكثافة هذا التراث جعلته قادراً على الاختراق، بحيث لم يستطع الدين أن يشغل أدباء العربية (آنذاك) عن الاستغراق في أحوال الحب.

وكان الأجدر بتقدمي الثقافة العربية وثورييها أن يتصلوا بذلك الجذر الثقافي ويعملوا على بلورته في سلوك حضاري جديد. لكن الذي حدث هو العكس تماماً، فقد اتخذ هؤلاء إزاء الحب موقفاً طهرانياً يضاهي موقف المحافظين من أصحاب التقليد الاجتماعي، الأمر الذي جعل عاطفة الحب نقيضاً لأي مشروع نضالي أو سلوك ثوري. ويجوز لنا أن نتساءل عن مصدر هذا السلوك في تجربة الثقافة العربية المناضلة (التقدمية خاصة) هل هو خليط من تربية دينية شرقية مشوهة من جهة، ومن جهة أخرى تزمت إيديولوجي، تمثلت نماذجها الفادحة في الدوغمانية السوفياتية التي مارست قمعاً مشهوراً لتجارب أدبية معروفة مثل يسنين ومايكوفسكي وأخمتوفا بسبب انحيازهم للحب، كتابة وحياة. ولعلنا نذكر حادثة قصيدة مايكوفسكي عن حبيبته، عندما أصدر لينين قراراً بطبع نسخ محدودة من الكتاب، تعطى للشاعر وحبيبته، على أن تحفظ النسخ الباقية في المكتبات العامة، بحجة أن موضوع الحب شأن شخصي لا يتصل بهوم البناء الثوري للمجتمع السوفياتي، ولا يهم جمهور القراء. وتذكر أيضاً كيف أن الملاحظات الحزبية تلك صارت قانوناً إيديولوجياً تبنته الأحزاب الشيوعية في العالم، واستوردته الاجتهادات العربية من بين ما استوردته، بحيث تحول الأمر إلى ضرب من السلوك القمعي ضد أية بادوة أدبية أو شخصية تنزع إلى البوح العاطفي في غمرة النضال الثوري. ولعلنا نستطيع بجدرة سريعة للأدب العربي الحديث أن نكتشف أشكال التوظيف الإيديولوجي لرمز المرأة، متجلباً باتصالها بالأرض والأم والوطن والثورة والزوجة. ولكن من النادر أن تصادف امرأة خارج حدود البعد النضالي الشامل والعرف الاجتماعي التقليدي.

... ويعرف الكثيرون أن حياة خاصة مسكونة عنها، سوف يلجأ إليها مناضلون للتنفيس وتغريغ الكبت الثوري. وتتفاوت طبيعة هذه الحياة بين العلاقات العاطفية الحميمة والصادقة خارج

المؤسسة الحزبية وشروطها الطهرانية، وبين اللهر والتبذل والانحرافات الأخلاقية. كل ذلك سوف يحدث دون إعلانه أو الاعتراف به، لأنه يחדش صورة المناضل ومصادقته. إلى هذه الدرجة يستطيع المفهوم المشوه للنضال والثورة أن يمسح البناء العاطفي للإنسان...

لذلك يتوجب توجيحه الشكر العميق لغادة السّمان (وغسان كنفاني خاصة)، لأنهما فعلاً شيئاً خارقاً، غسان اخترق العائلة والحزب معاً، وغادة اخترقت حاجز الوهم الاجتماعي الذي يتوشح به سدنة الأخلاق... غير الأخلاقيين.

قاسم حداد

جريدة «السفير» البيروتية، ١٩٩٣/٦/٩

الذين انتقدوها قالوا: إنها تحاول الصعود على جثث الموتى.

الذين أثنوا عليها قالوا: هذه هي المرأة... عالية مثل الريح.

جريدة «القبس» الكويتية، ١٩٩٥/٤/١٢

... تدعونا «غادة السّمان» لأن نحول صفحة نفوسنا الهائجة الأمواج إلى صفحة بيضاء كالشاشة، وفوقها سترسم كلمات تلسع النار والجليد معاً، تذكرنا أيضاً أنها هنا ليست لرائته، بل لإشهار صوته على الذاكرة كالخنجر. لم يكن ذلك سوى غسان كنفاني.

كرم نعمة

جريدة «الجمهورية» العراقية، ١٩٩٣/٦/١٢

... ثقافة العيب هي التي منعت كاتبة كغادة السّمان من نشر رسائلها إلى غسان كنفاني واكتفت بنشر رسائله إليها. فظهر متبجحاً ضعيفاً وراكعاً أمام حياء وسطوته...

ليلى الأطرش

مجلة «عمّان» الأردنية، آذار ٢٠٠٤

هيام غسان بـ «غادة» يعرفه جميع الصديقات والأصدقاء، الأدباء والأديبات، الزملاء والزميلات، القاصي والداني، ممن عاشوا مجد بيروت الثقافية، والسياسة، والفكر، والفن، طيلة الستينيات، وتداخلت حيواتهم بأديهم بفكرهم بنضالهم... هيام «غسان» بغادة بدأ، جدياً، على صفحات الجريدة التي كان يرأس تحريرها «المحرر»! من خلال عمود شبه دائم يسمى: «أوراق خاصة» كان يبثها به غرامه، فينسخ عنه آلاف القراء جملاً فائقة الجمال والبذخ العاطفي، ويكتبونها لبعضهم البعض...

هذا الغرام، وجدناه أيضاً، على صفحات ملحق جريدة الأنوار الأسبوعي... كان غراماً مشاعاً... ولا أدري إن كان يحق لي، أنا كما غيري كثيرون صديقة الاثنين معاً... الشهادة فيه، الآن، وهنا. ولكني أجد نفسي ملزمة بالقول: بأن غادة السّمان، لم تقم بفضح علاقة خاصة سرية، جمعتهم، ذات صباح بغسان كنفاني، الأديب الشهيد، طمعاً بشهرة تستمدّها من شهرته. أوليست

في الواقع أكثر شهرة منه وأرسخ جذوراً في عالم النشر والأدب؟ على الأقل لأنها كتبت وباستمرار ولمدة عشرين سنة بعده.

... كانت هذه العلاقة الأدبية (التي تتوسل الغرام في سبيل الإبداع وليس العكس) مفضوحة بقلم غسان نفسه، ولسانه أيضاً الذي كان يخبر من باب المباشرة وأيضاً من باب استشارة حوافز الأدب والإبداع ليس إلا...!

وغادة السمان مرة أخرى تتصغر بمؤلف كبير، وما حواء الكتاب من رسائل جميلة حية نابضة بالشوق والحنين وبالضعف والقوة، بانكسار الرجولة أمام طغيان الأنوثة يصب مرة بعد مرة في كشف تلك الشخصية العميقة الغنية الراقصة التي كان اسمها غسان كنفاني، والتي حجبت بطولته موتها بعضاً من إنسانية حياتها وتنوع مشاعرها واهتماماتها...!

ليلي الحر

جريدة «الوطن» الكويتية، ١٠/٥/١٩٩٢

... مجالس فلسطينية اتهمت عادة بتعمد الإساءة لواحد من رموز النضال الوطني الفلسطيني، خصوصاً بعدما تحولت إلى امرأة نغمية تكتب في مجلة «الحوادث». ويرى أصحاب هذا الرأي أن نشرها الرسائل في كتاب، لا يعدو كونه مجرد إعلان خليجي مدفوع الأجر لنتويته سيرة الراحل، وعبره صورة النضال الفلسطيني.

جريدة «المحرر»، باريس، ٣١/٨/١٩٩٢

... آه يا غسان... كنا دائماً نختلف معك إزاء طريقة دخولك إلى البيت... كنت تخلع الحذاء في «الأسانسير» ثم الجاكيت ثم القميص... كنت تخلع ثيابك بنفسك وهذه عادة اكتسبتها في يفاعتك... ولكنهم الآن وباسم الحب والعاطفة يحاولون تعريتك وتشويه صورتك بنشر جانب واحد من وقائع جرت معك وتقديمها على أنها الحقيقة المطلقة... إن كتاباً مثل «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان» يشوّء صورة أديب كبير ومناضل فد هو غسان كنفاني الذي استشهد من أجل قضية تعيش مع كل واحد منا، تنام معه وتأكّل من أعصابه في كل لحظة...!

محمد أبو خضور

جريدة «الأسبوع الأدبي» السورية، ١٥/١١/١٩٩٢

أطلقت رسائل غسان كنفاني إليك إلى النور الأكبر ليراه الجميع بعدما كُتبت تحتفظين بها في نورك فقط... حيث يبدو أنك انتصرت على أنانيتك في امتلاك الأشياء النادرة مؤخراً... وتخلّصت على مضض من تفردك بحيارتها وأنت الفائزة بيراعك الممهور إن رسائله إليك هي أجمل ما كُتب في اللغة العربية بعد القرآن!!

محمد حسين الغويدي

الطائف - السعودية، ٢٤ ذو الحجة ١٤١٦هـ

إنه زمن تُصادر فيه حرية الفكر تماماً كما صادروا كتبك مني (يا غادة) ذات يوم على إحدى الحدود العربية، وكنتُ أحسُّ أنني أحمل اللغة العربية، أحمل الحقيقة، ولكنهم لا يعلمون أنهم لن يستطيعوا ختم ذاكرتي بالشمع الأحمر. وكما قال غسان كنفاني ذات يوم: «عندما يموت الإنسان تموت الفضيلة».

وملكت استمرت فضيلة التذكير به. أليس التذكير بفسان فضيلة؟ أم أنني أشهد عكس الريح؟

محمد حمود علوان

البحرين، ١٢/٤/١٩٩٣

إذا لم يكن لكتاب «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان» الصادر عن «دار الطليعة» في بيروت، في الذكرى العشرين لاستشهاد كنفاني، سوى حسنة واحدة هي تسليط الأضواء على الجانب «المرفف» من شخصيته، فإن الكتاب يكون قد حقق المقصود منه...

... أما المرأة فكان هناك تغيب متعمد لها، عن حياته وسيرته، وكأنها «رجس من عمل الشيطان» رغم حضورها الفاعل في كل عمل إبداعي له.

من هنا فقد جاء نشر كتاب «رسائل غسان...» وعن دار الطليعة بالتحديد، بمثابة الصاعقة لكل أولئك الذين حاولوا أن يُخرجوا غسان من ثوبه الإنساني، وأن يُلبسوه - ولو بالقوة - ثوباً طوبواً هو من صنع أرواحهم أو تمنياتهم. ووصل الأمر بالأديب الأستاذ الياس العطراني إلى حد التشكيك بصحة الرسائل أصلاً، واتهام «النظام الدولي الجديد» بالوقوف وراء نشرها...

كنا معاً: غسان وأسد عبد الرحمن وأنا نصدر «فلسطين» - ملحق «المحرر» نصف شهرية، وكانت تنطق باسم «حركة القوميين العرب» يومذاك، بالإضافة إلى «الحرية». وكنا نلتقي كزلاء ورفاق درب وقلم. وكان غسان يقرأ علينا نفاً من رسائله إلى غادة، في مكتبته في جريدة «المحرر» التي كان أيضاً يرأس تحريرها. وكنا نصاب بما يشبه الوجوم، ونحن نراه يكاد يذوب في كل كلمة، وفي كل حرف، حتى لكأنه يمارس طقوس صلاة غربية.

وكان إحساس غامض يلفنا حينذاك: هل صحيح أن هذه الرسائل تذهب بالفعل إلى غادة السمان؟ ولماذا لم يقرأ علينا قط أي رد منها، هذا إذا كان هناك رد؟... ولكن المؤكد هو أن الرسائل المنشورة في كتاب «دار الطليعة» صحيحة وإن كانت ناقصة.

محمد زيد

جريدة «السمير» البيروتية، ٢٠/٨/١٩٩٢

... إن الهدف الذي تعلنه عادة لنشر هذه الرسائل، هو في درجة مهمة من درجات نوعي/ فني، بوصف أن الرسائل أولاً عمل إبداعي ذو خصائص وسمات إجناسية خاصة، لم يأخذ حظه من الانتشار والنجاح في تاريخنا الأدبي...

... فكرة التأسيس النوعي عند غادة، تعدّ من أهم الطروحات الخاصة بالموجهات البنائية، وهي تسعى إلى التفكير بالنوع الأدبي وما يتصل به من قيم وتقاليد وقواعد، متحدثة عن لون خاص

من ألوان هذا النوع تسميه «مراسلات الاعتراف»، الذي لا يجد له حيزاً في لوحة الأدب العربي، بحكم عوامل حضارية واجتماعية وثقافية معروفة. فهذا المشروع لدى عادة يهدف إلى «التأسيس لنوع أدبي منتشر في الدنيا بكثرة، ويكاد يكون معدوماً عندنا هو أدب المراسلات غير الرسمية، مراسلات الاعتراف...».

... وبذلك فإن عادة السَّمان لا تتوقف من خلال ملاحظاتها وهوامشها وإشاراتها عند معطى فني أو ثقافي أو أخلاقي واحد، بل تشتغل بذلك داخل ورشة كاملة المعدات، على مشكلة أدبية متفاعلة معها ومتفعلة بها، فضلاً عن وعيها حاداً، مما رفع كثيراً من شأن هذه الهوامش، لترقى - في رأينا - إلى مستوى فنية الرسائل نفسها.

د. محمد صابر عبيد

مجلة «عمّان» الأردنية، تشرين الأول ١٩٩٩

... إن الرسائل الخاصة للأديب أو الفنان على وجه العموم هي أحد المؤشرات التي يمكن أن تضيء عوالمه الإبداعية، كما أنها في الوقت نفسه قد تكون لها أهمية قصوى في الكشف عن طبيعة ثقافة حقبة أدبية أو فنية بعينها... فضلاً عن أنها تسلط مزيداً من الضوء على طبيعة الثقافة العربية في تطوراتها وانكساراتها...
... وخير لنا أن نجري على نشر أوراقنا بأنفسنا كما تنادي عادة...

محمد العلي

مجلة «اليمامة» السعودية، ١٢/١/١٩٩٣

... سيدة الرسائل جميعاً هي الرسالة الأخيرة. لعلها تصعد بصاحبها إلى موقعه المكرس في الإبداع كأهم وأعمق كاتب فلسطيني... وهي رسالة مزدوجة، أو مركبة، لا تصف ذاتاً واحدة بل ذاتين وثلاثاً في علاقتها، وتمزقها، وصبرة العيش وقسوته، ورقوع العصفير في أسلاك شائكة من رغبة ورهبة، من وطأة واقع واتباه للحرية...

... هذه الرسالة (بامتياز)، كما سائر الرسائل، تصور روحين معاً: روح غسان كنفاني المعذبة والجميلة، العاشق، كنفاني، المبلبل بدموعه، الرائع، الطيب، الحائر... الممزق كفراشة... من جهة... وروح المعشوقة (عادة السَّمان)، الذكية، الجريئة، ذات الحرية في الجسد والنفس والاختيار... عادة المشتتة الممنوعة... الشجرة المحرمة... وهو طالبها الأبدى حتى الموت.

... رسائل غسان كنفاني المفردة إلى عادة السَّمان، رسائل مزدوجة. أعني أنها ليست إرسالاً فحسب، بل هي صدى أجوبة أيضاً. فالرجل لا يرسم ذاته وجغرافية دواخله في رسائله، ويقف عند هذه الحدود، بل يرسم أيضاً، وبالمقدار عينه، ذات الآخر (المعشوق) وجغرافية دواخله أيضاً. عادة السَّمان واضحة بمقدار وضوح غسان كنفاني في الرسائل. ولعلنا لسنا بحاجة لقراءة الرسائل الرد

التي أرسلتها عادة (مع تشوقنا إليها) لمعرفة ملامح شخصية غادة السَّمان، في هذه العلاقة الممتعة...

محمد علي شمس الدين

مجلة «الكفاح العربي» اللبنانية، ١٩٩٢/٩/٢١

... وواقعة نشر الرسائل، بلغت بالبعض حدّ القول بوجود مؤامرة (!). إذ كتب أحد القصاصين اللبنانيين أن نشر الرسائل «مؤامرة من النظام العالمي الجديد للاقتصاص من كل ما هو عربي فينا أو مدعاة للفخر والاعتزاز عندنا»!

الرسائل حقيقية، من دون شك، يثبت ذلك صورها في الكتاب وشهادات أصدقاء غسان الذين سمعوها منه قبل أن يرسلها إلى غادة. والصدمة التي أحدثتها تثبت أموراً عدة أبرزها أن غسان كنفاني تحوّل إلى رمز خالص، وتم تجريده من إنسانيته، وحتى من نضج الأدبي، ليصبح بطلاً مكتفياً ببطولته تغنيه عن تاريخ عيشه وعلاقاته، وتسمو به حتى عن الكتابة الإبداعية نفسها...

أليس ملفتاً أن أعمال غسان كنفاني التي طبعت بعد موته أغفلت كتاباته العاطفية الرقيقة التي نشرها في صفحة «المحرر» الأخيرة وفي ملحق «الأنوار» وحتى في «الهدف» نفسها، وكانت مرايا أسبوعية وأحياناً يومية لحاله العاطفية، كما كانت أشبه بتمارين لكتابة نصوصه الإبداعية في القصة والرواية، وحتى في المسرح؟

أليس ملفتاً أيضاً أن «مؤسة غسان كنفاني الثقافية» اتصلت من مادة الرسائل المنشورة وأعلنت الامتناع عن الإفادة من ريع الكتاب؟

... جريئة غادة السَّمان، فنشر الرسائل مفيد لاعتبارات عدة، من بينها:

- إضاءة جانب أساسي من تراث غسان كنفاني بدأ يدخل دائرة النسيان.

- التنبيه إلى جانب من الحياة الصحافية والأدبية والفنية في بيروت الستينيات التي شهدت النهضة الثانية للأدب والفكر العربيين، في وقت يبحث فيه العرب عن نهضة ثالثة وعن مكان يتسع لهذه النهضة.

- إظهار حضور المرأة في حياة الكاتب العربي، ليس تلك المرأة الخيالية، بل تلك التي من لحم ودم وحضور.

- كسر الصورة المثالية للكاتب الملتزم، وهي في أي حال صورة تتجنّى على هذا الكاتب، فتطرّد منه حقيقته وتعيد تأليف شخصية جديدة له تأخذ عناصرها من خيالات الجماعة وحاجتها إلى المثال.

- كشف جوانب خفية من حياة الأدباء الشخصية يمكن أن تضفي أدبهم المنشور وطبيعة المرحلة التي عاشوا فيها.

وغادة السَّمان التي بدأت مما سمي في الستينيات أدباً نسائياً، طورت نقطة بدايتها واستمرت في الكتابة حين توقف غيرها من الأدبيات (أبرزهن ليلي بعلبكي)، وكان استمرار غادة في الكتابة

ناكيداً لشخصية المرأة الكاتبة التي لا تكتفي بكونها فتاة تكتب كلاماً متمرداً ثم تسكت بعد بلوغ «مرحلة النضج»...

محمد علي فرحات

مجلة «الوسط»، لندن، ١٩٩٢/٩/٧

شكراً لك على بحث الحياة في رسائل غسان الطافحة رقة وإنسانية وحباً. إننا يا عادة مطحونون جميعاً، ذكوراً وإناثاً، بشراً، بألة طحن الأنظمة الشرقية الاستبدادية ومدعوسون استعمارياً إذا ما بدأ هنا أو هناك تطوّر أو تقدم. والحملة عليك هي حملة على الديمقراطية والحرية التي أخذت تدق مجتمعاتنا العربية.

تبقى الرسائل الرائعة التي خطّها قلم وعقل وإحساس غسان خالدة إلى الأبد، لأن ما يميز مكتبتنا العربية هو أدب الرسائل، أدب البحر، أدب الاعترافات كاعترافات الأدباء والمفكرين العالميين... ويبقى غسان إنساناً ومناضلاً وفناناً وشهيداً. وبإيدي، أعظم الثوار هم المحبّون، وسلام عليك. ولست الضحية الأولى ولن تكوني الأخيرة على مذبح الحرية والديمقراطية.

محمد فرح

مجلة «المعرفة»، تعز - اليمن، تموز/ يوليو ١٩٩٥

... بعض الكتاب، منهم من أحب غسان ومنهم الزميل عيسى الشعيبي، وبينهم من حقد على غسان، وفيهم من مات غيظاً وحسداً من غسان، رحبوا بكتاب غادة، وهللوا لهذا الإصدار المثير بما تحمله هذه الكلمة من المعاني!! وقالوا إنها خطوة جريئة وشجاعة، وفيها الإخلاص والوفاء لفسان... وهذا الموقف أدهشني وأرعيني أكثر من خطوة غادة ذاتها... هل أقدمت غادة على فعلتها هذه بحسن نية، أم أنها عملية انتقام من الشهيد غسان كنفاني وما يمثله هذا الرجل المميز: غسان الإنسان، غسان الأديب والكاتب المبدع، وغسان السياسي؟... لقد أصابت بكتابها غسان بكل ما يمثله.

محمد كموش

جريدة «الدستور» الأردنية، ١٩٩٢/٩/١٤

... بأي صفة يمكن أن يصف المرء هذه «الشجاعة» لكاتبة موهوبة، فرضت اسمها منذ «عينك قدري» كتابها الأول وقبل أن تنصرف فيما بعد ذلك بقليل إلى التماس النجومية...؟! مع التنويه بأنه إذا شابت هذا الرأي قسوة ما، فذلك غير مقصود أولاً، ونجم عن قسوة الموضوع والمناسبة. تاركاً للكاتبة «ثغرة» أنني اكتفيت مؤقتاً بقراءة عروض وتلخيصات وافية ضافية للكتاب... دون أن أقرأ الكتاب ذاته!

محمود الريماوي

جريدة «القدس العربي»، لندن، ١٩٩٢/١٠/٩

الكتاب «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان» قد أثار ولم يزل يثير العديد من ردود الفعل بين مؤيد ومعارض ويُقدّم بالفعل إضافة هامة للمكتبة العربية على صعيد أدب الرسائل أو «مراسلات الاعتراف» حسب تسمية الكاتبة. فقد ساهم نشر «الرسائل» في إزاحة الستار عن جوانب خفية وروحية ونفسية في شخصية المبدع الراحل غسان كنفاني، هذه الجوانب التي ظلت ولفترة ليست بالقصيرة مطوية أو مغفية في ظل التأكيد على صفات المناضل الملتزم، والأديب في شخصيته، ويتجريد زطهرانية يصلان حدّ الأسطورة في بعض الأحيان، وكان «الالتزام السياسي» يقتضي حضور «المناضل السوريماني» الذي لا ييوح ولا يحب ولا يخاف أو يضعف.

في ظل هذه القراءة، يكون نشر «الرسائل» إطلالة جريئة وإعادة بحث هامة، للمقدس في الصورة...

محمود السرساوي

جريدة «نشرين» السورية، ٢٧/٨/١٩٩٧

... لا أريد أن أتوقف عند بعض الاستنتاجات المتسرعة التي اعتبرت أن ثمة إساءة لغسان الكاتب المناضل الشهيد، وأن ثمة تطاولاً على الرمز الذي بات يمثل، جراء نشر رسائله في مثل هذا الزمن الذي تكثر فيه هزائنا، وبالتالي يبدو وكأن نشر الرسائل إنما يخضع لخطّة شيطانية أو مؤامرة خبيثة... غير أن ما كشفت عنه الرسائل من جوانب إنسانية في شخصية غسان، أو ما اشتملت عليه من صدق وحميمية في التعاطي مع كل أشياء الحياة بدءاً من الوطن وانتهاءً بالمرأة، تكفي للرد على الاستنتاجات المتسرعة وعلى نزعة التطير التي لا تفنأ تلاحقنا... وثمة حقيقة لا سبيل إلى نكرانها، تتمثل في جرأة غادة السمان وهي جرأة تستحق عليها الشاء والشكر، حينما بادرت إلى نشر هذه الرسائل - الوثائق الأدبية التي قد تمهد الطريق إلى تكريس مثل هذا النوع الأدبي في واقعنا الثقافي، بكل ما يعنيه من تجرد من الزيف والرياء...

محمود شقير

مجلة «بسمّة» الأردنية، ١٦/١/١٩٩٣

لقد تعرّضت غادة السمان قبل سنوات إلى عاصفة لم تهدأ بعد لأنها أقدمت على نشر رسائل حب وصداقة خضها بها الأديب الفلسطيني الراحل غسان كنفاني...

... ونحن بالتشجيع على سلوك هذا الطريق لا نطالب الأدياء العرب والأديبات العربيات بأن يعترفوا على غرار أوسكار وإبلد وسيمون دي بوفوار. فما تزال المجتمعات العربية غير مهية مرحلياً للاعترافات الإباحية، وذكريات الشذوذ، لكنها لا تُمنع في أن تسمع قصص الحب وتباركها.

د. محي الدين اللاذقاني

جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ٢٤/٧/١٩٩٧

... وصف السمان لكنفاني (في تقديمها) بقوس قزح، يجعلنا مرة أخرى نقف عند دلالات هذا التعبير الذي يكتز بعمدى إخصابي يكشف لنا ما حاولت غادة إخفاءه...

... لم تُفاجأ بكم لا بأس به من الإشارات الواردة في رسائل غسان إلى غادة لجهة سلوك سادتي مارسه السَّمان على كنفاني.
رسائل غسان إلى غادة تكشف لنا عن حب يفوق الوصف...

مروان الخطيب

جريدة «صوت البلاد» اللبنانية، ٢٠٠٣/٧/٤

... يجب أن نتناول الناحية الإبداعية في الرسائل: هناك أمر يجب أن ننظف إليه وهو زواج غسان من امرأة غربية وهذا سن شأنه أن يجعله يحن للمرأة العربية.

مصباح بو حبيب

جريدة «الصحافة» التونسية، ١٩٩٣/٦/٢٢

... هل يحق لأحد البوح بأسرار علاقته الحميمة بشخص ما؟ أقول إنه يجوز بإذنه، أما في حالة وفاة الآخر فلا مانع...

مصطفى كرت

جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ١٩٩٣/١/٤

في الحملة التي شنها الكتاب والنقاد على غادة السَّمان بعد نشر الرسائل، كانت عملية الإيحاء أو التلميح، والإنصاح المباشر أحياناً، أنهم بما أطلقوه من مواقف يعبرون عن تضامنهم مع غسان، حبيبهم له، حرصهم على مكانته الأدبية والنضالية. وتنطوي تلك المواقف على إدانة لغسان سواء بوعي أو دون وعي. فاعتبار البوح في الرسائل، يمس شخصية غسان، هو إدانة لغسان كاتب الرسائل، قبل أن تكون إدانة لغادة التي دارت المعركة ضدها ظاهرياً...

وفي محاولة تسويغ بعضهم عملية التبرئة لغسان من تلك «السقطة» أشاروا إلى لحظة ضعف... استغلتها غادة، وكانوا بذلك يطبقون الخناق أكثر على شخصية غسان الإنسان، تحت يافطة إنقاذها، فزادوا بذلك من تشويهها، ونالوا من إنسانيته... إن اللعنات التي أنزلها النقاد على غادة في موضوع نشر الرسائل، والتوصيف الذي أطلقوه عليها في سيل من المفردات، يبرز حالة الوعي الثقافية لمسألة المرأة، باختزالها إلى كائن مكرر أناني، نرجسي، يخدم الأعداء بل وربما يتحرك بإشارة منهم.

مصطفى الولي

من كتاب «غسان كنفاني: تكامل الشخصية واختزالها»

دمشق، دار الحصاد، ١٩٩٣

... نفترض أن غادة كانت تجرر غسانا كي يكتب وتكدس كتاباته إليها «لتطلقها فيما بعد على شكل قنبلة كرنفالية صاخبة في زمان راكد وهادئ وميت هو زماننا الآن»... على رسلك يا رجل.

إن كان هذا الكتاب ليس بريثاً كما ترى - وكما أرى أيضاً - فلنحاول أن نكون أبرياء بقدر ما يعطينا غسان كنفاني العاشق من طفولة وبراءة وإنسانية وفراة.

لنكن أكثر أريحية حين نمارس أقصى درجات الرجولة مع أي امرأة وأي نحلة، حتى وإن كانت هذه النحلة «غادة السمان بلا أجنحة»...

مع البياري

جريدة «القدس العربي»، لندن، ٣/٣/١٩٩٣

... في الشرق، تنور ضجة على غادة السمان (فصيحة العرب بلا جدال) لأنها نشرت في كتاب رسائل (المناضل) غسان كنفاني لها وكان المناضل بلا قلب أو إحساس! في الغرب، ينشرون السير الذاتية - بكل ضعفها البشري الوارد في النفس الإنسانية...

مفيد فوزي

مجلة «الوطن العربي»، باريس، ١١/٩/١٩٩٢

... رسائل جميلة ونادرة في الأدب العربي.

مجلة «الملاحظ» التونسية، ٧/٨/١٩٩٩

... ولا أنكر أنني منذ البدء، وجدت نفسي مسانداً لهذه «الفضيحة» - نشر الرسائل - ومستعداً للدفاع عنها. فالهجوم على غادة السمان للدفاع عن «سمعة» غسان كنفاني ينطلق أصلاً من منطلق مهزوم ومفهوم خاطئ...

في أيام الانحدار يزداد التوق إلى تقديس الأبطال وإلى المبالغة في صفاتهم النقية حتى يصل الأمر، أحياناً، إلى التآليه! ويمقدار ما تنحدر في حياتنا من مستوى البشر نميل إلى التثبيت بأبطال نود لو كانوا فوق مستوى البشر. فالبشر الذين هم نحن في الحال الرديئة التي نحن عليها، شيء دوني، سوية لا تليق.

... حين قرأت رسائل غسان لم أحس للحظة واحدة أنني أتطفل على أسرار شخصية، بل أحسست على العكس أنني أقرأ أدباً رقيقاً. فغسان في رسائله شاعر. وتأتي شعريته من لغته الرفيعة وأفكاره المتألقة وأسلوبه المتوهج. وهذا كله ينبع من عاطفته الحقيقية الصادقة التي كان يلاحق بها غادة.

وبالتالي فإن غادة السمان أياً كان هدفها من نشر هذه الرسائل، قدمت خدمة جليلة للأدب. إنها تكمل الصورة التي يجب أن نعرفها عن هذا الأديب العربي. يجب أن نتحرر من عقدة الأسرار الشخصية، فالأديب لا أسرار شخصية له.

ويبدو أن غسان كنفاني نفسه لم يكن حريصاً على سرية هذه العلاقة. ففي هامش الرسالة المؤرخة في ٢٥/٨/١٩٦٨ (ص ٧٧)، يقول عبد الرحمن الربيعي: «أحب أن أذكر أن المرحوم غسان كنفاني عمل في أواخر الستينيات رئيساً لتحرير الملحق الأسبوعي لجريدة «الأنوار» اللبنانية

وكان يكتب صفحة أسبوعية فيها، عن خلق قلبه ونبض وجدانه، وكل أصدقائه كانوا يعرفون أن تلك الصفحة كانت لغادة السمان.

وفي رسالته المؤرخة ١٩٦٧/١/٣١ يعلق على خبر حاولوا دسه في الصحيفة عن زواجهما فيقول: «وأنا غير مكتوث». لم تكن غلطة الذي دس الخبر ولكن غلطة السنوات الخمس التي مرت...».

مدوح عدوان

مجلة «الكفاح العربي» البيروتية، ١٩٩٣/٦/٧

... الكتاب في ذاته يضيف. ولأنه يضيف كان لا بد من الاحتفال. فمكتبتنا العربية لم تشهد هذا الجنس الأدبي من قبل رغم إقرارنا بوجوده وشرعية ولادته، لكن السائد ظل يرفض الاعتراف له بحقه في الحياة والانتشار. وعدة النضال كما تقول غادة أنتجت في تاريخنا نموذجاً محتطاً وبائساً للمحسوبين على النضال السياسي أو الالتزام الأدبي أقرب ما يكون إلى الكاريكاتور...

منصف الخيميري

جريدة «الصحافة» التونسية، ١٩٩٣/١/١٥

... وحين قامت القيامة، لم يلجأ أغلب الذين علقوا على الرسائل إلى تحليل أسلوب غسان المناضل الذي ارتكب العشق. فقد كانت حادثة نشر رسائل عاشق إلى معشوقته، بعد عشرين سنة، كافية لإسقاط كل التهم على هذه المرأة التي تجرأت وأقدمت على نشر رسائل موجهة إليها من كاتب معروف.

إن درس وسائل غسان إلى غادة كان قاسياً. فالمعشوقة عوقبت بجريمة عاشقها... درس، وأي درس، غير التخويف والإرهاب... واستطاعت غادة السمان أن تنجو بجلدها، ولكن سمعتها لم تنج من التشويه الأخلاقي والمزایدات النضالية...

والسيرة الذاتية العربية لا تهتم بالبوح، ذلك أنها مشغولة بالصراخ ومنفوخة بالبطولة، بذكريات الطفولة البرينة أو قل المبراة من كل شائبة...

المنصف المزغني

جريدة «الصحافة» التونسية، ١٩٩٣/٨/٢٨

... رسائل تعيدنا بأجوائها الرومانسية ولغتها الأنيقة إلى الرسائل الغرامية كما عرفها المشاهير من أدباء وشعراء ورجال تاريخ. وهي وإن أتت خطوة متأخرة في الوسط الثقافي العربي فإن لوقعها أبلغ الأثر في نفوس ما زالت تطرب لهذا البوح...

... ونحن إذ نعتز بجراة غادة السمان، نقدر مبادرتها السبّاقة في أدبنا العربي وجهدها في

توليف هذه الرسائل وطريقة إبرازها بموضوعية لأنها بالفعل استطاعت إدخال فن جديد على نتاجنا الثقافي هو فن أدب الرسائل الذي ما زالت مكتبتنا تفتقر إليه .

متفانا الحاج

جريدة «الديار» البيروتية، ٢١/١١/١٩٩٢

... وفي حالة رسائل «غادة السمان» فإن أهميتها من وجهة نظري تتأني من اعتبار واحد أساسي، هو استكمال ملامح شخصية «غسان» الفنان، والكشف عن هذا الجوهر الإنساني في قوته وضعفه، وجموحه، وانكساره، وتخاذله، وعطائه، وتألقه، وذبوله، وانكفائه، وامتداده. لذا أعتقد أن الإطلاع على هذه الرسائل يغني معرفتنا بغسان كنفاني الفنان والإنسان .

أرى أن أهمية هذه الرسائل تكمن في وظيفتها، وهي قراءة «غسان كنفاني» قراءة جديدة لا غير .

منى شقير

مجلة «الحصاد»، قبرص، ٩/١٠/١٩٩٢

... لقد جاء هذا النشر ليعري لحظة بوح خاصة جداً، وليهشم الإطار الشامخ الذي احتوى صورة غسان كنفاني طوال السنوات الماضية .

منى الشمري

جريدة «صوت الكويت»، ١٥/٨/١٩٩٢

... ولا يختلف اثنان في أنها قامت بأجراً خطوة شخصية لكاتبة عربية مرتبطة برجل وعائلة مع ما يعني ذلك من سوء الظن والتفسير والحديث عن التشهير والظلم بالكرامة. إلا أنه يصح أن نغيّر بعض عاداتنا، وليس التغير عادة سيئة دائماً . . .

وإذا كنا أخذنا الكثير من المعرفة عن الغرب فلماذا لا نأخذ موقفه المتسامح من «الماضي» والقلب ونعتبر مثل هذه الرسائل ملكاً لحقبة مضت وللمكتبة الأدبية؟ . . .

مودي بيطار

جريدة «الحياة»، لندن، ٨/٩/١٩٩٢

... يشير الكاتب عبد الرحمن الربيعي... أن اللواجم التي كان يبثها غسان كنفاني عبر عموه الأسبوعي في جريدة المحرر البيروتية إنما كانت موجهة لغادة السمان وأن المغربين إليهما من داخل الوسط الثقافي كانوا يعرفون المرأة التي يوجه لها غسان تلك الرسائل وهي غادة السمان بالطبع كما أصبح ذلك معلناً لمن هم خارج هذا الوسط . . . ونعرف نحن أيضاً عشرات بل ومئات الكتاب العراقيين والعرب والعالميين الذين كتبوا أجمل النثر في الحبيبات ثم ضموه بين دفات الكتب ليبقى خلاصة عواطف لكل المحبين . . .

ميسلون هادي

جريدة «القادسية» العراقية، ٥/١٢/١٩٩٣

... تقول أمهاتنا: «لكل حبة قمح مسومة كيال أعمى»... كل فتاة تجد تحت بابها أو عند نافذتها رسائل تعبر عن وله تنوهم فيه ضعف رجل أمام امرأة. جثا كثير من الرجال عند أقدام كثير من النساء، وحملوا حباً لهن رافقهم سنوات العمر. ولو نظرنا إلى رسائلهم لتوهمنا أن أولئك الرجال ضعفاء لا عمل لهم غير الحب والانتظار. لكنهم في الحقيقة مارسوا أعمالهم، وقادوا واجباتهم في انتباه، ولم يتخلفوا عن اجتماعاتهم أو عن معاركهم. وكان الفرق شاسعاً بين اعترافاتهم الحميمة للمرأة المحبوبة وبين القوة التي انطلقوا بها في حياتهم...

... لا نشك في أن المرأة تعرف تلك الحقيقة قبل الرجال. مع أنها قد تستمتع بالوهم برهة فتصور أن الحياة مستحيلة دونها على المحب، ولذلك تبقى تلك الذكريات، دون رسائل أو مدعوة بها، من الكنوز الحميمة الشخصية. لا يفيد منها أحياناً كمتسمكات إلا الشرير، ولا يلجأ إليها، حيث تتعلق بالسياسيين إلا عدوهم. بل كثيراً ما يخطط لإسقاط الوطنيين بأنخاخ من تلك العلاقات الصادقة في ظاهرها، المدروسة في مخططها...

د. ناديا خوست

جريدة «تشرين» السورية، ١٩٩٣/١/٣

رسائل غسان المنشورة قُدمت كأنها نصحيح لصورته الرئيسية. وبدت بتصوير النص الأصلي كمتسمكات ضد الكاتب، هدفها أن تعلن أن ذلك المشهور الوطني الشهيد، كان يعيش فلاة. فهل هذه هي الصورة الجميلة التي خفيت علينا في غسان كنفاني وأرادت الكاتبة أن تكشفها لنا؟

د. ناديا خوست

جريدة «حمص» (الصادرة عن طائفة الروم الأرثوذكس)

حمص - سوريا، ١٩٩٣/٥/١٤

... والمثير أن يركب السياسيون فوق ظهور الشعراء والكاتب ثم يحملون مساطرهم ويقيرون بها المسموح والممنوع، ثم يعممون إراداتهم لتصادر إرادات الناس. وهكذا كانت الحملة على غادة السنان فقط لأنها أعلنت الشخصي من غسان وكان عليها إخفاء الشخصي لأن غسان شهيد القضايا الكبرى، ولا يجوز أن ينزل لمرتبة القضايا الصغرى وكان الحب هو القضية الصغرى (ودائماً الصغرى) وكان الهيبة تنهار إذا ما انهار رجل أمام امرأة...

.. أقصى الانهيار أن يصادرك الآخر أياً كانت الياطرة التي يختبئ تحتها. وهكذا أخذ السياسيون بالتحقيق الجنائي، هل هذا الخط هو خط غسان كنفاني وهل عشق غسان غادة؟... وانهالت التيران، فوق غادة السنان، وكان القضية انهارت لأن غسان خرج إلى الحب، وكان الممثل الشرعي سقط خارج الهيبة، لأن الهيبة تقضي بأن يكون المناضل بلا ووج... وأن عليه فقط أن يستعمل عظامه.

نبيل الملحم

جريدة «الثورة»، السورية، ١٩٩٣/١٠/٢

لمن لا يعرفها، نرى ونشم في غادة السمان رحيق الإنسان يتشتر شذاه في عالم لم يعد جديراً بوصف أصدق من القباحة. ومنذ أن كتبت حرفها الأول احترقت عشرة أمور:

أولاً: الخروج بعنق الأنثى من أنشودة الغواية إلى فضاء الكينونة الإنسانية بمشروعها المطلق، ومن مقصورة الحريم البائسة إلى حلبة المصارعة، ومن جحيم الاستلاب المأفون إلى عراء الحرية. ثانياً: إشعال الحرائق حيث يستوطن طاعون البلادة والتقليد، وظاهرة الجرذان الحاملة للأفلام، كي تنهض عنقا الإبداع من رماد الحرائق، ترف بأجنحتها فوق سحب الروح. ثالثاً: تمزيق الأقنعة وواد الباطنية الفكرية والسياسية، وتجفيف مستنقعات الرياء، وتفجير ينابيع الذات...

رابعاً: تطرير وشاح اللغة، والاعتكاف بروح الصوفي وراء منمنمات تواخي بين القباب والسهول، وتوائم بين عتمة الأقبية وفجور الضوء، وتناغم بين بحة الناي وزمجرة الرعد، وتزاوج بين ملمس أجنحة الفراشات وصلابة قوادم الرخ.

خامساً: التمهيد السري للعصيان والتأسيس لشورة العشق، والدفاع عن بروميشيوس وسبارتاكوس، وتفسير جريمة ديك الجن الحمصي وجنون دونكيشوت، وشرح لغز رهان فاوست وتطاول عروة بن الورد...

سادساً: الدفاع عن حق ميدوزا في اجترار النظرة القادرة على تحجير الرخاوة واللزوجة والليونة، وحق العين في شراسة الإبصار...

سابعاً: إنشاء لغة الصراحة والبوح والمكاشفة، وهدم هياكل الأدب على رؤوس ساكنيها، والتمرغ حتى الاحتراق تحت وهج شمس المعاناة.

ثامناً: إطلاق الوجود الحق من إساره، وتحرير الإنسان من لعنة التواييت الجاهزة، والعقيدة من قوالبها مسبقة الصنع، والمخيلة من طفولتها المزوية...

تاسعاً: فضح الزيف المستشري على موائد الميسر، وتعطن الروح في ليالي الأندية الليلية الحمراء، وقتل ذئاب المصارف الجائعة، ورفع الحيف والظلم الجاثم فوق كاهل القلب بسبب ضلوع السماسرة في رسم ألوان الشفق والغروب، وإخراج الضمير الإنساني نهائياً من بوتقة البورصة التجارية.

عاشراً: إعادة زرياب والموصلي إلى حلبة الغناء، بعد أن تم تغليب الصوت الإنساني وتصنيعه وتسجيله بشكل داعر إلكترونياً... وعزف كل ما هو نظيف وساحر ويذكر بمارسيليز التوق للامتاق.

تلك هي وصايا غادة السمان العشر لإنسان نهاية القرن العشرين. وتلك هي راجماتها الأدبية تقتحم بها قلاع الفكر الأثرية وحصون التقليد الشامخة. وتحت وطأة الإحساس الفاجع بهزيمة الجمال أقدمت غير مبالية ولا هيابة على نشر رسائل غسان كنفاني إليها، معمة ومضمخة بإكسير الحقيقة، والحقيقة وحدها، ولا شيء غير الحقيقة وللمحلفين بعد ذلك أن يصدروا حكم الإدانة أو البراءة. ذلك أن الشهادة الصادقة تظل أكثر تعبيراً من الحكم نفسه مهما كان، وحتى لو اختلط دم

غسان كنفاني بدم غادة السمّان، وتماهى فيهما الضحية والجلاد، القاتل والقتيل، العاشق والمعمشوق.

منذ أن صدر كتاب «وسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان» والكتاب موضع أخذ ورد. وأصبح الكتاب للأسف أكثر شهرة من كاتب الرسائل ومن التي كُتبت لها تلك الرسائل. ونكاد نقول إننا قرأنا كل حرف كتبه الاثنان، كما أننا نشرنا متابعات ومقاربات نقدية لكليهما منذ أكثر من عشرين سنة.

ونحن لا نأسف لأسباب أخلاقية لأننا لسنا في لجنة المحلفين، وليس بيدنا توجيه دفة الحكم النهائي. إنما نأسف لأن الضجة التي وافقت نشر الكتاب، كانت أعلى من الضجة التي رافقت إبداعات كل منهما على حدة. . .

أين معجزة الكتاب إذن؟ أم القارئ العربي المفتون دائماً بكل نزعة فضائية؟ أم الخروج المحرم على التابو؟ أم المفارقة المفتعلة والقسرية وغير المعهودة بين الالتزام الثوري والنضالي وشعيرة الحب؟ أم المرأة المقبوض عليها في حالة حب؟ أم كل هذه الأسباب؟

د. نزار العاني

جريدة «القبس» الكويتية، ٨/٤/١٩٩٥

أحد الزملاء الشباب العاملين في «القبس» أوصاني على نسخة من هذا الكتاب حصراً («وسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان»)، فحملته طائعاً من دمشق إلى الكويت. وهو واحد من ضحايا الدعاية والإعلام قبل أن يكون من فرسان متابعة المساجلات الأدبية. وهو عينة من شريحة عريضة من القراء العرب الذين لا يستهويهم من تاريخ إنكلترا على سعته أكثر من نبش دخائل الأميرة ديانا! إنه القارئ الذي لا يستطيع مقاومة إغراء كشف المستور، وهو الإنسان العربي العادي الذي يسيل لعابه لذبوع ما هو ممنوع. . .

هناك إذن جانب الاستثارة الخفية التي تبعثها في النفس البشرية مثل هذه الكتب. . . إن تعزي الآخرين نفسياً واجتماعياً وفلسفياً يُريحنا من عبء الإفصاح عن ذاتنا.

إننا نتخفف من عقدا وهفواتنا وأخطائنا، بل يسقط عنا فرض التكليف، إذا تطوع أحدهم للحديث عن عقده وهفواته وأخطائه! إننا نغسل بماء اعترافات الآخرين، ونظهر من شوائبنا إن باح البعض بالتصاق بقايا الشوائب بهم.

د. نزار العاني

جريدة «القبس» الكويتية، ١٥/٤/١٩٩٥

. . . أثار الكتاب الكثير من الجدل والغبار والانتقاد والإعجاب حتى إن مجلة الصياد أطلقت على الحرب التي شنها البعض على غادة حرب (داحن والغبراء)! . . .

نصرة الشطي

مجلة «فنون» السورية، ١٧/١/١٩٩٤

... هذه الرسائل تبدو مهمة لمن قرأ غسان كنفاني. فهي تكشف عن جانب يظل، عادة، مجهولاً، في حياة الأدباء العرب. ولعل عادة السَّمان التي فتحت خزائنها وأفرجت (في حياتها) عن هذه الرسائل، قامت بعمل شجاع غير متوقع، وغير منظر من كاتبة تنتمي إلى مجتمع شرقي. فكسرت بذلك مالوفين على الأقل، أولهما ما درج عليه أدباء - وأديبات - العربية من عادة التوصية بنشر أوراقهم بعد غيابهم، هذا إذا سلمت من الحرق أو التلف على أيديهم! وثانيهما وضعية تُلزم المرأة في المجتمع حدوداً يصعب تجاوزها، من دون إلحاق ضرر اجتماعي بصاحبها. إن جانباً أساسياً في جرأة عادة السَّمان إذ تنشر هذه الرسائل، يكمن في تقبلها ما تحمله من إدانة عاطفية لها من قبل شخص واحد. لا أدري إذا كان علينا أن نأخذ جانبه في تطرفه العاطفي، أو في عدالة قضيته معها!

.. تبقى هذه الرسائل كشفاً له قيمته الاستثنائية...

نوري الجراح

جريدة «الحياة»، لندن، ١١/٨/١٩٩٢

... إحصار الجرأة وزلزال الوفاء الذي عصف بغادة السَّمان جعلها تهدي لنا نبضات قلب اشتعل حباً، ورغبة منها في إطلاق رصاصة على ذاكرة النسيان العربية، وتسديد طعنة إلى جمعيات الرياء المتحدة...

هالة سرحان

مجلة «كل الناس» المصرية، أكتوبر ١٩٩٢

... إذا انتقلنا من إطار الفضيحة الأولى، أي تسويق الحميم، انتقلنا إلى فضيحة أخرى. فصاحبة دار النشر اختارت ذكرى بليغة لنشر الرسائل، وهي مرور عشرين عاماً على استشهاد غسان...

وربما تجد الفضيحة وجهها الثالث في السياق العام الذي نعيش، حيث يتم إلقاء الماء المالح على التاريخ الفلسطيني في وجهه المشرق. والأدبية الترجسية أبت إلا أن تشارك مع غيرها في تشويه صورة عاشق فلسطين.

مجلة «الهدف»، ١٦/٨/١٩٩٢

... وإنه لمن المؤسف جداً أن يعبر البعض هكذا عن عجزهم عن إعطاء رسائل غسان كنفاني القيمة والمكانة اللتين تستحقهما، وأن يواصلوا بعد موته انتهاج المناهج التي رفضها طيلة حياته وتآلم لها كثيراً...

إن كان لرسائل غسان كنفاني من وقع في النفس، فلأنها إلى جانب ما تتضمنه من تعبير عن حب متوهج، تبدو خالية تماماً من تلك الرؤية الدونية، والتحقيرية للمرأة، السائدة في مجتمعاتنا... رسائل تقرأها فتشعر فجأة وكأن الحياة أصبحت رواية.

هدى بن غشام

مجلة «الكاتبة»، لندن، ديسمبر ١٩٩٣

حين أقدمت عادة السّمان على نشر رسائل المناضل الرمز غسان كنفاني على الملأ الذي استمات في جها قدر استماتته في نضاله، كانت تعلم علم اليقين أنها تلقي بعبوة ناسفة، أو قل قنبلة موقوتة تؤذن بالانفجار في أرض قاحلة، باردة، احترق أديمها الزيف والمواراة وتعودت رائحتها الارتزاق من حماقات يقال إنها منطلق القبيلة، وناموس العشيرة.

أُرْعَقَل أن تضرب امرأة بمنطق وقاموس العشيرة عرض الحائط ونكسر بوتقة الموروث؟... فيهتك السر ويفتضح بعد أن كان سجين الخدر؟ هذا ما اقترفته عادة السّمان فُرِئِت بِأَلْف حجر وُصِّلَت ألف مرة حتى تنوب...

عادة السّمان كانت تدرك جراءة الخطوة التي خطتها حين نشرت هذه الرسائل بأجوائها الحميمة، ورائحتها الرومانسية ولغتها الأخاذة بقدر إدراكها لموجة العنف التي ستواجهها، فقالت: «نعم ثمة رجل اسمه غسان كنفاني... ونشر رسائلنا معاً هو أيضاً إقلاق لراحة الرياء ولتزعة التنصل من الصدق...».

أهذه امرأة تُرْمَى بالحجر وقد هزمت سطوة الممنوع بصدقها الشجاع الذي شارفت شفائنه حدود النار؟! أهذه المرأة تصلب وقد امتلكت شجاعة ألف نائر تمودوا الموت فلم يعد يخيفهم ولا عادوا يهابونه؟ أهذه امرأة توجّه إليها أصابع الاتهام، وداخلها يضج بإعصار الجراءة وزلزال الرغبة في البوح بنفض القلب والوجدان؟!

هذه هي عادة السّمان، الكاتبة الشقية التي لا تهدأ أبداً، ولا تتوانى عن اقتحام حدود النار وإحداث المفاجئ، والجريء. وإقدامها على نشر هذه الرسائل سابقة تحسب لها، في عالم ذكوري لا يعترف إلا بانتصارات رجولية. لهذا السبب كانت الهجمة على عادة شرسة، ضارية وبلا هوادة، لأنها كشفت المستور وخرقت ترسانة الممنوعات التي صنعها المتوارث والتقاليد الشرقية لتخرج إلى العلن عالماً محرمّاً لا يعيش إلا تحت ستر الظلام، فأهدت بذلك القارئ العربي نوعاً من أدب رسائل العشق والبحر سيثري الثقافة العربية المعاصرة.

هدى الدغاري

جريدة «الصباح» التونسية، ١٠/٣/١٩٩٧

مما لا شك فيه أن الاعتبارات الاجتماعية والموضوعية تحكّمت بشكل أو بآخر في طريقة نشر الأمير والسّمان وشيوب لرسائل جهن.

ديزي الأمير نشرت رسائل خليل حاوي من غير أن تذكر اسمها، وتعترف بأنها حذفت بعض المقاطع منها لأنها تسيء إلى الآخرين، ولم تنشر رسائلها هي إلى خليل لأنها تعتقد بوجودها مع ورثته. أما عادة السّمان فتقول إنها نشرت رسائل غسان كنفاني دون أي تعديل أو حذف. غير أن رسائلها هي إليه ضاعت أو تلفت في معمعان الحرب الأهلية اللبنانية، وقد جاء كتابها خالياً حتى من مقدمة تشرح - من وجهة نظرها - طبيعة مشاعرها هي من الأديب الراحل الفلسطيني.

هدى سويد

جريدة «الحياة»، لندن، ١/٥/١٩٩٨

... وجدت عادة في غسان صورة الرجولة والشهامة العربية، وتعترف بذلك في تقديمها لرسائله. وإذا كانت السّنان قد كشفت عن شخصيتها الجريئة والمتباهية بحب غسان لها في مقدمة الرسائل، فإن رسائلها إليها قد كشفت عن شخصية غسان كنفاني، المناضل الفلسطيني، من الداخل... الممزّق بين الهمّ العام والهمّ الخاص، بين القضية والحياة، حتى صار يصعب الفصل بينهما.

هدية الأيوبي

جريدة «صوت البلاد» اللبنانية، ٢٠٠٣/٧/٤

لماذا الضجة.. ألا يقع الشهداء في الحب؟!

الرسائل نمط من البوح الجميل، وعندما يختار رجل ما أن يكتب رسالة حب إلى امرأة ما، تصبح الرسالة ملكاً لهذه المرأة، ولا يحق لأحد أن ينازعها في ملكيتها الجميلة.

... مهما قبل في شخصية عادة السّنان، لا يهمني. ما يهمنا كلنا هنا أن قيامها بنشر الرسائل التي تخصها، كسرت حاجز الصمت في هذا المجال... إن البوح بالمواطن بين الأدباء مسألة جميلة، وأنا شخصياً أرى فيها وثائق لها قيمتها، تعرّفنا بلحظات حية من حياة غسان كنفاني والذي نعرفه بكل محاولاته ونحترّم موته أيما احترام..

هند أبو الشعر

مجلة «بسمّة» الأردنية، ١٩٩٣/١/١٦

.. واتهموك بـ «فضح» غسان؟ وتنطج بعض الكتاب والصحافيين يشجون الخطوة الجريئة لأن فيها تشويهاً لصورة كنفاني المناضل والمسؤول وأحد رموز المقاومة الفلسطينية؟

شو يعني؟ وهل شرط «المناضل» والمسؤول أن يكون بدون قلب؟
.. وأشفت على صنف من البشر لم يروا في الكتاب إلا وجهاً «فضائحياً»... ولم ير فيه صغار النفوس سوى وجه «المناضل» ما كان يجب أن يكشف...
..

لو يعلم هؤلاء المعقدون الذين يستهجنون كلام الحب، أننا نعلم أنهم يرفضونه في العلن على أنه «تابو» لأنهم خباثاء، ويمارسونه في السر محرّماً وممنوعاً وشاذاً، يمارسونه جنساً وبركان شبق...
..

لو يعلمون أننا نعلم كم فضحهم كتابك وأفرز على سطح أفكارهم الصدنة تراكمات عقدتهم النفسية التي تختبئ مرة خلف ستار «المرأة العربية المحافظة» ومرة أخرى وراء حجاب «الأخلاق العامة» ومرة تحت حجة «عدم المماس بالحياة الخاصة والشخصية»، وجميع هذه حجج ضعيفة مشرحة كالزبد الذي لا يصل إلى الشط حتى يتلعه رمل الحقيقة..
..

.. كتابك أحدث أكثر من صدمة، ووعى رجال الشعر والأدب والفن على أن رسائلهم مرشحة لثرى النور العلني وتخرج من أدراج الذين واللواتي..
..

.. إن أدب الغرب يعيش على نبض الجيوغرافيا والأنثروبوغرافيا، ومعظمهما استناداً إلى

رسائل ومذكرات كي ينكشف ما لا يكتبه الأدباء في أعمالهم الإبداعية المصقولة المعلبة الجاهزة للنشر بسابق تصور وتصميم ..

من هنا يا عادة إن إصدارك رسائل غسان إليك خطوة بيوغرافية مهمة للأدب العربي الحديث ..

هنري زغيب

جريدة «النهار» البيروتية، ١٠/١١/١٩٩٢

لا تأريخ للأدب بدون بيوغرافيا. ولا يمكن صدور سيرة ذاتية موثقة من دون الرجوع إلى رسائل صاحبها لاستكشاف تهادنه الحميمة في لحظاته الصادقة التي لا تجملها براءته في كتابات إبداعية يعرف سلفاً أنه يعدها للنشر.

هنري زغيب، ١٩٩٢

... فتحت رسائل غسان تابوت العديد من الجثث التي رغم وجودها في تابوت ما زالت لسان حال القلم في عالم يجتر احتضاره. فترآى أن كل رواية سابقة كانت تنتظر في اللاوعي الفحولي تصفية حساب مع امرأة «خارجة على القانون».

د. هيثم متاع

١٩٩٤/٢/٢

كثيرون كتبوا وتحذثوا عن هذا الكتاب («رسائل غسان كنفاني إلى عادة السّمان») سلباً وإيجاباً. ولكن أكثر الذين كتبوا امتدحوا «شجاعة» عادة السّمان وجرائها واعتبروها «رائدة» في أدب الاعترافات النسائية ...

إن عادة السّمان أديبة مبدعة من دون ريب، لكن ذلك ليس موضوع تعليقنا، ولن نسبح لأنفسنا - أو لأیما كاتب حاقّد - بأن نغمطها حقها في هذا المجال بالقدر الذي نرفض منها أن تعبث بذكرى مناضل شهيد اسمه غسان كنفاني.

وائل عبد النور الطوباسي

مجلة «العربي» الكويتية، حزيران/يونيو ١٩٩٥

أما عادة السّمان الأدبية الكبيرة والمعروفة، فلا يلوذ الحب عندها بالصمت أو يقيع في خفائها الوجدان، إذ اختارت أن تنشر «رسائل غسان كنفاني» التي بعث بها إليها الكاتب الفلسطيني العربي المعروف والتي يروي فيها كيف أن عادة السّمان كانت في نظره شيئاً يستعصي على النسيان، وكيف ارتقت في ذهنه إلى نبذة ظلام أغرقت أغواره الباردة الموحشة في اللهاث وراءها في كل مكان بحثاً عنها كبحت الأصل عن وطنه، والتقي عن الله، والصوفي عن الغيب ...

وبالطبع لسّ ضد شجاعة عادة السّمان الإنسانية والأدبية، ولا أشك في صدق وجمال هذه الرسائل الرائعة، وأساطرها الاعتقاد بأن القيم التقليدية السائدة في «أمة العرب» قد خربت كثيراً من

المشاعر والأحاسيس الحقيقية... ولا جدال في أن فن الاعتراف أو كتابة السيرة الذاتية هي من بين الألوان الأدبية الشاحبة في الثقافة العربية الحديثة.

د. وائل غالي شكري

مجلة «الوطن العربي»، باريس، ١/١/١٩٩٣

وتأتي علاقة الحب التي جمعت القاص الفلسطيني الشهير غسان كنفاني والكاتبة اللبنانية غادة السمّان والتي تطوعت بكشف أسرارها... وفاجأت الأوساط الأدبية والسياسية بكتاب صادق ومدعش اعتبره النقاد شديد القسوة على غسان كنفاني حين راحت غادة السمّان تنشر بين صفتي كتابها الرسائل التي كان يكتبها لها غسان سراً. ويذهب نقاد عديدون منهم فاروق عبد القادر إلى أن ما فعلته غادة السمّان، نوع من التعتيل يرفات كنفاني.

وائل قنديل

جريدة «الاتحاد»، أبو ظبي، ٧/٣/٢٠٠١

... دائماً يختم في جو الكتابات كابوس الرقيب، فتحسب له ألف حساب وأكثر. وكل كلمة نخطها يجب أن تكون وفق ما يريده الرقيب. إذن هذه هي حال كتابتنا.

أما في كتابات الحب التي يغيب عنها الرقيب الرقيب، فهناك رقيب آخر هو أكثر لؤماً يدعى الرقيب اللارقيب!! وهذا الرقيب اللارقيب يتمثل بـ: كرمي لفلان احذف هذا!! ومن أجل خاطر هذا لا تكتب كذا! ولحساسية الموقف دعك من...! ولرهافة مشاعر فلانة مرق النص بأكمله! إذن في المحصلة مرقّت النص بمفردك، وكل هذا من فعل الرقيب اللارقيب. وهنا يتبادر إلى أذهاننا وبالحاح: من هو الرقيب الرقيب؟ ومن هو الرقيب اللارقيب؟ وأيهما أكثر لؤماً؟؟

إذا كانت نرجسية غادة السمّان دفعتها إلى نشر هذه الرسائل، فحسناً فعلت هذه النرجسية. دعنا نقرأ ولو مرة واحدة فقط في حياتنا نصاً أو كتاباً دون أن يختم في سماء هذه القراءة شبح الرقيب، دعك من الحذف ولو حرفاً واحداً..

وحيد شيخو

مجلة «الناقد»، حزيران ١٩٩٣

... للرسائل قيمتان: القيمة الأولى هي الكشف عن الجوانب العاطفية الحميمة للكاتب الفلسطيني الراحل، فهو المعروف بأدبه الملتزم بقضية فلسطين أظهر في الرسائل جانبه العاطفي الشخصي كمحب... والقيمة الثانية للرسائل أدبية، إذ تكشف عن جانب الترسل الرومنطيقي في نثر غسان كنفاني. وهنا تلاحظ غادة السمّان أن كتابات غسان كنفاني غير السياسية وغير النقدية في الصحافة اللبنانية لم تجمع بعد، ويغلب على هذه الكتابات ذلك الجانب الرومنطيقي الموجود في الرسائل..

مجلة «الوسط»، لندن، ١٠/٨/١٩٩٢

أمام حكايات مثل حكاية اليوناني باباندريو (وفضيحة بروفومو، وميثران وابنته غير الشرعية، والرئيس جيسكار ديستان وعلاقاته، والعلاقة المفترضة بين الرئيس شيراك وكلوديا كاردينالي، ومصمم الأزياء ف.س. الذي ساعد رئيس الجمهورية ع.ب. في الحصول على عشيقات وغيرها)، أين يصبح الخجل الذي أردنا بعض الغلاء أن نحس به ونحن نقرأ رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان، الرسائل التي «تجرات» الكتابة على نشرها لتقول فقط إن رجل السياسة والفكر يمكنه أن يعشق وأن يحب وأن يعيش حياة عاطفية مثل باقي البشر؟

مجلة «الوسط»، لندن، ١٩٩٨/٨/٣

.. حين يلتقي غسان كنفاني وغادة السمان ويكون الحب ثالثهما لا يمكن إخفاء ذلك زماناً طويلاً...

والعبرة ليست في ما كان وما مضى ولا في أن غسان كنفاني هو كاشف الغطاء بل في أن غادة السمان هي صاحبة الجراءة في نشر ما كتب لها. وهذه خطوة رائدة وعظيمة ليست غريبة على ما تنحلي به غادة السمان من شجاعة في الكتابة وفي الحياة... وتكتمل شجاعة غادة السمان في أنها هي مقدمة هذه الرسائل...

مجلة «الوطن العربي»، باريس، ١٩٩٢/٨/١٤

... إن عادة غادة السمان في إثارة الضجة حول نفسها هي الدافع الأول في نشر رسائل غسان كنفاني إليها، وهي في المقدمة التي كتبها، تبشر بأنها ستنشر رسائل آخرين من «رجالها» بعد الموت (موتهم طبعاً). والذين كتبوا لغادة السمان كثيرون، وكثير منهم عاش قصة حب معها، وإن اقتصر فعلها على الرسائل في الغالب - وكثير منهم توهم أنها أحبته، لأنها أرادت له أن يتوهم... كانت مهمة بأن تصنع شهرتها من خلالهم أكثر من اهتمامها بأن تقيم علاقات معهم، وإذا وجد من أجوبها بالفعل، فإن ذلك كان من طرف واحد في غالبية الحالات.

وكانت كلمة غسان كنفاني هامة، أرادها له ولمن يحب، وهي خاصة جداً، لا تحتل التعميم، ولا تشكل وثيقة أدبية ذات قيمة يصعب تجاهلها، لذلك فإن نشرها جاء فقط لصالح من نشر، لا لصالح التاريخ الأدبي، ولا لصالح الذين لم يولدوا بعد.

... إن التشكيك لا ينصب هنا على الرسائل ذاتها، فنحن نعرف عنها في حينها، ونعرف خط كاتبها، لكن التشكيك ينصب على (الوعد). فهل يمكن لغسان كنفاني أن يطلب نشر مثل هذه الإهانات لنفسه؟ إن فناناً مثل غسان كنفاني يمكن أن يقول مثل هذا في لحظة حميمة، لامرأة أحس بأنها «تسيل في أعصابه»، لكنه خارج الإطار الخاص جداً، الحميمي جداً، لا يمكن أن يقبل تعميم ذلك، لأنه بما يملك من موقع، لا يقبل أن يعلق ذاته على علاقة لا يرى فيها أي أمل، لأنها نادرة ومفاجئة وقصيرة (من وجهة نظره) وروعتها كانت في أنها لم تكن (من وجهة نظرها)...

وليد أبو بكر

جريدة «الدستور» الأردنية، ١٩٩٢/١١/٦

تمثل رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان جانباً مهماً من سيرته الذاتية المفعمة على الصعدين الشخصي والسياسي معاً. وهذه الرسائل كما تقول غادة وثيقة أدبية، ولكن أهميتها لا تقف عند كونها تسد فراغاً واسعاً في «أدب الاعتراف» المفقود في ثقافتنا العربية، أو كونها تتحدى أخلاقيات الرباء. فهاتان قضيتان خلافتان لا مجال للخوض فيهما الآن، بل تكمن أهمية الرسائل - قبل كل شيء - في قدرتها الفارقة على الإجابة عن عدد من الأسئلة العويصة: كيف تصبح الكتابة ضرورة؟ هل تضفي سلطة البلاغة والبيان على موضوع «الضعف» ذاته قوة لا تحد؟ إلى أي مدى تعينا الكتابة على معرفة الذات ومعرفة الآخر في الوقت نفسه؟ كيف يفضح اللاوعي سرّه من خلال الكتابة؟ هل تخفي الكتابة بقدر ما تكشف؟ هل توسّع الكتابة، خاصة كتابة الاعتراف، من حريتنا حقاً أم تضع لها حداً حين تجعل من المخصوص عاماً؟ هل تحمل الكتابة عن الحب المتمرد في طيّها، كتابة عن الكراهية، لا تشي بها؟ وكيف؟ ما العلاقة الخفية بين الكتابة والموت؟ وبين الحب والموت؟...

وليد منير

مجلة «القاهرة»، مايو/أيار ١٩٩٦

نصف اعتراف ذلك الذي باحث به الأدبية السورية غادة السمان، حين نشرت رسائل الحب التي تبادلتها مع الأديب الفلسطيني غسان كنفاني... في لحظة مواجهة مع النفس قالت السمان: «لأنني لم أسقط سهواً من سفينة فضائية على صحراء من الملح لعالمنا الثقافي العربي، فقد كنت أعرف مجموعة "التابو" التي سيدغدغها إصدار الرسائل». وتؤكد غادة أنها لم تتجنّ على صورة غسان الأديب الشهير.

د. ياسر ثابت

(من مقالة بعنوان: الاعترافات الجنسية لأربع نساء شهيرات)

جريدة «صوت الأمة»، القاهرة، ٢٥/٢/٢٠٠٢

... لم يكن كتاب «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان» الذي نشرته غادة نفسها أول محاولة تدل على جرأتها ولم تكن هي السبّاقة في هذا المجال. فقد سبق أن قرأنا رسائل الناقد المصري الراحل أنور المعداوي إلى الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان وهي التي أعطت هذه الرسائل إلى الناقد رجاء النقاش الذي نشرها في كتاب بتحقيق منه ومعالجة لنفسية المعداوي من خلال هذه الرسائل... كذلك، استطاع المحققون العثور على رسائل من هذا النوع كان جبران خليل جبران قد كتبها إلى مي زيادة... ومن غير شك أن هناك العديد من هذه الرسائل بين أدباء وأديبات لم يتجرأ أحد طرفيها على نشرها.

.. غادة نشرت رسائل غسان كاملة.. والحلقة المفقودة ستكون رسائلها إليه، التي من المفروض أن يُشر عليها، كما تمت غادة نفسها. ولكن طالما أن ليس بين أيدينا سوى رسائله هو،

فإن عادة السَّمان ستكون عذاب غسان المرير الذي عاشه حتى أواخر أيامه . . فما كان يكتبه لها في «ملحق الأنوار» وزاويته في «المحرر»، كان جميعه عذاب كاتب مبدع . . .

ياسين رفاعية

جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ١٩٩٢/٧/٢٨

. . . يقول المكسيكيون «لا تنكح على المرأة ولا على الجدار المائل»، أما البلغاريون فيقولون «لا تنكح بالمرأة ولا بشمس الشتاء» بينما - من أقرب الشعوب إلى العرب - وهم اليونانيون نجدهم أكثر سوداوية فيقولون «لا تنكح بالمرأة حتى وإن ماتت». طبعاً، لن نعدم من ينصف المرأة، ويقدرها، فهناك اليابانيون الذين يقولون «لا تضرب المرأة ولو بزهرة».

. . . تشم بين رائحة السطور أنها كانت تهيم لما تفعله الآن من نشر لهذه الخطابات منذ أول رسالة بعث بها غسان كنفاني إليها.

ثمة ما يجعلك تفكر باتجاه آخر أن غسان كنفاني كان «ضحية» ورطة أو فح مقصود من خلال حب شقي قد جرحر به من رسالة إلى أخرى؟ ومن انتظار إلى آخر. فهل كانت عادة السَّمان تستدرجه لكي يكتب، وتقدس هي فيما بعد هذه الكتابات والتي ستطلقها لاحقاً على شكل قبلة كرنفالية صاخبة في زمان راكد وهادئ وميت هو زماننا الآن؟ . . .

والآن، لنقلب الصورة. لو كانت هذه الرسائل موجهة إلى امرأة بسيطة مغمورة لا علاقة لها بالكتابة فما مصيرها يا ترى؟ . . . إذن لكنت الآن رسائل هي طي الكتمان. تحت وسادتها أو في صندوق أسرارها. لكن يبدو أن المرأة الكاتبة في عالمنا العربي كارثة أو فضيحة . . .

إلى هنا نبدأ بإعادة النظر، والإصغاء جيداً إلى أمثال المكسيكيين، والبلغار واليونانيين، فربما كانت حكمتهم صائبة، وربما لم تخطئ خبراتهم، وتجاربهم في الحياة، وبالذات صميم الحياة: المرأة . .

يوسف أبو لوز

مجلة «الشروق»، الشارقة، ١٩٩٢/١١/١٢

. . . لا أدري لماذا ما زلنا نخاف من (بيع) الحقيقة . . ؟ كما لا أدري لماذا نصر على ارتداء قناع الزيف . . .

. . . لا ضير في قصتك مع عادة السَّمان . . ولا ضير من نشر هذه الرسائل - القصة . .
ولعلك بنشرها كنت أكثر حظاً من غيرك الذين أجبروا من هن لا يملكن جراءة عادة وصدقها،
وتحرر جسدها وعقلها من سلاسل الأقنعة وغلالات الزيف السمكية . . .

يوسف حمدان

جريدة «الدستور» الأردنية، ١٩٩٢/١١/٢٧

... تتساءل هل نشر الرسائل خطأ؟

والجواب أنه ليس خطأ لأن الرسائل ألقت أضواء على شخصية غسان وهي شخصية غنية...

... والرسائل جميلة وغنية ويمكن أن تُقرأ على مستويات عديدة. إن أدب غسان كنفاني ما زال يحتمل المزيد من القراءات. ولكن يجب على عادة أن تحذف ما يتعلق بالأحياء وبالأساس ما يتعلق بأسرته. إن المسألة حساسة وحذف سطور من الرسائل لا يغير الكثير منها...
الرسائل لها بُعد إنساني بغض النظر عن أهدافها الأخرى...

يحيى يخلف

من ندوة «النادي الثقافي الطاهر الحداد» بتونس حول الرسائل، حزيران ١٩٩٣

المحتويات

٤		محاولة إهداء: إلى الذين لم يولدوا بعد
٥		محاولة تقديم: وفاء لعهد قطعناه
١٥		الرسالة الأولى: بلا تاريخ
٢٤		الرسالة الثانية: من القاهرة إلى بيروت
٢٧		الرسالة الثالثة: من غزة إلى بيروت
٣٢		الرسالة الرابعة: من بيروت إلى لندن
٣٦		الرسالة الخامسة: من بيروت إلى لندن
٤٢		الرسالة السادسة: من بيروت إلى لندن
٤٥		رسالة على مغلف رسالة
٤٧		الرسالة السابعة: من القاهرة إلى لندن
٥١		الرسالة الثامنة: من القاهرة إلى لندن
٥٧		بطاقة من القاهرة إلى لندن
٥٨		الرسالة التاسعة: من بيروت إلى لندن
٦٥		الرسالة العاشرة: من بيروت إلى لندن
٧٣		بطاقة من السودان إلى بيروت
٧٦		بطاقة من أسوان إلى بيروت
٧٧		الرسالة الحادية عشرة: من بيروت إلى لندن
٨٥		الرسالة الثانية عشرة: رسالة من بيروت إلى بيروت ذات فجر
١٠٨		ملحق: مقتطفات من آراء نقدية في الكتاب



رسائل غسان كنفاني التي تنشرها غادة السمان، هل ستكون فاتحة عهد جديد في كشف أوراق العرب الراحلين وأسرارهم؟ وهل ستكون هنالك نساء أخريات في جرة غادة السمان؟

مجلة الف باء

قد يكون مبعث اعتزاز غادة السمان برسائل كنفاني ليس مقدار العاطفة التي تبادلها بل وأيضاً أنه كان كاتباً وكان وطنياً قتلته العدو بسبب وطنيته وحبه لشعبه. بقي أن أقول أنه لا فن إن لم يكن الفنان حقيقياً وأصيلاً. والفن ينتهي بلا شك عندما يبدأ الفنان بمراعاة هذا الامر أو ذاك. وعندما تصبح الدنيا اجتماعيات ومبادئ حساب.

جهاد فاضل

هذه الرسائل وثائق هامة عن إبداع واحد من ادبائنا البارزين. ونشرها خطوة شجاعة من كاتبة عودتنا على المواقف الشجاعة في الكتابة والحياة. وكم أمني لو تحذو حذوها أدبيات أخريات. وأكاد أجزم أن هذا النوع من الرسائل موجود لكنه مخبأ أو اتلف كما حصل مع جزء كبير من رسائل إلياس أبو شبكة إلى حبيبته.

عبد الرحمن مجيد الربيعي

وجدت في رسائل غسان كنفاني أدباً شخصياً رائعاً وجزءاً من تاريخ الأدب العربي الحديث، ونشرها يفتح أفقاً جديدة للأدب الشخصي الذي نفتقر إليه في العالم العربي. فقد حان لنا أن ننزع الأقنعة عن ازدواجية الروح فينا ليستقيم لنا العيش أخيراً ونخرج من دهاليز الرياء وسرايب المواراة إلى فضاء النور والصرامة.

البروفسور عيسى بلاطة

كان غسان كنفاني طوفاناً يحتاج كل ما غيره وكان يحب غادة. كان لا يعرف رجلاً غيره ولا فناناً سواه ولا سياسياً مثله ولا رساماً يمثل موهبته... ولا شاعراً ولا كاتب قصص بوليسية! كان العالم يبدأ بقميصه الفضفاض وينتهي بصندله العتيق! وكان عظيماً ويحب غادة. يوسف إدريس هو من نفس فصيلة هؤلاء الفنانين الذين يعيشون جنون الفن وعقله - واقعياً - قبل أن يكتبه، وهو أيضاً: يحب غادة. هل القدر أن يحب المهووسون فناً بعضها البعض؟

ليلى الحر

إذا كانت كل كاتبة عربية تملك جرة غادة السمان في نشر ما كتب لهن من رسائل من كتاب وشعراء وفنانين.. فإننا سوف نملك شاشة جديدة في أدبنا المعاصر ما زالت خفية وسوداء. إن اقدام غادة السمان على نشر رسائل غسان كنفاني لها، خطوة رائدة وعظيمة. وكسر جليد تخبيئ خلفه مئات الرسائل التي ترينا الوجه الآخر لمعظم كتابنا لو أفرج عنها من داخل صناديق الخوف.

ياسين رفاعية

ISBN 9953-410-95-X



5289953410950

دَارُ الطَّلَيعَةِ للطباعة والنشر

بيروت